دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى
بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر



العدد الثالث - السنة الثالثة
جمادى الأولى 1379 - دجنبر 1959
ثمن العدد 100 فرنك

تصدرها وزارة عموم الأوقاف
الرباط - المغرب

العدد الثالث
السنة الثالثة
جمادى الاولى 1379
دجنبر 1959

دعوة الحق

مدير المجلة
المكي بادو
رئيس التحرير
محمد الطنجي

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة عموم الأوقاف . الرباط - المغرب

صورة الغلاف



منظر رائع من مناظر الاستعراض العسكري البديع الذي اجرى بمدينة الدار البيضاء يوم 16 نوفمبر بمناسبة الاعياد المجيدة الثلاثة .

ويرى في الصورة جلالة الملك المعظم سيدي محمد الخامس حفظه الله ، وصاحب السمو الملكي ولي العهد ورئيس القوات الملكية المسلحة الامير الجليل مولاي الحسن .

بيانات ادارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :
مجلة «دعوة الحق» - قسم التحرير - وزارة عموم الاوقاف - الرباط - المغرب .

الاشتراك العادي عن سنة 1.000 فرنك ، والشرفي 2.000 فرنك فاكثر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك في حساب :
« دعوة الحق » الحوالة البريدية رقم 55 - 485 - الرباط -
DAOUAT AL HAK compte chèque postal 485-55 à RABAT
او تبعث راسا في حوالة بالعنوان التالي :
مجلة «دعوة الحق» - قسم التوزيع - وزارة عموم الاوقاف - الرباط - المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر .

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
في كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :
« دعوة الحق » قسم التوزيع - وزارة عموم الاوقاف - الرباط
تليفون 308.10 - الرباط

بسم الله الرحمن الرحيم



تهنئة

بمناسبة الأعياد المجيدة الثلاثة، تتشرف إدارة مجلة "دعوة الحق" وأسرة تحريرها برفع تهانيها الصادقة إلى حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم سيدي محمد الخامس حفظه الله، وإلى الأسرة المالكة الشريفة والشعب المغربي الكريم، راجية من الله عز وجل أن يطيل عمر جلالته ويمده بالعون والقوة للاستمرار في أداء رسالته الخالدة نحو شعبه الأمين إلى أن تصل الأمة المغربية المجيدة في عهده الزاهر إلى ما تصبو إليه من رفاهية وتقدم وازدهار



بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة العدد

الأدب والمناسبة

كان عيد العرش ، وما يزال ، موسما من مواسم الادب يخرج فيه كتاب وباحثون وشعراء عن صمتهم ، ويسهمون بحظ في تخليد ذكرى تربع جلالة الملك على عرش المغرب ، ويخطون صفحات من كفاح الشعب والعرش في سبيل الحرية والكرامة ، في سبيل الاستقلال .

وكان عيد العرش مناسبة يتحرر فيها الادباء من رقابة فرضت عليهم ورقابة فرضوها على انفسهم ، فاما الرقابة التي فرضت عليهم فهي ، ولاشك ، رقابة الوضع الذي كان قائما على عهد الحماية ، والذي كان يريد لسكان هذا البلد ان يسيروا في ركابه باجسامهم ان عملوا ، وبعقولهم ان فكروا ، وباقلامهم ان كتبوا ، **وقد ثابت الامة على الوضع وانعزلت عنه ، ثم ثارت عليه ، ثم اطاحت به فذهب مع الريح ، فكان المفكرون والادباء في طليعة من تأبى فانعزل فثار ، ومع ذلك كان الفكر والقلم هدفا للرقابة التي** فرضها الوضع البائد عن طريق القانون تارة وعن طريق التتبع واحصاء الانفاس تارات اخرى ، ولهذا انكمشت اقلام وصدئت عقول وولدت افكار وآراء ، وتلك هي الرقابة التي فرضها الوضع الاستعماري .

اما الرقابة التي فرضها الادباء — اعني بعضهم — على انفسهم ، فقد كانت من وحي الرقابة الاولى ، انعزل كثيرون لان ظروفهم النفسية او الاقتصادية او الاجتماعية كانت تدفعهم — ولا اقول تفرض عليهم — ان ينعزلوا ، وصدئت اقلامهم من كثرة ما انعزلوا وانصرفوا عن ميدان العمل الادبي ، ولم يفكروا مرة في الفرار من عزلتهم الا كانت الرقابة التي فرضت عليهم او فرضوها على انفسهم مانعا لهم من ان يسيروا في الطريق التي تزودوا لها بثقافتهم وميولهم واتجاههم .

حتى اذا كان عيد العرش اتخذوه مناسبة كبرى للتحرر من سلطة الرقابتين : رقابة الوضع الاستعماري ورقابة الوضع النفسي ، فظهرت ابحاث ومقالات وقصائد وقصص يعتز بها — عن جدارة — الادب المغربي ، فكانت المناسبة باعثا على الانتاج ، وكانت في نفس الوقت حماية للمنتجين وتحريرا لهم، وزاد في اتساع هذه الحرية ما كانت تتسم به رقابة الوضع الاستعماري من «سماحة وسعة صدر» ازاء فرصة الشعب في عيد عرشه .

كان هناك اذن ادب ، وكان ادب المناسبة ، فهل كان يضير هذا الانتاج الادبي انه قيل بمناسبة ؟

لم يكن يضيره ذلك فيما نعتقد ، فقد كان يتخذ من العيد الوطني مناسبة للتذكير بالمجد الماضي ولبعث الهمم لبناء مجد الغد ، وكان يتخذ منه مناسبة لتصوير الواقع بما فيه من آلام وآمال ، وما فيه من بؤس وحرمان ، وكان يتخذ منه مناسبة لتصوير الكفاح من اجل الاستقلال ، ومن اجل التحرر الاجتماعي والفكري ، كانت الحرية على لسان كل اديب ، وكان التحرر من الجهل والخوف والفقر هو «الوحدة» التي تربط بين صور الادب ، ادب المناسبة القومية .

اذن فادب هذه المناسبة كان ادبا حيا يتصل بواقع المغرب وتمليه الحياة المغربية ، ويبقى بعد هذا حظ النقد في تقويمه : نجح ادباء في ان يجعلوا من

ادب عيد العرش ادبا حيا حقيقة، وبرز ادباء في ذلك ، وفشل آخرون فما جلوا ولا صلوا ... ولم يكن ذلك من اثر المناسبة ، وانما كان لضعف في التكوين، او نقص في التملي من الاحداث ، او ضحالة في النفس ، فما رسب فيها من المعاني الا نفايات او اشلاء .

ويقول القائل : ان المكافآت كان لها اثرها في اخراج «بعض» الادباء عن صمتهم ، وان فلانا وفلانا من مبرزي شعرائنا وكتابنا كانوا يصمتون حولا ثم تنطقهم المسابقة فينالون الجائزة ، ويكون ادبهم ادب مناسبة وجائزة .

وما يضير الادباء ان ينتجوا للفوز بالمكافآت فان المعدن الثمين لا يضيره ان قومت درره ونفائسه بغالي الاثمان والاديب سليم الطبع قوي العاطفة فياض الشعور تدفعه المكافاة ان ينتج ولكنها لا تسلب مشاعره ولا تشتري عاطفته او ترهن طبعه .

وقد كانت مكافآت الدولة ومكافآت الملوك والرؤساء قوية الصلة بالادب ، والادب العربي بخاصة .

مدح شعراء الجاهلية الملوك والرؤساء ونالت قصائدهم المكافآت والصلات ، ومع ذلك ما اطلقتهم الصلة بغير الادب الاصيل في تصوير الحرب او السلم ، وفي التحدث عن خلجات النفس وتبضات الحس وفي تحليل الشخصية الانسانية بخلقها الكريم او طبعها اللئيم . وتحدث شعراء العرب في صدر الاسلام ، وفي عهود امية والعباس والحمدانيين والموحدين والمرينيين في شرق البلاد العربية وفي غربها ، ونالوا اجزل الصلات والمكافآت ، ولكنهم كانوا ادباء وفنانين لا تجارا يبيعون زخارف وصناعات بدراهم معدودات ، ولم تستطع المكافآت ان تغير ما بطبع الادب وتجعل منه ادبا ممجوجا لانه قيل بمناسبة ونال قائله مكافاة ، بل ظل هذا الادب حيا نقراه بعد مئات السنين فنجد الوصف الحي والمعنى السامي والتحليل الدقيق ، بل نجد السخرية والهزؤ ونجد النكت والملح فنشعر بجمال هذا الادب ونحس بروعته ، ولا يضيره عندنا ــ كما لم يضره عند الاقوام الذين عاش بينهم ــ انه قيل بمناسبة وان قائله نال صلة او مكافاة .

وما احسب ادب الدنيا ــ غير دنيا العرب ــ ببعيد عن مجال المكافآت والصلات ، فالملوك والرؤساء كانوا دائما يرعون الادب والادباء ، وكان بعض هؤلاء يعيشون في اكنافهم ، ومع ذلك انتجوا ادبا له وزنه في الآداب التي خلدتها الانسانية وخلدت هي الانسانية .

ولا يحسبن قارىء اننا ندعو لهذه الرعاية او العيش في اكناف الرؤساء والملوك او على حساب الدولة ليستطيع الاديب ان ينتج ، وانما قصدنا الى ان نسجل ان الادب المجاز لم يكن ابدا بالادب الضعيف او الهزيل ، وانما كان فيه من وراء القول وبديع الانتاج ما لا يزال اثرا خالدا من آثار العبقرية الانسانية .

وما تنظيم الدول للجوائز الادبية والفنية التي تتبنى بها الدولة انتاج الاديب او الفنان الا مظهر متطور من مظاهر المكافآت التي كان يقدمها الملوك والرؤساء ــ وكانوا هم الدولة ــ للادباء والفنانين : بل وللعلماء والمفكرين .

فاذا نحن دعونا الى تنظيم هذه المكافآت تنظيما عصريا تتبناها الدولة وترعاها ، فانما ندعو الى تدعيم صنيع عاش مع الادب في شرق الدنيا وغربها ، وكان له الاثر القوي فيما انتج من ادب ، وانما ندعو كذلك الى الاخذ باسباب التشجيع الادبي التي اخذت بها قبلنا دول حية ناهضة مزدهر ادبها نام انتاجها ، كثير قراؤها .

وورثت دولتنا من عهد الحماية جائزة ادبية وعلمية تقدمها وزارة التربية كل سنة لاحسن كتاب ادبي واحسن كتاب علمي بالعربية والفرنسية ، ولكنها جائزة متواضعة ، متواضعة في قيمتها وشكلها والاعلان عنها والاستجابة لها . فقيمتها زهيدة ان لم نقل تافهة ، والوزارة لا تعلن عنها الا في استحياء حتى انها لا تكاد تبلغ اذن الادباء والمنتجين ولا نكاد نسمع بنتائج المباراة التي ما احسب من يتقدم لها من الادباء الا النزر القليل . ولو عنيت الدولة بالفكر والروح كما تعنى بالجد لصرفت بعض عنايتها ومالها في تنظيم جائزة الدولة لاحسن انتاج علمي أو ادبي ، ولنظم مهرجان لتكريم الادب والعلم في شخص الاديب الفائز والانتاج الفائز .

انا ندعو الى ذلك ، وما نحسب الجائزة المهمة الا مجدية في بعث فكري وادبي وعلمي ، فالتقدير يفتح نفس المنتج ، وما الجائزة الا تقدير وتقييم .

دعوة الحق

خطاب العرش

الحمد لله وحده

والصلاة والسلام على رسول الله

رعايانا الأوفياء :

تجتاز الشعوب ساعات وأيام من حياتها تعيد اليها ذكريات الماضي ، وتوقد فيها جذوة الاماني ، وتحرك فيها ساكن المشاعر والاحساسات ، وتحفزها لعمل الصالحات والمسارعة في الخيرات .

يوم الذكريات

ويوم ثامن عشر نونبر بالنسبة لشعبنا هو اكبر أيامه المجيدة ، وغرة مآثره الطريفة والتليدة ، واحفل اعياده بالذكريات ، واجمع مواسمه لمعاني الرفعة والسنى والبطولة والسماح .

يوم تلوح مرة في كل سنة تباشيره ، وتملأ الاجواء هتافاته وأغاريده ، فتتهلل اوجه المغاربة استبشارا ، وتهتز أعطافهم زهوا وفخارا ، وتنشر امامهم صفحات ماض حافل طويل ، جامع لأشتات المكارم ، ضام لأطراف المفاخر والعظائم ، وتستعرض مخايلهم سير خلفاء راشدين ، وملوك صالحين مصلحين ، لبسوا التقوى حلة ، وجعلوا الاخلاص حلية ، ووجدوا راحتهم في التعب لاعزاز أوطانهم ، وهناءتهم في الشقاء لاسعاد شعوبهم ، ولذتهم في صيانة الحق ، وحماية العدل ، والدفاع عن القيم الروحية التي بها يدينون ، والمثل العليا التي بها يهيمون ، من عهد ادريس الذي نشر الاسلام في هذا الوطن فاعتز بقوته جانبه ، وأمنت بعدله أطرافه ومناكبه ، الى عهد اسماعيل الاكبر قامع البغاة ، وهازم العداة ، وحفيده محمد الذي جهز اسطول الجهاد ، واقام للعدل صرحا رفيع العماد ، وجدنا الحسن الذي رتب ونظم ، وهذب وعلم ، ثم عهدنا هذا الذي جددنا فيه للدولة شبابها ، وحفظنا للأمة كيانها ، وصنا فيه التراث المجيد الذي خلفه لنا الآباء والاجداد .

يوم التجاوب بين ملك وشعب

يوم تظهر فيه وحدتنا في ابهى مجاليها ، وتبرز في أجمل معانيها ، ويتضح فيه مدى التجاوب التام بين ملك وشعب فطرتهما يد الله على الولاء ، وجمعتهما على الوفاء ، وسوت بينهما في النعماء والباساء ، وقسمت بينهما الحب قسمة عادلة ، وجعلت من الملك مودع سيادة لايفرط ، وحافظ امانة لا يخل ، ولسان صدق لايداهن ، وقائد ميدان لا يهن ، ومن الشعب سيفا لا يفل في القراع حده ، وجندا لا يفتر عند اللقاء شنه وشدة ، شغفته المعالي حبا فركب لبلوغها المخاطر واسترخص لاحرازها كل نفيس .

يوم امتحان الضمير ...

فيوم ثامن عشر نونبر هو يومنا الوطني ، وعيدنا القومي الذي يذكرنا بماضينا ، ويقوي عزماتنا في حاضرنا ، وينير امامنا السبل لبناء مستقبلنا على امتن القواعد واقوى الاسس ، حاسبنا فيه ـ البارحة ونحن نرزح تحت اثقال القيود ـ انفسنا ، وامتحنا

ضمائرنا ، ورفعنا بطلب العدل اصواتنا ، وخططنا لاستعادة الحرية برامجنا ، واكدنا بكل شجاعة حقوقنا ، ونقدنا بكل صراحة عيوب مجتمعنا ، وبين رحاب معانيه وفي ظلال ذكرياته نحاسب اليوم ـ ونحن احرار ـ انفسنا من جديد ، ونمتحن ضمائرنا مرة اخرى ، ونستعرض مايواجهنا من المشاكل ، ونعد ماتملك لحلها من امكانيات ووسائل ، ونستخلص العبر من المقارنة بين تجاربنا وتجارب الغير ، ونجدد العزم على السير مثابرين نحو اهدافنا السامية بايمان وعزم لايغرنا نجاح ولا يثبطنا مايعترضنا من عقبات .

فجريا على العادة التي الفناها كلما حلت الذكرى نعرض اليوم على امتنا النشاط العام للدولة ، ونبين لها مشاكل الوقت وقضايا الساعة ، وسترى من خلال العرض أن الاعمال التي باشرناها في السنة الماضية جسيمة ، والمنجزات التي حققناها كثيرة ، والمشاكل التي حللناها عديدة ، الا ان من المشاكل ما لا يحل الا بحصول اتفاق بيننا وبين غيرنا من الدول التي يعنيها الامر ، ومن المصاعب ما لا يذلل الا بوفرة الخبرة وكثرة المال وسعة الوقت .

مبادىء سياستنا الخارجية

ففي ميدان الشؤون الخارجية بقيت سياستنا سائرة في الخطة التي رسمناها لها ، ، قائمة على المبادىء التي وضعناها لها منذ سنوات ، تلك المبادىء المستوحاة من المشاعر التي نحس بها والمعبرة عن المصالح التي ندافع عنها ، والمتأثرة بموقعنا الجغرافي وأوضاعنا الاقتصادية والاجتماعية ، والرامية الى صيانة استقلالنا ، واستكمال وحدتنا الترابية ، والتعاون مع جميع الدول ، فنحن شعب مسالم يناصر السلام ويسعى لتقوية التفاهم والتعاون بين الامم والشعوب مهما كانت عقائدها ومذاهبها ، ونحن شعب مسلم عربي يعنيه كل ما يعني شعوب العروبة والاسلام ، والمغرب قطر افريقي تفرض عليه روابط الجوار وتداخل المنافع وتشابه الاهداف أن يهتم باحوال جاراته الافريقية ويعمل بكل ما يطيق لتحقيق تحررها ، والمغرب أيضا قطر متوسطي اطلسي تربطه بالاقطار المشاطئة للبحر المتوسط والمحيط الاطلسي روابط شتى ، وله معها مصالح ، وذلك ما يستلزم تقوية تبادله معها ، وحسن تعامله مع شعوبها .

فعلى اساس هذه المبادىء وضوء هذه الاعتبارات شاركنا في جميع اشغال منظمة الامم المتحدة والمؤسسات التابعة لها ، وقوينا اسباب الاتصال والتفاهم مع شقيقاتنا الدول العربية وعملنا واياها يدا في يد سواء في الميدان الدولي العام أو المحيط العربي الخاص ، وقام ولي عهدنا في نطاق الرحلات التي يقوم بها الى الاقطار العربية بزيارة الجمهورية العربية المتحدة ، واجرى محادثات مهمة مع قادتها ، وكان انعقاد الدورة الثانية والثلاثين لمجلس الجامعة العربية بالدار البيضاء حادثا تاريخيا تجسم فيه التضامن العربي ، وبداية عهد جديد للجامعة نفسها التي اجتمعت لاول مرة في أرض عربية مغربية على ساحل الاطلسي ، وفرصة تمكن فيها ساسة الامة العربية من التعرف على المغرب والاطلاع على اوجه نشاطه ومظاهر نهضته .

الانبعاث الافريقي

وساهم بلدنا مساهمة فعالة في اجتماعات الكتلة الافريقية الاسيوية ، ودافع عن وجهة نظرها ، وحضر بمنروفيا مؤتمر الدول الافريقية المستقلة الذي كان مظهرا رائعا لليقظة والانبعاث الجديد الذي يغمر شعوب القارة الافريقية ، وتأكيدا لتضامن دولها المستقلة مع شعوبها التي لاتزال تناضل في سبيل الحرية والاستقلال ، وقد احسسنا بالروح المتوثبة الجديدة السارية في افريقيا ، وما بين شعوبها من تجاذب وتجاوب خلال وقفاتنا القصيرة ببعض مدنها وقراها يوم قمنا بزيارتنا التذكارية لجزيرة مدغشكر ، ويطيب لنا بهذه المناسبة ان نوجه تحياتنا وتهانئنا الى الشعوب الافريقية التي ستسجل السنة المقبلة ميلاد تحررها السياسي ، مؤملين ان نوجه في القريب تحيات وتهانىء مماثلة الى اقطار اخرى يتعزز باستقلالها جانب الحرية والمساواة في المعمور .

وحدة المغرب العربي وحق الجزائر في تقرير مصيرها

وواصلنا الجهود التي مافتئنا نبذلها لتشييد وحدة المغرب العربي فدخلت الاتفاقيات المغربية التونسية في طور التنفيذ ، وقام ولي عهدنا بزيارة تونس واجرى محادثات ذات اهمية مع رئيسها ورجال حكومتها ، كما جرت اتصالات ومشاورات بين ساسة الاقطار المغربية كلما اثيرت مسالة من المسائل التي تهمها خصوصا المسالة الجزائرية ، واننا

نسجل بارتياح كبير اعتراف فرنسا على لسان رئيس جمهوريتها بحق الجزائريين في تقرير مصيرهم ، وقبول هؤلاء لهذا المبدا الذي نامل ان يدخل في حيز التنفيذ ليتسنى للشعب الجزائري ان يستعيد سيادته ، ويقوم بالدور الجدير به .

دعم مركز المغرب الديبلوماسي

وبجانب هذه الجهود واصلنا العمل لتقوية جانب المغرب الديبلوماسي ، وتنمية التعاون والتبادل بينه وبين سائر دول العالم ، وكان يحدونا في كل نشاط قمنا به في الحقل الدولي الرغبة في نصر الحرية ، ونشر السلم ، وحل المشاكل الدولية عن طريق المفاوضات ، وبروح التصالح والوفاق ، ومع الاسف الشديد لا يجد المغرب صدى موافقا لحسن استعداده كلما عزم على التفاوض مع بعض الدول لحل المشاكل القائمة بينه وبينها .

أهداف سياستنا الداخلية

اما في الميدان الداخلي فقد كانت السياسة التي رسمناها نحن وحكومتنا تستهدف دائما ضمان العدل للمواطنين ، وتمتيعهم بكل الحريات ، واشراكهم في حمل المسؤوليات ، وتشييد مجتمع راق يعيش افراده متضامنين ، ويعملون متعاونين ، وينعمون بعدالة اجتماعية ومستوى مادي ومعنوي رفيع تتفتح به مواهبهم وتقوى عزائمهم على العمل المثمر البناء .

انتخابات بلدية وقروية في شهر مايو

واذا كان من الطبيعي ان تنكب السلطة المركزية على التفكير في المشاكل الكبرى والقضايا التي لها صبغة عامة ، وتخصص كل وقتها لدراستها وتهيئة الحلول التي تتطلبها ، فليس من المصلحة في شيء ان تصرف جانبا كبيرا من اهتمامها ونشاطها في القضايا التي تكتسي صبغة محلية صرفة ، وهذا ما دعانا الى انشاء مجالس بلدية وقروية منتخبة لتسيير الشؤون الخاصة بالمدن والقرى ، وتمكين رعايانا من دراسة المسائل المتعلقة بها والبحث عن احسن الوسائل الكفيلة بانعاش الحياة الاجتماعية والاقتصادية فيها ، وخلال هذه السنة ذللنا ــ ولله الحمد ــ جميع الصعوبات الفنية التي كانت تحول دون انشاء تلك المجالس ، وسيجري انتخاب اعضائها في شهر مايو المقبل ان شاء الله .

الجيش يحفظ كياننا

ولا مراء في ان الاعمال البناءة ــ سياسية كانت او اقتصادية او اجتماعية ــ لا يمكن ان تؤتي ثمرتها المنشودة الا اذا كانت سيادة الوطن مصونة ، وامنه محفوظا ، وسلامة السكان وحرياتهم مضمونة ، وان قواتنا المسلحة الملكية ظلت واقفة على قدم الاستعداد لحفظ كياننا ، والدفاع عن حدودنا ، ومواجهة كل طارىء في حالة رائعة من الامتثال والثبات والتضحية والاخلاص تثير الاعجاب ، وتتناسب مع ما لابناء هذا البلد من شهامة ماثورة ، ولم تكن العناية التي نوليها نحن وولي عهدنا لهذه القوات مقصورة فقط على تدريبها وتسليحها وتوفير اطاراتها المثقفة المحنكة ، بل امتدت الى شؤونها الروحية والمعنوية ، وستظل هذه القوات محل رعايتنا لتستطيع اداء رسالتها الوطنية والاجتماعية والعمرانية على احسن وجه ، وتبقى على الدوام عدة البلاد الكافية ، وجنتها الواقية ، وحصنها الحصين الذي تتحطم على صخوره المكايد والاطماع .

التنويه بقوات الأمن

ويجدر التنويه هنا بسائر العناصر التي تسهر على حفظ الامن وحماية القانون ، وتسهم بحظها في الدفاع عن حوزة الوطن وسلامته ، من درك ، وشرطة ، وقوات احتياطية ، والاشادة بروح التضحية والحزم واليقظة التي تتحلى بها .

انشاء مجلس أعلى للقضاء

اما القضاء الذي يرعى حرية الافراد وسلامة المجتمع فانه لم يفتا يؤدي المهمة المنوطة به على احسن الوجوه واكملها ، ولم نزل نتعهده بالاصلاح والتنظيم ، ونزوده بالتشريع الملائم ، وفي هذا الباب اصدرنا قانون المسطرة الجنائية التي تحوط الافراد بكامل الضمانات مع احترام المصالح العليا للمجتمع ، ودعمنا فصل السلط بوضع نظام اساسي لرجال القضاء يبين ما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات ، وتاسيس مجلس اعلى للقضاء تحت رئاستنا ، امعانا في حفظ هيبة القضاء وضمان استقلال رجاله ونزاهتهم .

فعلنا في أربع سنين ما لم يفعل في عشرات السنين

وظل نشر الثقافة بين اوساط شعبنا وتيسير اسباب التعليم لجميع ناشئتنا محل عنايتنا واهتمامنا، وسجلنا بارتياح كبير اننا استطعنا ان نفعل في اربع سنوات بعد استرجاع استقلالنا ما لم يفعل قبله في عشرات السنين ، ففي سنة 1955 كان بمدارسنا 310 آلاف تلميذ ، فأصبح بها في هذه السنة 630 الفا ، اي مايناهز الاربعين في المائة من مجموع اولادنا الذين هم في سن التعليم ، وارتفع عدد تلاميذ التعليم الثانوي من ستة آلاف في سنة 55 الى 35 الفا يزاولون دروسهم هذه السنة في ستين ثانوية .

تكوين المعلمين والمعلمات

وسعيا في تهييء اكبر عدد من المعلمين وقع التكثير من انشاء معاهد تكوينهم ، فابتداء من أكتوبر الماضي فتحت ست مدارس اقليمية جديدة لتكوين المعلمين والمعلمات ، ويتابع اربعة آلاف تلميذ دروسهم بالمدارس الثانوية استعدادا للالتحاق بالمدارس الخاصة بتكوين المعلمين .

التعليم الاصلي تضاعف عدد تلاميذه سبع مرات

وما زلنا نولي عنايتنا المألوفة للتعليم الاصلي التقليدي الذي له أحمد الآثار فى بقاء الامة مرتبطة بدينها وحضارتها وماضيها ، ونسعى لتوسيع نطاقه حتى تضاعف عدد تلاميذه سبع مرات في ظرف اربعة اعوام ، فصار في هذه السنة 15.465 مقابل 2470 في سنة 1955 ومن مظاهر العناية به استمرارنا في تنقيح برامجه وتجديدها ، وجلب الاساتذة الكفاة له ، وتنازل جيشنا عن بعض معسكراته لطلبته ، ومنحنا 120 مليونا من الفرنك لتشييد حيين جامعيين لهم بفاس ومراكش زيادة على الاعتمادات العادية المخصصة لذلك من الميزانية العامة ، وانشاء اقسام داخلية لاسكان طلبته في بيوت سليمة مجهزة ، واعطاؤهم منحا مساوية للمنح التى تعطى لطلبة التعليم العصري .

المجلس الاعلى للتربية الوطنية

ورغبة في الاستنارة باراء المختصين في شؤون التربية والتعليم انشأنا بجانب وزارة التربية الوطنية عدة مجالس تبدي رأيها في جميع اوجه النشاط الراجع اليها ، واهمها المجلس الاعلى للتربية الوطنية.

صحـة الأبـدان

والى جانب هذه العناية التي نوليها لانارة اذهان رعايانا بالعلم حتى يكونوا قادرين على فهم مشاكل الحياة وحلها ، نولي عناية مماثلة لصحة ابدانهم رغبة في جعلهم قادرين على مواجهة تكاليف الحياة ، ولهذه الغاية واصلنا تجهيز المدن والقرى بالمؤسسات الصحية فبنيت في هذه السنة 28 مستوصفا نصفها بالقرى ونصفها باحياء المدن ، وخصصت اعتمادات مالية لتوسيع المؤسسات القديمة وتجهيزها باحسن المعدات خاصة بالاقاليم الشمالية .

تكوين الاطارات الصحية

وسعيا في توفير الاطارات الصحية بالبلد ضاعفنا الجهود لتكوين رجال الصحة من اطباء وممرضين ، وفي الاسبوع الاول من الشهر الحالى دشنا بالدار البيضاء مدرسة ابن رشد الطبية التي ستسد في المستقبل حاجتنا الى الاطباء ، وانشئت مدرستان لتكوين المرضين والمرضات بطنجة واكادير ، ووسعت المدارس الاخرى التي انشئت من قبل لهذا الغرض حيث يزاول بها الآن دروس التمريض 550 من التلاميذ ذكورا واناثا .

منظمتا التعاون الوطنى والهلال الاحمر

ولتعضيد العمل الاسعافي الذي تقوم به مختلف الوزارات واصلت منظمتا التعاون الوطني والهلال الاحمر نشاطهما الانساني الخيري ، وطافت اميرات الاسرة المالكة بمختلف جهات المملكة لتفقد مؤسسات البر والاسعاف الموجودة ، وتأسيس اخرى بالجهات التي لا توجد بها .

خطوات حاسمة في سبيل تحرير الاقتصاد

وقد تسنى لنا ان نخطو خلال هذه السنة خطوات حاسمة في سبيل التحرر الاقتصادي الذى كنا نفكر دائما فيه ونسعى لتحقيقه ، لانه كان لزاما علينا بعد تحرير سيادتنا على الخصوص ان نعمل لانشاء اقتصاد متحرر تدعم به استقلالنا السياسي وقد اتخذنا عدة قرارات نقدية ومالية واقتصادية الغاية منها توجيه اقتصادنا الوجهة التى توحي بها احتياجاتنا الخاصة ومصالحنا الوطنية وانشاء علائق مع الخارج تقوم على المساواة وتبادل المنافع ، وحماية

وطننا من عواقب القرارات التى يتخذها الغير على انفراد كما اسسنا بنك المغرب لاصدار الدرهم عملتنا الجديدة التى لم تبق كما كانت من قبل عملة تابعة والبنك الوطنى للتوسع الاقتصادى الذي يوجه الصناعة ويمنحها قروضا لآماد طويلة ومتوسطة وبنك التجارة الخارجية الذى يسعى لفتح اسواق جديدة في وجه صادراتنا ويسهل تنفيذ برامج تموين بلدنا وتجهيزه بالمعدات الحديثة .

وادراكا منا لاهمية استثمار الوفر في تنمية الاقتصاد وانعاشه اسسنا الصندوق الوطنى للتوفير وصندوق الايداع والتسيير وكلاهما يرمى الى توظيف اموال الافراد والجماعات في الميادين الاقتصادية على اننا نشجع ايضا توظيف الاموال الاجنبية ببلدنا ونمنحها كل التسهيلات والضمانات اللازمة .

وواصلنا فى نفس الوقت بذل الجهود للتصنيع فتمكن مكتب الدراسات والمساهمات الصناعية من اقامة مؤسسات صناعية متنوعة ستظهر نتائجها قريبا ، كما تويعت عمليات البحث عن المعادن ، واتسع نطاق التنقيب عن النفط ، وفى السنة المقبلة سيقام معمل عظيم لانتاج خلاصة الفوسفاط ، وتنشأ مصافي ضخمة لتكرير النفط بالمحمدية .

السياسة الفلاحية

وفي الميدان الفلاحي على الخصوص مازالت سياستنا ترمى الى تطوير البادية وتجديد الاساليب الفلاحية ونشر الروح التعاونية بين الفلاحين ، لينمو انتاجهم ، ويزداد دخلهم ، ويرتفع بالتالي مستوى معيشتهم ، ونحن نستعمل لبلوغ هذا الهدف وسيلتين اثنين .

الاولى منح صغار الفلاحين الذين لا يملكون شيئا قطعا ارضية يستثمرونها لمصلحتهم الخاصة ، ومصلحة وطنهم لقاء شروط معينة ، وفى هذه السنة باشرنا توزيع مايناهز ستة آلاف هكتار بمختلف الاقاليم ، واسترجعنا لفائدة الفلاحة اربعين الف هكتار من الاراضى التى كانت اكريت في العهد البائد للاجانب كراء رمزيا لامد طويل او منحت لهم مجانا .

والثانية عملية الحرث التى يراد منها تجديد اساليب فلاحتنا باستعمال المعدات الآلية والفنية الحديثة ، وتأسيس جمعيات تعاونية يديرها الفلاحون انفسهم بمساعدة مصالح الدولة التى تمدهم بالفنيين والاطارات والوسائل اللازمة ، وفى هذا المضمار انهت مراكز الاشغال الفلاحية حرث 300 الف هكتار فى هذه السنة من مليون هكتار المقرر حرثه خلال خمس سنوات ، وستمتد يد الاصلاح والتجديد الى المناطق الجبلية والاخرى القريبة من الصحراء ، وتزداد العناية بتربية الماشية والتشجير .

آثار التجهيز في نهضة البلد

ولم يعزب عنا ما لتجهيز البلاد فى ميدان الاشغال العمومية من آثار فى تقوية النشاط الاقتصادى ودعم اركان الرقي الاجتماعى وتوثيق عرى التعارف الوطنى ، لهذا واصلت المصالح المختصة تمهد شبكة المواصلات بالترميم ، وتكبيرها بشق طرق جديدة ، خاصة بالاقاليم الشمالية واجريت دراسات بمرسى الحسيمة والعرائش وطنجة استعدادا لتوسعها وتجهيزها .

وزعنا آلاف المساكن

وفى هذه السنة تابعنا العمل لكهربة المدن والقرى وتحسين تموينها بالماء العذب ، وثابرنا على تنفيذ سياسة محاربة السكنى الرديئة ببناء مساكن عصرية بالبادية والمدن تتوفر فيها شروط الحياة الهنيئة السليمة الكريمة واثناء تنقلاتنا عبر اقاليم المملكة وزعنا آلاف المساكين بمختلف الجهات ، وتجرى في الوقت الراهن اشغال كبرى لبناء عدة سدود تمكن من سقي آلاف الهكتارات ، وتنمية انتاج الطاقة الكهربائية .

نشاط مصالح البريد

وتابعت مصالح البريد نشاطها المعتاد ، ومن اهم نشاطها فى الميدان الدولى انخراط المغرب فى اتحاد البريد العربى ، وفى الميدان الداخلى الشروع فى تسيير الصندوق الوطني للتوفير الذي نال من السكان اقبالا عظيما متزايدا .

الضمان الاجتماعي

وشعورا بالدور العظيم الذى يقوم به العملة فى ميدان البناء والتشييد ، واصلنا بذل الجهود لتكميل التشريعات الاجتماعية التي تضمن حقوقهم

ومصالحهم وتطمئنهم على انفسهم ومستقبل أسرهم . ومن اهم التشريعات الصادرة اخيرا قانون الضمان الاجتماعي الذي يجعل العملة في مأمن من الفاقة في حالة العجز عن الاكتساب ، وقد امرنا بتوسيع نطاقه ليشمل جميع عملتنا مهما اختلفت الميادين التي يشتغلون بها ، ونحن على يقين من ان عنايتنا بمصالح العملة ورعايتنا المستمرة لحقوقهم ستزيدهم ادراكا لواجباتهم وشعورا بمسؤولياتهم وتحفزهم لمضاعفة الجهود والعمل بجد واخلاص لبناء اقتصاد متحرر سليـــم .

الأحباس تواظب على أداء مهمتها

وواظبت وزارة الاحباس على أداء مهمتها الدينية ببناء المساجد وتجديدها وتنظيم دروس الوعظ والارشاد بها والقيام بخدمات في الميدان الاجتماعي بتحسين حالة الموظفين الدينيين ، وفتح اوراش التشغيل لمحاربة البطالة ، والمساهمة في الاعمال العمرانية بانشاء قرى عصرية وتشجير الاراضي الجبسيـــة .

تكـويـن الاطـــارات

وقد امتازت السنة على الخصوص بالنشاط المتزايد والجهود المضاعفة المبذولة لتكوين الاطارات التي يتوقف عليها بناء صرح المستقبل ، وبسبب ذلك اتسع نطاق التعليم الصناعي ، والتكوين التقني ، وكثرت البعثات الموفدة الى الخارج للتعلم والتكون والتدرب في اكبر المعاهد العلمية والفنية والمهنية ، ونشير على سبيل المثال الى مدرسة المهندسين التي وضعنا في الشهر الماضي الحجرة الاولى في اساسها ، ومدرسة تكوين الاطارات ، وبعثة المهندسين الموفدين من طرف وزارة الاشغال العمومية ، والبالغ عدد افرادها 82 ، ولا نغفل الاشادة بالمدرسة الادارية التي تمد الادارة كل سنة بأفواج ذات اهمية من الاطارات الادارية ، والتي أعيد تنظيمها هذه السنة على اسس جديـــدة .

شعبنـا الوفـــي :

تلك هي الخطوط الكبرى للسياسة التي رسمناها للداخل والخارج والامثلة المقتضبة لثمار الجهود التي بذلناها لخير شعبنا ، وهي ثمار كثيرة العدد جلية الآثار اذا قيست بالمدة الزمانية التي انجزت فيها وفي ذلك مايدل على العناية الربانية التي تحفنا ، والتوفيق الالاهي الذي يحالفنا ، فلا يسعنا الا ان نشكر الله سبحانه على ما اسدى وانعم لأن شكر النعم كفيل ببقائها موذن بازديادها .

وقد بقي علينا ان نشير الى الاهداف السامية التي نسعى سعيا حثيثا لبلوغها ، والاعمال التي نعتزم القيام بها في المستقبل القريب .

الجلاء ووحدة التراب الوطني

وبديهي ان يبقى في مقدمة هذه الاهداف تحقيق جلاء القوات الاجنبية المرابطة ببلدنا ، واسترجاع الاراضي المغتصبة من ترابنا الوطني ، وبسط رعايتنا على افراد شعبنا الذين فصلوا عن وطنهم بغير ارادتهم ولا موافقة سلطتهم الشرعية .

الولايات المتحدة تعترف بسيادتنا على قواعدها فـي المغـــرب

وقد سنح لنا اخيرا عندما كان رئيس حكومتنا وزير خارجيتنا يستعد للسفر للولايات المتحدة ان كلفناه باجراء اتصالات مع القادة الامريكيين لاتمام المحادثات التي كنا اجريناها معهم خلال زيارتنا لواشنطون منذ سنتين ، وزودناه بتعليماتنا في هذا الشان ، فكانت النتيجة الاولى التي اسفرت عنها تلك المحادثات صدور بلاغ مشترك تعترف فيه حكومة الولايات المتحدة بسيادتنا على قواعدها العسكرية بالمغرب ، وتعبر عن قبولها مبدأ الجلاء ، واستعدادها للتفاوض معنا في ذلك ، ومن شان هذا قطعا ان يعزز اواصر الصداقة التقليدية التي تجمع شعبي المملكة المغربية والولايات المتحـــدة .

نؤمل أن تعالج فرنسا واسبانيا المشاكل المعلقة بـــروح التفهـــم

ونحن نؤمل ان تقف فرنسا واسبانيا نفس الموقف فيما يخص اجلاء جنودهما واحترام حدودنا ووحدة اراضينا ، وتعالجا تلك المشاكل بروح وحسن الاستعداد ابقاء على ما بيننا من صداقة مكينـــة وعلائق طيبـــة .

الحرية كل لا يتبعض

وسنواصل السعي لتقوية اواصر الاخاء والتضامن والتعاون بين اقطار المغرب العربي ، واعادة السلام الى الجزائر بتحقيق مطامح شعبها الابي ، والدفاع عن حقوق الشعوب المغلوبة على امرها ، لان الحرية كل لايتبعض ، وحق طبيعي لجميع الشعوب .

خطوة اولى فى التدرب على تطبيق الديموقراطية

وسيستدعى رعايانا قريبا لانتخاب مستشاريهم البلديين والقرويين ، ويتعلق الامر بتجربة صعبة يلزم القيام بها بما يجب من التبصر والحكمة ليكون نجاحها مضمونا ، وسيجد شعبنا نفسه بعدها يمارس تطبيق الديموقراطية ويتدرب عليه تدريبا من شانه ان يجعله يستخلص من لفظ الديموقراطية معناه الحقيقي ومضمنه الاخلاقي والفلسفي ، ويدرك ان الحقوق التي تخولها الديموقراطية تستلزم شعورا بالواجب ، واخلاصا مستمرا له لكي تبقى تلك الحقوق محترمة ، ويتحقق التعادل بين الحاكمين والمحكومين ، على ان التجربة التي سنقدم عليها ليست الا خطوة اولى تتلوها ان شاء الله خطوات اخرى في هذا المضمار ، يكون الغرض منها تمكين رعايانا من المساهمة مساهمة مباشرة متزايدة فى تخطيط السياسة الوطنية ، وتسيير الشؤون العمومية حسبما امرنا عنه وبيناه فى كثير من المناسبات .

التصميم الخماسى

وسنواصل العمل الذى بدانا، هذه السنة لتحرير اقتصادنا ، كما سنشرع فى تطبيق التصميم الخماسى الذى تنكب الآن على وضعه لجان متخصصة ينتمي بعض اعضائها الى المصالح العمومية ، وبعضهم الآخر الى المنظمات الوطنية ولا مراء فى أن انجاز التصميم هو السبيل الوحيد المفضى الى الازدهار الاقتصادى والرقي الاجتماعى بالنسبة لبلد كبلدنا كثرت متطلباته وعظمت احتياجاته .

رعايانا الأوفياء :

التطور فى نطاق الاسلام والقومية

انكم تعلمون جهدنا المتواصل لتحرير المغرب ، ورغبتنا القوية فى الاحتذاء حذو الدول الحديثة فى تنظيمه والاستفادة له من العلوم وفتوحات العقل البشرى ومكاسبه فى النصف الثانى من القرن العشرين ، وحرصنا على ان يتم تطوره فى نطاق المحافظة التامة على شعائر الاسلام وتعاليمه ، والاعتزاز العميق بالقومية المغربية ، بل نحن لا نتصور ان يتطور المغرب خارج هذا النطاق ، فالاسلام فى جوهره دين يسر سمح يكفل الاستقرار والتقدم والسعادة والرفاهية للذين يتبعون هديه ، ويفسح لهم مجال التفكير والبحث والاجتهاد ، فمع سماحته وعدالته ليست بنا حاجة الى اعتناق المذاهب المادية الاجنبية المتنافية مع معتقداتنا وانظمة مجتمعنا ، ومن جهة اخرى فنحن امة تجر وراءها ماضيا حافلا بالمناقب الخلقية ، والمآثر العلمية ، والمواقف البطولية، وغير خليق بنا ان نتنكر لأمجادنا ونستخف بماضينا ، لان مقوماتنا الوطنية هى النبراس الذى ينير لنا سبيل المستقبل ، بل هي الدافع الاكبر الذى يحفزنا اليوم لطلب المعالى كما حفزنا من قبل لاستعادة كياننا السياسى .

رعايانا الأوفياء :

من جد وجد

يجب ان تكون الحقائق رائدكم ولا تنخدعوا لسراب الاوهام فالنظريات المجردة لم يعد لها فى عالم اليوم حول ولا قوة الا بقدر ما تكون مرتبطة بالحقيقة قريبة من الواقع ، وينبغى أن نتذكر ان الامم التى سادت فى مختلف العصور وشادت ، واحرزت قصب السبق فى مختلف الميادين انما بلغت الى ما بلغت اليه باجتماع كلمتها ، ووحدة صفها ، وتقديرها الصائب للاشياء ، وايثار ابنائها المصلحة العامة على المصلحة الخاصة واقبالهم على الاعمال البناءة بجد ونشاط ، وقد راينا امما لم تكن منذ مائة سنة شيئا مذكورا اجمعت امرها ، وعبات قواها لبناء صرح عزتها وسعادتها ، فاصبحت اليوم اقوى الامم ناصرا واكثر عددا ، بينما ابتليت شعوب ذات ماض تاريخى ناصع بالجدل وقلة العمل واختلاف الرأي وتعدد الشيع وعرقلة كل عمل بناء فوقفت حيث هي وخلفها موكب التطور السائر الى الامام باستمرار ، واننا نحذر أمتنا أن تكون من هذه الامم ، وتبتلى بما ابتليت به من مثبطات العزائم ومحبطات الاعمال .

وكان فى اديهم نظرات اسطورية واعتقادات خرافية ، تختلط فيها الآلهة المتعددة الكثيرة مع مظاهر الطبيعة ، وتلتبس تصرفات تلك الآلهة مع حوادث الكون .

اما الكتب الدينية السابقة كالتوراة فانها لم تعط عن الكون فكرة واضحة مفصلة ، بل انها لم تعط عن الالهة الخالق الواحد الا الفكرة التي يستطيع العقل الفض ان يستوعبها فجاءت الاديان السابقة خالية من فكرة محيطة ونظرة شاملة واضحة عن الانسان والخالق والكون والحياة .

ولو استعرضنا نصوص القرآن الكريم مستجلين فكرته مستهدين بآياته لتبدت لنا فيه نظرة واضحة الى الوجود .

ان الاسلام منذ اول ظهوره ومن بدء دعوته جاء بنظرة عن الكون والحياة شاملة ، ممتدة الافـق ، واضحة الخطوط والمعالم ، مفصلة الاجزاء مرتبطة الاقسام ، مطردة الحوادث ، متحررة من خرافة العصور السالفة وخيالية المذاهب العقلية والفلسفية ، تحتل العقل من ناحية والقلب من ناحية اخرى ، فتحيط بالفكر والعاطفة ، وتولد من تظاهرهما عملا وسلوكا .

لقد كانت نقطة البدء فى عرض القرآن لنظرة الاسلام وفكرته من الانسان نفسه ، وما يحيط به من واقع الكون واجزاء الطبيعة واجناس المخلوقات ، وما يلابس حياته ويلامس حواسه من حوادث الطبيعة .

وبعد ان يستعرض القرآن مشاهد الطبيعة مشهدا مشهدا ، ويطوف بنا فى اجزاء الارض واجناس مخلوقاتها ، ويحلق بنا فى اجواء النجوم والكواكب وهي تجري فى افلاكها ، ويقف بنا امام المخلوق الكريم – الانسان – ويستعرض مراحل حياته مرحلة مرحلة ، بعد هذه الرحلة الطويلة ينتقل بنا الى التفكير فى قصة خلقها وبداية نشأتها وسبب وجودها . ولنقف الآن فى المرحلة الاولى لنتعرف الى نظرة الاسلام الى الكون والطبيعة والانسان وكيف يعرضها ، وما هي صفاتها وخصائصها ، وأي أثر كان لها فى آفاق الحضارة ، متخذين القرآن اساسا لهذه الدراسة معبرا عن هذه النظرة .

الطبيعة فى القرآن

لقد فاجا القرآن العرب والعالم اجمع بصورة مفصلة عن الطبيعة ، تضع الانسان وجها لوجه امام مشاهدها كما تبدو للحس وفى الواقع ، مستعرضا اجزاءها الكبيرة والصغيرة ، وانواعها واجناسها ، وحركتها وسكونها ، ومراحل نمو مخلوقاتها الحية النامية من انسان وحيوان ونبات . وهو اذ يعرض هذه الطبيعة يعرضها مجردة من الاساطير ، متحررة من الخرافات ، لا تحرك اشجارها الارواح ، ولا تهيج رياحها الشياطين ، لها من تتابع حوادثها واتصال اجزائها ما يعلل النتائج ، ومن اطراد حوادثها ما ينأى بها عن التبدل الكيفي ويجعل لها سننا مطردة وقوانين مستقرة .

واليك نموذجا رائعا لما يعرضه القرآن للطبيعة من صور تجد فيه ما ذكرت من صفات الطبيعة كما عرضها ، وسنعقب عليه بذكر صفات وخصائص اخرى نستنتجها بعد ان نقرأ هذا النص القرآني ونمعن التأمل فيه . قال تعالى (فى سورة النحل) :

« **خلق السموات والارض بالحق ، تعالى عما يشركون** » . فالسموات والارض هي تلك الصورة المجملة والاطار الجامع . ثم يأتي تفصيل الاجزاء مبتدئا بالانسان :

« **خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين . والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون . ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون. وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ، ان ربكم لرؤوف رحيم . والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ، ويخلق ما لا تعلمون** » .

وبعد هذا الاستعراض لانواع من الاحياء ، منها الانسان ومنها انواع عددها وانواع لم يعددها ولم يحددها « **ويخلق ما لا تعلمون** » ينتقل بنا الى عالم النبات والانواء والافلاك والكواكب والحوادث المتصلة بها من ليل ونهار :

« **هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون . ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون . وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون وما ذرأ لكم فى الارض مختلفا الوانه ان فى ذلك لآية لقوم يذكرون** » .

ثم ينتقل بنا الى اجزاء الارض التي نعيش عليها :

« وهو الذي سخر البحر لتاكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون . والقى في الارض رواسي ان تميد بكم وانهارا وسبلا لعلكم تهتدون . وعلامات وبالنجم هم يهتدون » .

ان الطبيعة كما تبدو في هذه الآيات **كل يشتمل على اجزاء** ، وهي بعد هذا موضوع يستحق التفكير واثر يسترعي التامل والنظر في اتصال اجزائه وتتابع اقسامه واطراد حوادثه . لقد ازال القرآن ما بين الانسان والطبيعة من عوائق كان الاعتقاد بها يحول بينه وبين صحة النظر وصدق التفكير فبدت الطبيعة عريانة متجردة . انها طبيعة يستطيع العقل ادراكها ، فهي معقولة ، لها من ذاتها عللها ومن توعها اسبابها : فالماء الهاطل ينبت به الزرع ، ورواسي الجبال تمنع ميدان الارض واضطرابها .

انها طبيعة مطردة الاسباب ، منتظمة الحوادث ، لا تتلاعب بها اهواء آلهة عديدة مزورة ، بل هي منبثقة عن تصميم اله حكيم ، وتنظيم خالق مدبر . ان فكرة القانون او السنن الكونية واضحة في هذه الآيات ، كما هي بادية في آيات اخرى ، كقوله تعالى :

الم تر ان الله انزل من السماء ماء **فسلكه** ينابيع في الارض **ثم** يخرج به زرعا مختلفا الوانه **ثم** يهيج فتراه مصفرا **ثم** يجعله حطاما ان في ذلك لذكرى لاولي الالباب» ــ الزمر 21 ــ لاحظ ما في الآية من حروف العطف الدالة على التعاقب بين الحوادث . وكذلك في قوله تعالى : « الم تر ان الله يزجي سحابا **ثم** يؤلف بينه **ثم** يجعله ركاما **فترى** الودق يخرج من خلاله » ــ النور ــ . وقوله ايضا : « ألم تر ان الله انزل من السماء ماء **فتصبح** الارض مخضرة » ــ الحج ــ .

وتأمل هذا المشهد الفلكي الذي يعرضه القرآن في انتظام حركاته وانسجام اجزائه وتتابع حوادثه ودقة تدبيره واحكامه .

« وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون . والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم . والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم . لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون » .

بل ان القرآن اذ يعرض الطبيعة في هذا الانسجام والانتظام والاحكام يشير الى فكرة (الكمية) ويلفت النظر الى ما في الطبيعة من مقادير محسوبة ونسب رياضية :

« والارض مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل شيء **موزون** وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين وان من شيء الا عندنا **خزائنه** وما ننزله الا **بقدر معلوم** وارسلنا الرياح لواقح فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه وما انتم له بخازنين » ــ الحجر 19 ــ 22 ــ

وكذلك قوله في سورة الاسراء :

« وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا **عدد السنين والحساب** وكل شيء فصلناه تفصيلا » (1) .

وقد اشار القرآن الى اصغر الكميات والمقادير وكرر استعمال تعبير « مثقال ذرة » فقال :

« لا يعزب عنه **مثقال ذرة** في السموات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين » ــ سبأ 3 ــ ومثلها في سورة يونس : 61 .

وجمع القرآن هذه الظاهرة الرياضية في الطبيعة على وجه التعميم بقوله : « **وكل شيء عنده بمقدار** » ــ الرعد 8 ــ .

ويعرض علينا القرآن الطبيعة **مصنفة** في انواع مختلفة تشترك في صفات تجمعها وتفترق في اخرى تميزها فهذه انواع الاحياء ، ومنها الانسان ، معروضة مصنفة :

« والله خلق **كل دابة من ماء ، فمنهم** من يمشي على بطنه ، **ومنهم** من يمشي على رجلين **ومنهم** من يمشي على اربع ، يخلق الله ما يشاء ، ان الله على كل شيء قدير » ــ النور 45 ــ .

---

1) نضيف الى هذه الشواهد آيات اخرى تضمنت فكرة الكمية كقوله تعالى : « **وخلق كل شيء فقدره تقديرا** » (الفرقان) ، وقوله : « **وانزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه في الارض** » (المؤمنون) وقوله : « **وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا** » (الانعام) .

وجاء في سورة الانعام : « وما من **دابة** في الارض ولا **طائر** يطير بجناحيه الا **أمم** امثالكم » .

وقد جمع الحيوان والنبات في موضع آخر جاعلا التلاقح والتزاوج وصفا مشتركا جامعا : « سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون » ـ يس ـ ، وخص النبات وحده في قوله : « وانبتت من كل زوج بهيج » وقوله : « اولم يروا الى الارض كم انبتنا فيها من كل زوج كريم » ـ الشعراء ـ ، ثم عمم في قوله : « **ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون** » ـ الذاريات : 49ـ

لقد اصبحت هذه الطبيعة بانواعها واجناسها ومقاديرها وكمياتها وانتظام حوادثها واطراد سننها مكشوفة لنظر الانسان يسرح فيها فكره ويعمل فيها عقله لاكتشاف سننها وصلات اجزائها وحوادثها بعد ان ازيل ما بينه وبينها من اوهام وخرافات واساطير وقد جاء عمل الرسول صلى الله عليه وسلم واقواله بيانا وايضاحا لهذه النظرة القرآنية فقد ورد في الحديث ان الشمس كسفت في اليوم الذي مات فيه ابنه ابراهيم فقال الناس انها كسفت لموته ، فخرج الرسول الكريم مغضبا يجر ازاره وصعد المنبر وقال : « ان الشمس والقمر لا يكسفان لموت احد ولا لحياته ولكنهما آيتان من آيات الله تعالى يريهما عباده » (2) كما انه ندد بالتمائم التي تعلق للاولاد ونهى عنها وعن الرقي والتطير وقال : الطيرة شرك (3) . ونفى وجود الهامة والغول ، ونهى عن العيافة (زجر الطير) وعن الطرق وهو الضرب بالحصى او الخط بالرمل ، ونهى عن اتيان العرافين والكهان المتنبئين ، وامر باتخاذ الاسباب الظاهرة المعروفة في كل امر من امور الدنيا .

وقد كان قبل الاسلام من يعتقد ان **الملائكة** ارباب او بنات لله ، وان **الشيطان** له على البشر سلطان ، وان **الجن** يتصرفون في الكون لانهم شركاء لله ، فأبعد القرآن هذا التصورات والافكار ، فنهى عن اتخاذ الملائكة اربابا ووصفهم بانهم عباد مكرمون ، كما نهى عن اعتبار الجن شركاء لله يتصرفون كما يشاءون بهذا الكون :

«وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا بنين وبنات» ونفى سلطان الشيطان على الانسان : **«ان عبادي ليس لك عليهم سلطان»** فليس هو الا مخلوقا متمردا مطرودا من رحمة الله .

واذا استعرضنا كل ما ورد في القرآن الكريم في وصف الكون ومشاهده وحوادثه لا نجد اثرا لتدخل خارج عن الطبيعة ولا لاسباب غير تلك التي اودعها الله فيها : فالرياح تسوق السحب ، والسحب تتراكم فيتقاطر الماء من تراكمها ، ويهبط الماء الى الارض فيسقي الزرع او يسلك في باطن الارض ثم يخرج ينابيع تسقي النبات ، والنبات ينمو ثم يكبر ويهيج ثم يذبل ويكون حطاما ، ذلك ما عرضه القرآن في مواطن عديدة من سوره ، فهل في هذا العرض تدخل لغير قوة الله الخالقة المقدرة لهذه القوانين والسنن المطردة ؟ وحديث تأبير النخل مؤيد لهذا الاتجاه بوضوح (4) .

والطبيعة بعد هذا كله مفتوحة للانسان معروضة لاستثماره ، يمكنه ان يسخرها ويخضعها ، ولم تعد الطبيعة او بعض اجزائها الها ، فلا الشمس ولا القمر ولا غيرهما تستحق العبادة « **لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن** » ، بل على العكس من ذلك ، ان كل ما في الطبيعة مهيأ لامكان استفادة الانسان منه واستثماره ، فالشمس والقمر والنجوم مسخرات للانسان يستنير بضيائها ونورها ويهتدي بها ، والبحر مسخر للانسان يأكل من حيتانه ويستخرج لؤلؤه ويمخر بسفنه عبابه ، والانعام فيها للانسان دفء ومنافع ، والشجر كلوا من ثمره اذا اثمر وينعه ، والماء الذي يهطل منه شرابه وبه ينبت الزرع الذي يأكل من

---

2) اخرجه الستة راجعه بهذا النص في تيسير الوصول ج 2 ص 310 .

3) اخرجه ابو داود والترمذي . راجع كتاب الطيرة و الفال في تيسير الوصول ج 3 ص 167 و ج 2 ص 168 .

4) ورد هذا الحديث في مسند احمد ، واخرجه مسلم ، وله روايات تختلف في الفاظها والمعنى واحد ، عن طلحة ابن عبد الله قال : مررت مع النبي صلى الله عليه وسلم في نخل المدينة فرأى أقواما في رؤوس النخل يلقحون النخل فقال : « ما يصنع هؤلاء » فقالوا : يأخذون من الذكر فيضعون في الانثى يلقحون به ، فقال: « ما أظن ذلك يغني شيئا » فبلغهم فتركوه ، فلم يحمل تلك السنة شيئا ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « انما هو ظن ظننته ، ان كان يغني شيئا فاصنعوا ، فانما انا بشر مثلكم ، والظن يخطىء ويصيب ، ولكن ما قلت لكم قال الله عز وجل ، فلن اكذب على الله». (مسند احمد ج 1 ص162 و ج3 ص 152 ، شرح النووي على مسلم ج 15 ص 116 — 118) .

ثمره ، ولم يذكر القرآن ناحية من نواحي الطبيعـة الا ذكر معها فائدة الانسان منها ، ويجمع ذلك كله ما ورد في سورة لقمـان **«الم تروا ان الله سخر لكم مـا في السموات وما في الارض واسبغ عليكم نعمـه ظاهـرة وباطنـــة»** .

لقد ازال القرآن ما بين الانسان والطبيعة مـن حواجز وسلطه عليها ودفعه الى استثمارها فكان بذلك مجافيا لنظرة التزمت المخالفة للفطرة الطبيعية ولذلك اطلق القرآن على متع الطبيعة والنعم المبثوثة فيهـا الفاظا محببة فسماها تارة (الطيبات) واخـــرى (زينة الله) واستنكر موقف المبتعدين عن استثمارها والاستفادة منها : « **قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق** » واعتبر ما في الكون نعما من الله بها على الانسان .

ومن صفات الطبيعة في نظر الاسلام كما يعرضها علينا القرآن الكريم انها جميلة وقد اشار الله في الكتاب العزيز الى وصف الجمال في مواطن كثيرة منها ما مـر في الآيات التي استشهدنا بها من سورة النحل وغيرها :
ولكم فيها **جمال** حين تريحون وحين تسرحون — لتركبوها **وزينة** — وما ذرا لكم في الارض **مختلفا الوانه** — وتستخرجوا منه **حلية** تلبسونها — حدائق ذات **بهجة** — من كل زوج **بهيج** .

فالكون او الطبيعة اذن في نظر الاسلام مسرح واسع للتفكير وهدف للتسخير والاستثمار وموطـن للجمال ومتعة .

الانســــان

وقد خص الاسلام واحدا من هذه المخلوقـات الموزعة في الكون بالتكريم والاعظام وهو الانسان . وقد ذكره القرآن حينا على انه واحد من تلك المخلوقـات وجنس من اجناسها ، فذكره مع ما يدب على الارض من الاحياء ووضعه من هذه الناحية في موضعه مـن الاطار العام للكون .

« **والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على اربع يخلق الله ما يشاء** » — النور — .

ولكنه خصه بعد ذلك بالذكر والتكريم وقص علينا قصة خلقته الاولى بمراحلها :

« **وبدانا خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكـرون** » — السجدة —

انه لمخلوق عجيب انه من اصل ترابي ثم اصبح يتناسل كسائر انواع الحيوان ، ثم كان خلقا سويا . وفي آخر هذه المراحل ونهايتها ، وحين نضج وكمل ، جعلت فيه نفخة من روح الله ، وبلغ الامر بتكريمه ان تسجد الملائكة له :

« **اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين** » — ص — .

ان الانسان في هذا الكون يمتاز من سائــر المخلوقات بانه يستثمرها ويسخرها لمصلحته ، ويتصرف ويتقلب في آفاق هذا الكون الفسيحة ، ولذلك كانت له من بين جميع المخلوقات منزلة ليست لغيره منها :

« **ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممـــن خلقنا تفضيلا** » — الاسراء — .

ان هذه النظرة الشاملة الى الانسان جديدة كل الجدة . فقد عرف العرب الانسان المنتسب الى القبيلة او القوم ، وقسم الرومان البشر ناسا وبرابرة، وخاطبت التوراة بني اسرائيل ، اما القرآن فقد فاجأ النـاس بفكرة شاملة عامة عن الانسان ، كما فاجأهم بصـورة جامعة كاملة عن الطبيعة . ان الانسان هو الانسان ، سواء اكان قديما ام حديثا ، منتسبا الى هذا القوم او ذاك ، وسواء اكان ذكرا أم انثى . انهم جميعا من أصل واحد ومن طبيعة واحدة :

« **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيـــرا ونساء** » — النساء —

« **يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا** » — الحجرات —

ولقد تكرر لفظ الانسان والناس في القرآن اكثر من مائتي مرة ، كما تعرض لوصف الانسان وصفا عاما في مراحل خلقته : « **ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقـة**

فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين » ــ المؤمنون ــ

وفيما يتمتع به من حواس السمع والبصر والتفكير : «**وهو الذي أنشأ لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون** » ــ المؤمنون ــ

وقد وصف القرآن **الانسان** كما هو في واقعه بغرائزه ونزعاته وما يحب من شهوات وما يتمتع به من عقل وارادة بجعلانه اهلا للتكليف والاختبار وتحمل الامانة التي لم تتحملها السموات والارض .

هذا هو الفرد الانساني ، واما **المجتمع** ، فطالما ذكر القرآن اقواما وشعوبا تقلبوا بين الحياة والهلاك ، والنعيم والبؤس ، وقد اعطى بذلك **صورة عن المجتمع الانساني** غير مقصورة على عصر او امة ، وكأن مواكب الانسانية تمر امامنا وهي **متشابهة تشابه الطبيعة تسري عليها سنن مطردة وقوانين ثابتة لا تتبدل ،** فالظلم يؤدي بالمجتمع الى الدمار ، والترف ينتهي الى الهلاك : « **فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد ، افلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها او آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور** » ــ الحج ــ .

ان البشر متساوون في اصل خلقتهم من حيث قيمتهم الانسانية فكلهم عباد الله ، ولكنهم متفاوتون في قدرتهم ومواهبهم ، فلا بد من تعاونهم : « **ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا** » ولكن هذا التفاوت قد يؤدي الى ظلم الضعفاء ، لذلك وجب اقامة العدل بينهم ولو ادى ذلك الى استعمال القوة في سبيل حماية المستضعفين .

ان نظرة الاسلام الى الانسان جديدة كل الجدة . وقد ارتفع بنا القرآن الى مستوى عال جدا يسمو فوق القبليات والقوميات ، وفوق العصور والاجيال ، ليطل على الانسانية العابرة والآتية ، وليدلنا على الانسان من حيث هو انسان ، كما انه كشف لنا من جهة اخرى عن النفس الانسانية ، بما فيها من حب للشهوة والزينة ، واللهو واللعب ، وما يجيش فيها من رغبات ، وحاول ان يرتفع بها من واقعها الذي لا يمكن انكاره والتعامي عنه الى المثل الاعلى والجهاد في سبيل الحق والعدل ومرضاة الله .

الى هنا ينتهي طوافنا مع الاسلام في استعراض الكون والطبيعة والانسان استعراضا سريعا موجزاً . ونقف هنا قليلا لنقول ان هذا العالم الذي وصفناه هو ما يسميه القرآن **عالم الشهادة** .

والاسلام في نظرته الى هذا العالم شارك الماديين في نظرتهم الى الكون وحوادثه وسننه وقوانينه، وشاركهم كذلك في ان السمع والبصر والتفكير والعقل هي ادوات الوصول الى معرفة حقائقه ، ولذلك طالما كرر القرآن الامر بالنظر والتفكر والتدبر ، ونسب الى المتأملين الالباب والعقل . ولكن الاسلام اذ يمر بنا في آفاق الكون والطبيعة وآفاق النفس الانسانية لا يقف بنا في المسير حيث تقف النظرة المادية ، بل يستمر حتى ينتقل من الكون الى موجده ، ومن الانسان الى خالقه ، ومن الحياة الانسانية الى ما وراءها .

ان القرآن بعد ان ينظر الى الطبيعة تلك النظرة الموضوعية المتحررة من الاساطير ، وتلك النظرة الرابطة للحوادث الناظمة لها في سنن عامة ، يلفت نظرنا الى الخلق الاول والنشأة الاولى ، ويضعنا امام اعتقاد لا محيص لنا عنه ، وهو ان الكون العظيم الدقيق المنظم المطرد لم يوجد مصادفة ولا عبثا ، ولكنه منبثق عن قوة خالق حكيم عليم خبير . ان الكون موجود متبدل منظم ، فمن أوجده لاول مرة ، ومن الذي فطره على سننه الثابتة ؟

« **ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون . أفرأيتم ما تحرثون . أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون . لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون . انا لمغرمون بل نحن محرومون . أفرأيتم الماء الذي تشربون . أأنتم انزلتموه من المزن أم نحن المنزلون . لو نشاء جعلناه اجاجا فلولا تشكرون . أفرأيتم النار التي تورون . أأنتم انشأتم شجرتها أم نحن المنشئون . نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين** » ــ الواقعة ــ

وفي نهاية الاستعراض الشامل الذي عرضته علينا آيات سورة النحل التي سردناها في بدء كلامنا « **خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون . خلق الانسان من نطفة .. الخ** » يفاجئنا هذا السؤال : « **افمن**

يخلق كمن لا يخلق ، افلا تذكرون » ليوصلنا الى الجواب ذلك ان للكون خالقا . وعلى هذا النسق يسوق القرآن كل ما يسوق من مشاهد الكون مقرونا بالمنشيء الخالق والفاطر المبدع (5) .

ان ارتفاع فكرة الله الخالق الذي لا يشابه في وجوده وصفاته الكون المخلوق قد هبط حالا بكل فكرة اخرى تقوم على تأليه الطبيعة او جزء منها او فرد من افراد البشر ، فتتساوى المخلوقات ويرتفع الانسان بمقدار ما اوتي من عقل مفكر وارادة فاعلة وروح مستمدة من الله . ومن خلال النظر الى آفاق الكون ومسارح الطبيعة ينظر الانسان الى خالقه ، ويصبح نظره الى الطبيعة وتأمله فيها وتفكيره المتواصل في عجائب سننها انما هو في الوقت نفسه اكبار لعظمة الله واعجاب بقوته وصنعته وتسبيح بحمده ، وبذلك تنتهي النظرة الفكرية الموضوعية دون ان تخل خصائصها الى نظرة الهية رائعة ، وكذلك فان الانسان ، في استثماره للطبيعة وتسخيره لما فيها وتمتعه بما فيها من ثمار طيبات وما فيها من جمال ومتعة وزينة ، يدفعه الاسلام دفعا الى الامام ، ويطلب اليه ان لا يقف عند هذا الحد ، وان لا يجعل من هذا الاستثمار والتمتع الطبيعي غاية له في الحياة ولا هدفا نهائيا للسعي والعمل ، وبذلك **يشارك الاسلام الماديين في التمتع بما في الحياة** من متع مشروعة طبيعية ، ولكنه يسير اذ يقفون ، **ويجعل فوق حياة التمتع حياة اسمى** ، هي حياة الروح ونشاطها وفعاليتها ، ويجعل من بعد ذلك لهذه الحياة امتدادا مستمرا دافقا لا ينتهي ، وبعد مظاهر الفناء بقاء ، ان الجزء الترابي منه يتحطم كما يتحطم النبات ، ولكن الجزء الروحي باق مستمر يتصل بحياة اخرى وعالم آخر ، ويصير الى الله الخالق . ان وراء ابتلاء الحياة حسابا ، وان ما اوتي الانسان من عقل وارادة يجعله مسؤولا ، وان الحياة التي نعيشها في هذا الكون هي الحياة القريبة الدنيا ولكن وراءها حياة بعيدة اخرى تتجلى فيها المسؤولية الانسانية في اجلى صورها وادق آثارها .

ولذلك كانت نظرة الاسلام الى متع العيش ونعم الحياة على انها نعم من الله وضعت في يد الانسان وسلط عليها ، فتمتزج نظرة الانسان خلال تمتعه بطيبات العيش بشعور عميق هو الشعور بنعمة الاله المنعم وشكره ، ووعي لذاته ولما يحيط به ، وادراك لحياته الفانية القريبة والباقية البعيدة . وتنتهي المتعة المادية في الحياة بنظرة اخلاقية تنبثق عن شعور عميق بالمسؤولية : مسؤولية الامانة الالهية في هذه الحياة ، ومسؤولية استخلاف الانسان في هذه الارض .

ويلاحظ القاريء المتأمل للآيات التي يعرض فيها القرآن الكون المسخر للانسان والفائض بالنعم والطيبات انها تقترن دوما بما يشعر بالشكر وما يدل على الاقرار بالفضل وتحميل المسؤولية وترقب نتائجها البعيدة .

ان الكون في نظر الاسلام كما بدا من الله ينتهي اليه . ان الاسلام يوسع افق النظر ويزيد بذلك على النظرة المادية بعد ان يشاركها بتحديد آفاق الكون والحياة من حيث البداية والنهاية ، وهكذا تبدو لنا علاقة الانسان بالطبيعة في النظرة الاسلامية واضحة متميزة عن نظرة الماديين والروحيين **في آن واحد** .

فالروحيون يتناسون الكون والطبيعة والواقع ، واقع الانسان وواقع الطبيعة كليهما ، والماديون يحدون نظرتهم بالكون المادي ويقفون ، وتصبح علاقة الانسان بالكون والطبيعة علاقة مادية جافة غير اخلاقية ، فالطبيعة غاية التفكير من الوجهة العقلية ، وغاية التمتع من الوجهة العملية .

واما في نظرة الاسلام فامام الانسان طبيعة تنهي الى الله الخالق المبدع المنعم ، سواء في نظرته العقلية وتفكيره ام في شعوره في حياته العملية ، فتتصف نظرته باللانهائية والخلود والاخلاقية ، وان من اعظم مزايا النظرة الاسلامية الفصل شبه التام بين ما يسميه عالم الشهادة وعالم الغيب . فلكل منهما آفاقه ووسائل ادراك حوادثه ومعرفة حقائقه ، ولذلك فان نظرة الاسلام الغيبية تتضمن الايمان بالله الخالق وبالحياة الاخرى وبذلك العالم الآخر الذي تخفى على حواسنا حوادثه وسننه بل صلاته بالعالم المحسوس .

---

(5) في القرآن الكريم آيات كثيرة تصور مشاهد الكون لتنتهي منها الى الخالق المبدع . راجع بوجه خاص في سورة يس من قوله تعالى : « وآية لهم الارض الميتة احييناها ... » الى قوله : « في فلك يسبحون » وقوله تعالى : « ان الله فالق الحب والنوى ... » الى قوله « لقوم يؤمنون » من سورة الانعام .

فعالم الشهادة عالم الطبيعة المحسوسة ، له سننه وقوانينه التي تنظم حوادثه ، والحواس ، وخاصة السمع والبصر ، وسائل لمعرفته مستعينة بالعقل (6) وهو في هذا يتفق مع النظرة العلمية التي تخضع الطبيعة وتستنتج قوانينها ، وتربط حوادثها وتكتشف اسرارها .

واما عالم الغيب فطريق معرفته الاجمالية العقل . ولكنه وحده لا يستطيع ان يهتدي في مجاهله ولا بد من الاستعانة بملكة الروح في بعض الافراد الممتازين المصطفين ، وذلك هو طريق الوحي والنبوة والكشف الروحي .

ان تجاوز النظرة المادية في الطبيعة والانسان والمجتمع الى الله الخالق القدير ، المنظم المنعم ، الذي هو المثل الاعلى الكامل للكون والانسان الناقصين ، يرتفع بالانسان في نظرته وسلوكه ارتفاعا كبيرا ولا سيما في خلقه وغاياته . وان هذه النظرة التي قدمها الاسلام الى العالم تركت آثارا عميقة في مجرى التاريخ البشري . وليست القضية ان الاسلام نقل بعض الشعوب من شكل من اشكال العبادة الى شكل آخر ، ان القضية اعمق من ذلك بكثير ، فان نظرة الاسلام الى الوجود غيرت مجرى تاريخ الحضارة وبدلت معالمها ، سواء في آفاق الحياة الفكرية او العملية او الاجتماعية او غيرها .

لم يقتصر هذا الانقلاب العميق على حياة الامة العربية ، التي كانت اول من تبلغ الاسلام وفهمه وتمثله وتجاوب معه ، بل تناولت امما كثيرة ، سواء منها من اسلم ومن بقي على دينه . ولقد كان شرف العرب في انهم نقلوا هذا المفهوم الجديد الثوري الى العالم ، فعرفوا به وعرف بهم ، وامتزجوا به وامتزج بهم .

لقد كان للنظرة الاسلامية الى الحياة والكون اثرها العميق الفعال في تاريخ الحضارة واتجاه سيرها في جميع ميادين الحياة . لقد نقل الاسلام العالم من النظرة الخرافية والميتافيزيكية والمجزاة الى النظرة الشاملة الجامعة الموضوعية والتجريبية المتنظمة في سنن وقوانين ، وفتح آفاق التفكير العلمي فسار البحث العلمي في طريق جديدة ، وانتقلت العلوم الطبيعية من المرحلة العقلية النظرية عند اليونان الى المرحلة التجريبية منذ القرن الثاني للهجرة ، وانتهت الكيمياء والفيزياء والفلك الى مرحلة التجربة واكتشاف القوانين ، بظهور امثال الجاحظ وابن الهيثم والبيروني والرازي واولاد موسى بن شاكر .

ولم يقتصر الامر على الطبيعة الجامدة ، بل تناول الانسان والحياة الاجتماعية ، فقد انبثقت عن النظرة الاسلامية نظرة علمية الى المجتمع انتجت لاول مرة في تاريخ الفكر البشري تفكيرا علميا ، كتفكير ابن خلدون في مقدمته والشاطبي ، اللذين سبقهما

---

6) تكرر في القرآن الكريم ذكر السمع والبصر والعقل والفكر وما يشتق من هذه الالفاظ او يدل عليها مرات كثيرة جدا . ويقترن ذكرها دوما بالحكم على الاشياء والعلم بالحقائق. ويشير القرآن الى استعمال السمع والبصر خاصة في معرض النظر في الكون واجزائه وذلك كقوله تعالى : «اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تاكل منه انعامهم وانفسهم افلا يبصرون» ــ السجدة ــ . وقوله : «الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا . . . **فانظر** الى اثر رحمة الله كيف يحيي الارض بعد موتها » ــ الروم ــ . وقوله : «قل **انظروا** ماذا في السموات والارض» ــ يونس ــ وقوله : «اولم **ينظروا** في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء» ــ الاعراف ــ وقوله : «افلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب **يعقلون** بها او آذان **يسمعون** بها» ــ الحج ــ .

وجعل من مزايا الانسان التي من الله بها عليه السمع والبصر والعقل وذلك في قوله : «وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون» وحمل الانسان مسؤولية هذه الحواس والملكات فقال : «ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا» ــ الاسراء ــ وكثيرا ما ذيل الآيات المتضمنة موضوعات للتامل والتفكير بقوله : «ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون» او «لقوم يعقلون» او صدر بها الآيات كقوله : «ويتفكرون في خلق السموات والارض» ــ آل عمران 191 ــ وقوله : «اولم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق» ــ الروم ــ وقد تكرر استعمال العقل والتفكر وما يشتق منها اكثر من سبعين مرة .

مؤلفون في حياة الاقوام والمجتمعات كالبيروني في الآثار الباقية والمسعودي ، هذا الى جانب الافق الجديد الذي شق المسلمون اليه الطريق في معرفة النفس الانسانية ونزعاتها وخواطرها ورغباتها وما تعانيه من صراع وتبدل وتطور ، مما نراه في آثار الصوفين التي يعد الكثير منها بحق من اروع ما سطر في العالم في تصوير عالم النفس والروح .

ان نظرة الاسلام الى الطبيعة نظرة عملية ، وازالة الحواجز الخرافية الابتدائية بينها وبين الانسان اطلقت يده فيها يستثمرها ويسخرها ، ودفعت الامم التي دانت بالاسلام الى حياة عملية كثيفة خصبة ، فكانت الحركة الاقتصادية في العصور الاولى للاسلام حركة واسعة النطاق ، سواء في الصناعة او الزراعة او التجارة او العمران ، ويكفي ان نعرف ما كانت عليه عواصم الاسلام الكبرى كبغداد ، العاصمة العالمية العظيمة ، ودمشق وقرطبة وغرناطة ، وان نتصور التجارة التي بلغت اقصى الشرق والغرب ، وما بلغته الزراعة من الارتقاء والاتساع والصناعة من الازدهار .

اما في الميدان الاجتماعي فقد كانت النتائج رائعة حقا . فلاول مرة تكتسح العالم الفكرة الانسانية التي تجعل الانسان أخ الانسان ، وتعتبر الافراد والشعوب اجزاء من انسانية واحدة ينبغي ان يتعاونوا سائرين نحو اهداف الحق والخير والعدل .

وتلاقت في الحضارة الاسلامية شعوب تعاونت في سبيل الخير في ميادين العلم والثقافة والاقتصاد والتجارة وسائر ميادين الحياة . وقد انتجت نظرة الاسلام الى البشر فكرة المساواة الحقيقية بل الشعور بالمساواة ، كما ولدت ايضا فكرة العدالة بين البشر والشعور بمسؤولية اقامتها في العالم دون اعتبار الفوارق الجنسية او الدينية او غيرها ، ولذلك لم تكن نظرة الشعوب الى العرب المسلمين الذين دخلوا بلادهم نظرة الفاتحين المستعمرين ، بل نظرة من يحملون اليهم الخير ويقيمون موازين الحق والعدل ويشعرون بالاخوة الانسانية والمساواة بين عباد الله ، وهذا هو السبب في ان البلاد التي دخلوها بقيت فيها آثارهم خالدة شاهدة عليهم .

وحررت الفكرة الاسلامية الشعوب من الخضوع المطلق للملوك والرؤساء اذا جعلت نظرتهم اليهم نظرة الى افراد من البشر مثلهم ، عباد لله لايمتازون عنهم بشيء الا ماحملوا من امانة يجب عليهم حسن ادائها .

واعظم من ذلك كله مابعثته النظرة الاسلامية في النفس البشرية من يقظة الضمير الانساني وانتعاشه وحيويته ، ذلك الضمير الذي يتألم للشر ، ويحنق على الظلم ، ويتلهف لاقامة الحق واشاعة الخير ، ويشعر بالمسؤولية امام الله عن التقصير في اداء الامانة في هذه الحياة والاضطلاع بما اوجب الله عليه من العمل والجهاد .

ان عالمنا الذي نعيش فيه ، والعصور والاجيال التي تأتي من بعدنا كذلك ، في حاجة الى تبني هذه النظرة التي حرر بها الاسلام الانسان من الخرافة والشهوة والعصبية الخاصة وربطه بالكون والوجود والبشرية عن طريق ارتباطه بالله العليم الخبير وبالحياة الآخرة الباقية . ان هذه النظرة تجمع في نسق واحد روحانية الدين ، وعقلية العلم ، وفعالية العمل وخلقية الغايات .

التربية الدينية اساس فلاح الامة العربية

للأستاذ محمد الطنجي

ان المتتبع للتطور التاريخي للامة العربية المجيدة يجد انها كثيرا ما تكون نهضاتها وازدهارها نتيجة دعوة دينية على ايدي الرسل اولي العزم وايدي اتباعهم المجددين لدعواتهم المتفانين في خدمة مثلهم العليا وفي القيام باعباء الدعوة واحياء شريعة الايمان بكل نزاهة واخلاص .

وقد تنبه المؤرخ الاجتماعي ابن خلدون الى هذه الظاهرة فعقد فصلا في مقدمته تكلم فيه على ان العرب لايحصل لهم الملك الا بصبغة دينية من نبوة او ولاية او اثر عظيم من الدين على الجملة وعلل ذلك بانهم اصعب الامم انقيادا بعضهم لبعض للغلظة والانفة وبعد الهمة والمنافسة في الرئاسة فقلما تجتمع اهواؤهم فاذا كان الدين بالنبوة او الولاية كان الوازع لهم من انفسهم وذهب خلق الكبر والمنافسة منهم فسهل انقيادهم واجتماعهم .

واهم شيء في الدين بعد التوحيد هو الصلاة وهي عماد التربية الدينية اخرج البيهقي في شعب الايمان عن عمر قال جاء رجل فقال يارسول الله اي شيء احب عند الله في الاسلام قال : **«الصلاة لوقتها من ترك الصلاة فلا دين له والصلاة عماد الدين»** ، وروى مالك في الموطا بسنده ان عمر بن الخطاب كتب الى عماله : «ان اهم امركم عندي الصلاة فمن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه ومن ضيعها فهو لما سواها اضيع» .

وبالصلاة تتزكى النفوس وتتصل بالله في مناجاة وخشوع وخضوع فتسمو الروح وتتطهر من كل الشرور ، ويتربى الانسان بها على النظام وضبط الاوقات ومجانبة الكسل والخمول ويكون دائما طاهر الثياب والبدن والمكان فتعظم قيمته عند الناس وعند الله **«واقرب مايكون العبد من ربه اذا كان راكعا او ساجدا»** كما صرح في الحديث . وفي اقامة الصلاة جماعة في المساجد تتالف قلوب المؤمنين وتظهر المساواة بين العباد في التوجه الى المعبود بحق سبحانه في مكان واحد وبامام واحد ودعاء واحد حيث تتوحد مشاعر الامة واهدافها وغاياتها في الحياة بعبادة الله وتقواه وخشيته والسعي بكل اخلاص لاقامة شريعته واعلاء كلمته ، قال الله : **«وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون»**

وجعل جزاء التوحيد والعبادة الاستخلاف في الارض وتمكين الدين والامن من الخوف كما جاء الوعد الالهي الصادق لهذه الامة المحمدية في قوله تعالى : **«وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا»** . وقد تحقق هذا الوعد على اكمل صوره .

وهكذا عاش الرسول الاكرم محافظا على امامة الصلاة في الجماعة في الاوقات الخمس منذ ان شرفه الله بالرسالة الى ان فارق الدنيا ، حتى انه خرج في حال مرضه يتهادى بين رجلين ليقيم الصلاة فيهم . واعظم من هذا انه كان لايترك الصلاة حتى في حالة مباشرة القتال وشرعت للقتال صلاة خاصة تسمى صلاة الخوف تتناوب فيها الجماعات على الامام الواحد قال الله تعالى : **«واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا اسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم واسلحتهم»** .

فهذه هي التربية الدينية العملية التي توحدت بها كلمة العرب والف الله بها قلوبهم فصاروا على قلب رجل واحد فغلبوا الامم بايمانهم ودانت لهم

الدنيا يقول الدكتور غوستاف لبون في كتابه سر تطور الامم : «وكان شدة ايمان العرب تزيد قوتهم العددية عشرة امثالها» . ويقول ايضا في فصل تاثير المعتقدات الدينية في تطور المدنية : «لاينبغي ان ننسى ان جميع النظامات السياسية والتدبيرات الاجتماعية قامت منذ بداية التاريخ على معتقدات دينية وان الآلهة هي التي لعبت اكبر دور في الحياة الانسانية وان الدين اسرع مؤثر في الاخلاق لابدانيه مؤثر اللهم الا الحب والحب دين الا انه دين ذاتي غير دائم» ويقول في نفس الفصل «كذا اتحدت بعض قبائل العرب بفكرة محمد — اي رسول الاسلام عليه السلام — فاستطاعوا قهر امم كانت لاتعرف منهم حتى الاسماء وشادوا تلك الدولة الكبرى» . واذا اردنا تطبيق هذه الحقائق التاريخية على المغرب نجدها بارزة في انصع صفحاته الذهبية فنجده انتظمت اموره وظهر كامة قوية عندما التف حول **الفاتح العظيم المولى ادريس** بصفته من احفاد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حتى اذا ضعفت هذه الوحدة واختل نظامه لقحه من جديد بدعوة دينية حية ذلك العالم الديني المثالي **المجاهد عبد الله بن ياسين** فظهرت على مسرح تاريخ المغرب دولة المرابطين التي انقذت المغرب من البرغواطيين ووحدته وانقذت الاندلس عدة قرون بعد ان تفرقت قواتها في عهد ملوك الطوائف اياد سبا ووحدتها مع المغرب .

وكذلك يقال في دعوة **المهدي بن تومرت** مؤسس دولة الموحدين فما كانت دعوته الا ذات صبغة دينية رغم مافيها من بدع ، وهكذا توالت ملوك المغرب تؤيد الدين وتجمع بشريعته وآدابه واخلاقه شمل المؤمنين . وان آخر ما عرفه المغرب من تاثيرالتربية الدينية في توجيه اموره لهو تربية الشيوخ الذين كانوا صالحين ، ثم خلف من بعدهم خلف منهم من سار في ركاب المستعمرين الغاصبين فاساءوا الى نفوسهم والى اسلافهم والى ملكهم وامتهم .

ولما كان الدين الاسلامي هو الذي جمع شمل المغرب في القديم والحديث عمل المستعمرون — منذ ان احتلوا المغرب — على محاربة الدين الاسلامي في مختلف النواحي فاستصدروا الظهير البربري المعلوم وطردوا المعلمين للدين الاسلامي من قبائل البربر طردا رسميا كما منعوا كثيرا من الخطباء من القاء الخطب الدينية في القبائل ولفقت حولهم تهم سياسية حتى يكفوا عن بث اي شعور كريم في النفوس بل منع الاستعمار الخطباء في المدن من الخطابة كما وقع بالرباط وطنجة وتطوان مرارا وفي غير هذه المدن حتى فترت همم كثير من العلماء عن مواصلة جهودهم . لهذا صار من الواجب بعد ان ملك المغاربة حريتهم واستقلالهم ان يعودوا الى تربيتهم الدينية وياخذوا كتابهم العزيز بقوة ، فيقيموا الصلاة حق اقامتها في بيوتهم ، ويقيموا رقابة دينية اخلاقية على اولادهم ، وكذلك ينبغي لوزارة التهذيب الوطني ان تامر مديري المدارس واساتذتها بتطبيق المنشور الذي اصدرته في هذا الموضوع الخاص باقامة الصلاة في المدارس .

ومما يؤسف له ان كثيرا من المدارس الحرة تهاونت في اخذ التلاميذ باقامة الصلاة التي هي اساس التربية لنفوس الناشئين .

وان ما يحدث في مدارسنا لمخالف كل المخالفة لاصول التربية في المدارس سواء منها المسيحية وغيرها ، فمن الواجب المؤكد استعمال الصرامة في هذا الموضوع واتباع الارشادات والتوجيهات الصادرة من جلالة مولانا الامام في التمسك بالدين واقامة فروضه المقدسة . وكثيرا ما كان الملوك العلويين يامرون باقامة الصلاة ومعاقبة من يتركها ويتهاون بشانها ، ففي ظهير عام اصدره المولى عبد الرحمن لسائر عمال المملكة المغربية ما نصه : «ويلزم العامل كل «دوار» او جماعة «مشارطة» طالب علم يرجعون اليه في امر دينهم وتعليم صبيانهم وجهالهم ويقوم بالاذان والصلوات الخمس في اوقاتها ومن لم يفعل زجره وعاقبه» .

بل اننا لنرجو من وزارة التهذيب ان تامر الاساتذة بالذهاب مناوبة مع التلاميذ في جماعة منتظمة لحضور صلاة الجمعة ليكون ذلك مظهرا فخما من مظاهر الاسلام وعنوانا بارزا لتمسك المغاربة بدينهم وتربيتهم عليه ليوجد من بينهم المخلصين لله والواقفين عند حدوده الذين تصلح بهم الامة ويصلح بهم امرها ويطيعوا امامتها الشرعية فمن لم يطع الرحمن لم يطع السلطان .

كيف عالج الاسلام مشكلة المرأة؟

للاستاذ عبد السلام الهراس

ان الامة المتحضرة حقا ، هي التي تملك من الفكر والوسائل ما هو كفيل بمعالجة مشاكلها وحسمها والسيطرة عليها متصدية لذلك بدافع من عقيدتها ، وفلسفتها الخاصة ، وتقاليدها الصالحة ، ومثل هذه الامة الواعية لا تدع لاي عنصري اجنبي مجالا للتدخل بينها وبين تشخيصها لامراضها ، او لان يفرض عليها باي لون من الالوان ، حلا لا يناسبها ولا يخدم اهدافها اذ ان ذلك يزيد في شراسة المرض وتعقيد المشكلة مما يوقع الاضطراب في الامة ويعطل سيرها وقد يزيف عليها الحقيقة « فتتقدم » بشكل سريع ولكن .. الى الوراء .

وتلك الامة ـ اي الحية ـ تستهدف في علاج مشاكلها المحافظة على التوازن الاجتماعي المشبع بافكارها ومثلها ، وصيانة المجتمع لئلا يطغى جانب على حساب الجانب الاخر . وبما لديها من النضج الثقافي والنفسي ، فانها تنظر الى المشكلة نظرة موضوعية ، في اطار من علاقتها بالمشاكل والعناصر التي تساهم في معادلة المجتمع ، لان اي محاولة لتجزئة المشاكل لهي محاولة فاشلة للعلاج ، وقد ينتج عن ذلك اخطار تهدد بقاء المجتمع ووجوده .

ولعل فشلنا في حسم مشاكلنا العديدة ، المتراكمة ، المتزايدة، المتوالدة، راجع اولا الى كوننا ننظر اليها كاجزاء مستقلة لا يربط بينها اي رابط . وراجع ثانيا الى اننا ننظر الى تلك المشاكل من خلال عقد نفسية خبيثة، ومن خلال افكار « مزيفة » الصقتها بعقلنا الباطن الثقافة الاستعمارية التي استطاعت ان توجد في بلادنا الاسلامية « مدارس » مختلفة . وان اختلفت في وسائل التطبيق وفي كيفيته فانها متفقة على الهدف المحدد من لدن الاستعمار بما يتعلق بالعقيدة الاسلامية هذا التحديد الذي لون تلوينا خاصا تقويمنا للاشياء وللافكار (1) .

وما دام هذا النوع من الذاتية المريضة يكون عنصرا فعالا من عناصر تفكيرنا في مشاكلنا ويبتدع الحلول لها فان تلك المشاكل لا يكتب لها سوى الاستمرار في التعقيد . اذن فالنظرة الجزئية « الذرية » والنظرة المزيفة عاملان اساسيان في فشل كل معالجة ولو توفرت النية الخالصة والحماس الصادق .

والمشكلة التي نحن بصدد تناولها من ابرز مشاكل المجتمعات الانسانية وقد عولجت في بلادنا الاسلامية معالجات شتى كان ابرزها ، يتسم بالعاملين السابقين مما حمل بعض زعماء شؤون المراة في الشرق العربي على الاعتراف بالدافع الاهوج لتلك الزعامة وبالنتائج الوخيمة لدعوته، وان كان بعض المصابين بموجة تحرير المراة على نحو يرضي انحراف غريزته لم يتحرر نفسيا من ذلك المارد الجبار ـ العقدة الجنسية ـ الذي يوحي له بمعظم ما يزعم .

ولسنا اول من تنبه لذلك بل لاحظه قبلنا متخصصون في المشاكل الجنسية (2) .

والحق ان مشكلة المراة بالعالم الاسلامي ـ وخاصة بالمغرب ـ قوبلت بمواقف صبيانية تافهة وتركت بعد ذلك لقيادة « الزمن » الذي يملك ـ في اعتقادهم ـ

1) راجع : « الفكر الاسلامي وصلته بالاستعمار » للدكتور البهي ـ وكتاب « التبشير والاستعمار في البلاد العربية » للدكتورين : الخالدي وعمر فروخ ، وكتاب « مستقبل الاسلام » لمالك بن نبي ، و « الاسلام على مفترق الطرق » لمحمد اسد .

2) راجع : « سيكولوجية الجنس » للدكتور يوسف مراد « اقرأ » 127 ، وكتاب : « شروط النهضة ومشكلات الحضارة » فصل : مشكلة المراة .

القدرة السحرية لحلها تبعا لسنن « التطور » وهكذا يعلنون عن العجز والتهرب من المسؤولية بالفاظ ادبية قد تقنع السطحيين ولكنها تدع للداء المجال الواسع للاستفحال .

وكان من الواجب علينا كأمة اسلامية ان نرجع الى الاسلام لنقتبس منه النور الذي ينير لنا السبيل فى معالجة مشكلة المراة اذ ان الاسلام قد تصدى لهذه المشكلة وعالجها معالجة جدية وعميقة ، زد على ذلك ان كل اصلاح لا يكون متجاوبا مع عقيدة الشعب وآماله وفلسفته ، فان مآله الفشل . وقد بين احد علماء الاجتماع ان اصلاح اية ناحية من نواحي النقص العائلية « يجب أن يكون منسجما مع سائر النظم الاجتماعية الاخرى التي يدين بها الشعب وتميز شخصيته ، ومتفقا معها فى طبيعته ووجهته فان اختل هذا الشرط جاء الاصلاح عنصرا غريبا فى حياة الامة ، تتجرعه الجماعة ولا تكاد تستسيغه ، وتتظافر نظمها الاخرى على مطاردته ودفعه ولا تنفك تطارده وتدفعه حتى تجهز عليه فيصبح اثرا بعد عين، كجرثومة ضعيفة تنفذ الى جسم منيع » (3) .

وينذر صاحب هذا القول اولي الامر فى مصر ليقلعوا فى اصلاح الاسرة عن خطة الارتجال عن طريق الاقتباس من شرائع غريبة عن طبيعة بلادهم .

ونحن لا يسعنا الا ان نعمم هذا الانذار ونوجهه ايضا لاولي الامر فى بلادنا لان الاسرة هي المصدر لقوة المجتمع او ضعفه فعلى صلاحها يتوقف صلاح المجتمع وبفسادها يكون فساده .

وسنحاول فى هذا البحث ان نلقي ضوءا على الاسس التي عولجت عليها مشكلة المراة فى ديننا الحنيف ، وارجو ان تكون هذه المحاولة قادرة على المساهمة فى تنشيط التفكير فى علاج مشكلة المراة المغربية تحت رعاية الاسلام **(وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلك وصاكم به لعلكم تعقلون)** .

عند ما جاء الاسلام كدين للانسانية وجد المراة فى وضع لا تحسد عليه فقد كانت مظلومة اذ كانت العلاقة بينها وبين الرجل غير منظمة التنظيم الذي يمد المجتمع بافراد صالحين لبقائه والمحافظة على قوته وكيانه ، فقد كانت الاسرة لهذا ثغرة كبيرة تنفذ منها عوامل الهدم والتحطيم لاسس المجتمع وكانت السمة العامة لهذا المجتمع نتيجة لذلك هي التفكك .

وعلى الرغم من وجود الديانة المسيحية فانها لم ترسل اشعاعها كما ينبغي على المراة فكانت نظرة رجال الدين المسيحي اليها نظرة احتقار وازدراء .

فكان يرى بعضهم ان المراة شر له لابد منه ، او شر عليه طلاء وفتنة مهلكة ، بل انهم حاولوا ان يحملوا الابناء على عدم حب امهاتهم الى آخر ما هناك من تعاليم غريبة ما زال بعض آثارها فى اوربا الى الان وتراها حتى فى بعض القوانين المدنية (4) .

اما الاسلام فقد كرم المراة ورفع من مستواها فى جميع احوالها : فقد جعلها مساوية للرجل اذ قال تعالى : يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم .

وقال تعالى : « **يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء** » . فاذن كلا الرجل والمراة من نفس واحدة وليست المراة كائنا غير ذي روح او شيطانا او محتقرا او نجسا كما فى التعاليم الاخرى ويؤكد ذلك قوله (ص) **((انما النساء شقائق الرجال))** ، وهذا يقتضي ان تكون المراة مساوية للرجال فى الحقوق والواجبات قال تعالى : **((ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف))** (5) .

وجعلها مسؤولة فى العائلة اذ قال (ص) .. « **والمراة راعية فى بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها** » ، كما اعطاها حقها السياسي فى الانتخاب قال تعالى : « **يا ايها النبيء اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن ولا يأتين**

---

3) راجع كتاب « الاسرة والمجتمع » ص 116 للدكتور عبد الواحد وافي .

4) راجع كتاب «تاريخ المراة» لجميل بيهم ، و «حضارة العرب » لغوستاف لابون والقانون الروماني للمرحوم الدكتور بدر ، وكتاب قصة الزواج والعزوبة فى العالم ، للدكتور علي وافي ، وكتاب الزواج لوسترمارك (مترجم) .

5) انظر الى هذا التعبير القرآني عن علاقة الرجل والمراة وعن مسؤوليتها فى القيام بالرسالة الاجتماعية : يقول تعالى : والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله اولئك سيرحمهم الله .

ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن ولا يعصينك فى معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم »

وجعل الاسلام مقياس الخيرة فى الموقف الحسن للرجل من اهله قال (ص) : **«خيركم خيركم لاهله وانا خير لاهلي »** . وقال (ص) : **« ما اكرم النساء الا كريم ولا اهانهن الا لئيم »** .

وكرمها كام فى كثير من الآيات والاحاديث فنرى القرءان يجعل بر الوالدين فى الرتبة الثانية بعد الايمان بالله فى قوله تعالى : **« وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا »** . . وخص الام فى ءايات اخرى كما نرى هذا التخصيص فى قوله (ص) لرجل جاء يسأله عن احق الناس بحسن صاحبته ـ : **« امك ثم امك ثم امك ثم ابوك ثم ادناك فادناك »** . بل ان الاسلام جعل باب الجنة خدمة الام وطاعتها ـ فى غير معصية ـ وقد عبر النبي (ص) عن ذلك بقوله : **« الجنة تحت اقدام الامهات »** .

فالبرور بالام والقيام بشؤونها نوع عظيم من الجهاد قال الرسول (ص) لرجل اراد الجهاد : « هل امك حية فاجابه نعم فالزمها فان الجنة عند رجلها » .

وكرمها كزوجة ، فجعل اساس علاقة الرجل بها المعروف قال تعالى : **« وعاشروهن بالمعروف »** . وقال تعالى : **« فامسكوهن بمعروف او سرحوهن باحسان ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا »** ... كما جعل العلاقة بينهما المودة المتبادلة والرحمة والعطف . .

قال تعالى : **« ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة»** . وجعل المراة الصالحة خير ما يكنز . قال (ص) لعمر **« الا اخبرك بخير ما يكنز ؟ المراة الصالحة : اذا نظر اليها سرته واذا امرها اطاعته واذا غاب عنها حفظته »** . واعطاها حقوقها فى الزواج والطلاق وفى نتائجهما كما رفع من شان البنات وغير النظرة اليهن .

وهكذا نرى ان الاسلام قد احدث ثورة كبرى فى العلاقة بين الذكر والانثى ولم يجار العالم « المتمدن » آنذاك فى نظرته للمراة ، ولهذا كانت نظرة الاسلام اصيلة غير متأثرة بعوامل خارجية او عوامل ذاتية بل كانت نظرته للمراة نظرة موضوعية عادلة متمشية مع طبائع الاشياء مما جعل الدكتور غوستاف لابون يقول « وهنا تستطيع ان نكرر اذن ، قولنا ان الاسلام الذي رفع المراة كثيرا بعيد من خفضها ، ولم نكن اول من دافع عن هذا الراي فقد سبقنا الى مثله كوسان دوبرسفال ، ثم مسيو بارتلمي ستن هيلر ، ولم يقتصر فضل الاسلام على رفع شأن المراة بل نضيف الى هذا انه اول دين فعل ذلك ، ويسهل اثبات هذا ببياننا ان جميع الاديان والامم التي جاءت قبل العرب اساءت الى المراة ، وهذا ما اوضحناه فى كتابنا الاخير ، فلا نرى غير تكرار ما ذكرناه فيه لاقتاع القاريء » (6) . . .

للبحث صلة

---

6) حضارة العرب ص 490 للدكتور غوستان لوبون ترجمة المرحوم عادل زعيتر .

نحو بناء مجتمع اسلامي

بقلم الأستاذ أحمد التيجاني

في منعرج التاريخ الذي وصل اليه العالم تظهر الامم الاسلامية في صورة قطع سحاب ثقال لا تنتظر الا وميض برق ليتصل بعضها ببعض فينهمر ماؤها على بلدان طال تلهفها الى ما يطفيء ظمأها وينقع غلتها ؛ ومما يزيد في الايمان ان الاقطار الاسلامية امتازت بوضعية جغرافية تلاحمت فيها اجزاؤها على شكل خط استواء من نوع جديد كان فيه تلميحا لقوله تعالى : **((وكذلك جعلناكم امة وسطا))** . ((اليس بالجدير بعالم اتحدت فيه اقطاره اتحادا صيره كالجسم الواحد ان تتحقق فيه ايضا الوحدة الروحية التى طالما بذلت جهود وتضاعفت مساع جماعية وفردية في سبيل تحقيق هذه الوحدة الروحية بشهادة ما نقراه في جريدة ام القرى لعبد الرحمن الكواكبي ، وفيما خلفه حكيم الشرق جمال الدين الافغاني والمصلح الكبير محمد عبده وغيرهم من زعماء النهضة . وسيرا في ضوء هؤلاء العظماء ، وعملا بقول الاستاذ جمال الدين الافغاني : «ما من احد باصغر من ان يعين ولا باكبر من ان يعان» اتقدم الى المفكرين من رجال الامة باقتراح ارى فيه الضالة المنشودة والوسيلة الوحيدة لتحقيق الوحدة الروحية تحقيقا تتجاوب فيه مع الوحدة الترابية فأقول : «امام ماعثرت عليه من التهافت والاستهتار في تراجم القرآن على يد العجم امثال كازمرسكي ومونتي وسافاري دفعتني غيرة الذب عن القرآن الى تلافي هذا الخلل فاخرجت للناس ترجمة جاءتهم على يد مسلم عربي من حملة الكتاب ، ومن الطبيعي ان تلجيء مهمة بهذه المثابة الى مراجعة التفاسير : ابن جرير الطبري فمن دونه امثال ابن كثير والقرطبي والالوسي والرازي «وروح البيان» فاستخلصت من روح المراجعات ان القرآن اشبه شيء بدائرة معارف تكلم عن العقائد وما هو من حسابها من علوم النفس والاخلاق والآداب الفردية والجماعية . وتكلم عن الاحكام مدنية وجنائية وعلى العبادات والتاريخ والم بالطب والفلك الامر الذي جعله اعظم واوسع من أن ينهض بمهمة تفسيره عالم واحد علا كعبه في العلم ماعلا **فكان من البديهي ان يعهد أمر تفسيره الى لجنة من علماء اختصاصيين يتولى كل واحد منهم الكلام في الفن الذي عرف به ضرورة ، ان قلم المؤرخ في التاريخ اسلس قيادا من قلم الفقيه والالفاظ اللائقة أسرع اليه استجابة زيادة على مايكسبه صاحب التخصص من الملكة التي تهدي صاحبها الى وجه ربط المسببات باسبابها واستخلاص العبرة من الحوادث** . هذا جار الله الزمخشري على بعد صيته في العلم وغزارة مادته في العربية نراه تسرقه بنيات الطريق وتخرج به الى مالاتتسع له حتى عقول البسطاء كما هي الحال عند تفسير قوله تعالى : «ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ مطلع الشمس» بعد ان فسر ظاهر الآية استطرد الى حكايات كلها كلام وهراء وتهافت في تهافت كان المامول ان تنزه عنها كتب التفسير .

نعم يشترط في اللجنة التي تصبو اليها ويتطلبها الزمان الحاضر بمزيد الالحاح ان يكون اعضاؤها مستظهرين للقرآن استظهارا يسهل عليهم استحضار الاشباه والنظائر والمحكمات والمتشابهات المبثوتة في مختلف السور وذلك جريا على قاعدة القرآن يفسر بعضه بعضا . يجري على الالسنة الاستشهاد بقوله تعالى : **((ما فرطنا في الكتاب من شيء))** على ان المراد بالكتاب في الآية هو القرآن فاذا

استحضرت الاشباه والنظائر امثال قوله تعالى في المائدة **((يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير))** وقوله تعالى في سورة النمل **((ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون))** فان الآيتين صريحتان في ان القرآن لم يقصص على القوم جميع الذي فيه يختلفون ، وعليه فيتعين حمل آية سورة الانعام **((ما فرطنا في الكتاب من شيء))** على ان المراد بها اللوح المحفوظ المذكور في يس : **((وكل شيء احصيناه في امام مبين))** . خلاصة الكلام في هذا الباب ان روح الزمان اصبحت تدعو الى تعميم التعارف بين الدول والامم يشهد لهذا كثرة المنظمات الاممية والمؤسسات التعاونية في شتى الميادين فلا يبعد والحالة هذه ان تدعو ضرورة من الضرورات في يوم من الايام الى عقد مؤتمر ينظر في امر الديانات والمقابلة بينها فلا يجمل بالمسلمين ان يتقدموا بالاكداس المكدسة من التفاسير المشتبكة الطرق والمسالك انما الرشاد كل الرشاد ان نتقدم بكتاب يغربل ما هنالك ويمحصه على ضوء مقتضيات العصر .

هذا من جهة . ومن جهة اخرى ان مصر توفقت لتطهير قناة السويس مما تراكم فيه من انقاض ، وان الاسلام في امس الحاجة الى من يطهر قناته مما يسد سيله ويخنق مصبه من كثرة الاسانيد ومتضارب الاقوال والروايات الامر الذي لبس على المسلمين هداية الاسلام ونقض غزل تعاليمه الى حد صح فيه لكثير من اهل الوعي والتفكير ان يعتقدوا بان الاسلام اصبح في عدوة وان المسلمين في عدوة اخرى . والخلاص من هذا هو في اعلان شبه الاحكام العرفية لا بالمعنى العسكري ولكن بالمعنى المدني ، وذلك بان تبنى التربية القومية على امهات تعاليم القرآن ، والى جانبها النزر القليل من السنة عملا بما قاله المصلح الكبير محمد عبده : «ان صلاح الاسلام في بناء التربية على تعاليم القرآن وشيء قليل من الحديث» الى ان قال : في تفسير آخر سورة البقرة : «فلو انتقدت الاحاديث من جهة متنها كما انتقدت من جهة سندها لقضت المتون على كثير من الاسانيد بالنقض» .

ان شباب اليوم يتخرج من الكليات والجامعات فلم يبق في عقله متسع لقبول امثال : «خلقت هؤلاء للجنة ولا ابالي وهؤلاء للنار ولا ابالي» . وكم وكم من اشباه ونظائر ترمي كلها الى التزهد في العمل .

ان الذي يمليه القرآن على اتباعه في هذا الباب هو : **((ان الله لايظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويوت من لدنه اجرا عظيما))** . **((ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين))** . **((يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا))** . **((فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره))** . **يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها))** .

والقرآن طافح بما يدل على ان العمل يترتب عليه جزاؤه ، والكلام في هذا الباب اوسع من ان يتسع له مقال .

أبحاث ومقالات

حول الاحتفال بذكرى مرور أحد عشر قرنا على تأسيس القرويين

للأستاذ
عبد الله كنون

اذيع انه سيحتفل في الربيع القادم بمرور احد عشر قرنا على تاسيس القرويين . وهذا شيء حسن لو لم تكن القرويين اليوم في وضع لا تحسد عليه . ولا ابالغ فاقول انه وضع لم تكن عليه في اي عهد من عهود الانحطاط التي مرت على المغرب — كما يقول بعض الاخوان من اساتذة القرويين انفسهم — وانما اقول ما هو واقع . وذلك ان القرويين بعدما كانت توصف بانها جامعة ، ولا تزال عبارة الجامعات المغربية تجيء في بعض الاحاديث ، اصبحت الآن لاتزيد عن كونها كلية من كليات جامعة الرباط ، بل انني اذا اردت التدقيق قلت انها اصبحت مكملة لكلية الحقوق ، تلك الضرة القوية التي غطت على القرويين وسلبتها محاسنها كلها .

ولست القي الكلام على عواهنه ، فهذه ليسانس الحقوق تخول لحاملها ان يتولى كل وظائف الدولة من الوزارة الى مديرية الدواوين المختلفة الى السفارة بالخارج الى اعلى وظائف القضاء ، في حين ان عالمية القرويين اقصى ماتخوله لحاملها ان يلتحق بسلك القضاء الشرعي ان ساعده الحظ ، او ان يعمل كاستاذ في المدارس الابتدائية بعد ان يجتاز مباراة ما وينجح فيها .

وبالامس القريب كانت القرويين هي التي تزود الدولة بجميع موظفيها من الصدر الاعظم الى اصغر كاتب في اصغر ادارة ، وكان هؤلاء الموظفون يقومون بمهمتهم احسن قيام ، حتى لقد شهد لهم المارشال ليوطي في تقريره السري الذي رفعه الى وزارة الخارجية الفرنسية سنة 1920 بالكفاءة والقدرة ، وقال : «لقد وجدنا في المغرب حقيقة ، دولة وشعبا ، ووجدنا حكومة قائمة لها وزراء كبار وسفراء في الخارج على علاقات طيبة مع رجال الدول الاوروبية ... »

فما عدا مما بدا الآن .. ؟

انا لا انكر ان تقدم الزمان وتطور الحال له تاثير في قلب الاوضاع ، ولكن مما لا شك فيه ان معلومات حامل ليسانس الحقوق ليست مما يؤهل حتما لكل الوظائف حتى الفنية منها ، ومعلومات حامل عالمية القرويين لاتؤهل الا لما ذكرت من الوظائف الهزيلة ، والامر المؤكد هو ان للغة الفرنسية دخلا كبيرا في هذا الشأن ، فمنذ عهد الحماية البغيض ، وبعد الاستقلال ايضا ، عمل المسؤولون على «فرنسة» المصالح الحكومية والجهاز الاداري عموما فأصبح العمل يتطلب موظفين يحسنون اللغة الفرنسية ولو لم يكن لهم من المعلومات العامة — فاحرى الخاصة — الا القليل .

وهذا الوضع ان كان يحتم على طلبة القرويين ان يتعاطوا اللغة الفرنسية بالخصوص — ولو لاجل المنافسة — ولا ينتظروا حتى تنجلي هذه الغمة عن جميع الامة ، فان المخلصين لهذا المعهد الاسلامي العظيم — وانا منهم — لايرون له ان يتخلى عن مهمته الاصلية ويحور برنامجه حسبما تقضي به المصلحة الآنية والمنفعة العاجلة ، لاسيما وان هذا الامتياز الذي يحظى به متخرجو كلية الحقوق وحملة الشهادات الفرنسية على العموم ، سينتهي حينما يوجد متخرجون في العلوم السياسية والديبلوماسية والاقتصاد وغير ذلك ، فيتولون وظائفها بجدارة

واستحقاق ، **وسينتهي حينما يوفق الله رجال السلطة العليا لتعريب الادارة وجهاز الحكومة تعريبا كاملا .**

والمطلوب من رجال القرويين ان يتولوا النظر في شؤونهم بأنفسهم ويعملوا بكل نشاط للمحافظة على مهمتهم الاصلية ، وهي رفع راية العلوم الاسلامية والدراسات العربية ، فانها لاتنهض الا على ايديهم ولا تبلغ كما لها الا باجتهادهم . وبعد جعل هذه الغاية هي الهدف الاسمى الذي يسعون لتحقيقه لابد من تطور الاساليب الدراسية ، وتلقيح البرامج بما هي في حاجة اليه من مواد الثقافة الحديثة ومنها اللغات الاجنبية ، ثم تقسيم الدراسة الى شعب بحسب الوظائف التي هي من خصائص الطالب «القروي» والتي انتزعت منه انتزاعا بسبب تكاسله وقعوده عن طلب حقه .

وهذه الوظائف هي كل ولاية لها تعلق بالاحكام الشرعية كالقضاء والحسبة والاوقاف وامانة المواريث والعدالة والوكالة فضلا عن تدريس العلوم الاسلامية والعربية في كل المدارس والمعاهد .

ومن نافلة القول ان الدراسة في هذه الشعب تكون على مراحل كلما انهى الطالب مرحلة منها حق له ان يشغل الوظيف الذي تؤهله له ، فاذا انتهى الى اعلاها وهو الاختصاص في العلوم الاسلامية والعربية خول مايستحقه من اعلى الوظائف الدينية والدراسية بل والادارية والسياسية اذا كان نابغة يستحق مايستحق النوابغ من اهل الاختصاص في العلوم الاخرى .

والمقصود أن خريج القرويين يعرف ان له حقوقا محفوظة آمنة من المزاحمة ، يستطيع ان يتمتع بها بمجرد تخرجه ، كالطبيب والمهندس والمحامي حينما يرجع كل منهم الى عمله الحاضر في الدائرة التي ينتسب ليها ، فليس هناك عامل فعال في انعاش القرويين واحياء ماضيها المجيد كضمان مستقبل اهلها واعطاء رجالها حقوقهم المغصوبة .

والواجب ان يعمل رجال القرويين بمساعدة وزارة التعليم على وضع هذا البرنامج وتنفيذه ولو تدريجيا ، ومن أحق من وزارة التعليم بتبني مشروع يرد الى رجال الدين اعتبارهم ، ويطمئن الامة على سلامة كيانها الاجتماعي حينما يتولى رجال مختصون النظر في شؤون معاشها ومعادها من امر السوق والمسجد ، فيحمونها من اكل الحرام وانتشار الفسق والفجور وتعاطي الربا والغش والفساد كقضية الزيوت المسممة التي اقلقت راحة المجتمع المغربي في هذه الايام ؟ .

اذا تذكرنا ان مثل الشيخ ابي العباس بن العريف كان يلي حسبة بلده المرسية ، والفقيه ابن ماواس كان يلي حسبة بلده فاس ، والشاعر ميمون الخطابي كان يلي حسبة الطعام بمراكش ، والشاعر عبد العزيز الملزوزي كان يلي النظر في شؤون الحسبة بعامة ؛ علمنا كيف كان اسلافنا يحتاطون لانفسهم ودينهم بتولية هذا الوظيف الخطير لمثل هذه الشخصيات ... ولا نشك ان الشعب المغربي مايزال يعض على دينه بالنواجذ ، فهو يؤيد تولية الوظائف التي لها مساس بالدين لرجال الاختصاص تأييدا مطلقا ...

وقد رأى رجال القرويين ، اساتذة وطلابا ، نتيجة مساعيهم في تحسين احوالهم المادية من اجور ومنح واماكن سكنى وغير ذلك ، فما عليهم الا ان يسعوا لتحسين الوضع المعنوي للقرويين على ماذكرنا ، حتى اذا آن الاوان للاحتفال بذكراها ، وكانوا اول المشاركين في هذه الذكرى ، لم يخجلوا بذكر ما تؤهل اليه القرويين من وظائف ، وما يتحمله اهلها من مسؤوليات ، اذا سئلوا عن ذلك .

تأثر الأدب العربي بالفارسية

للأستاذ
محمد بن تاويت

هذا بحث كان قدمه كاتبه الذي يحمل دبلوما في اللغة الشرقية اثر القاء الدكتور طه حسين ـ عند زيارته للمغرب ـ محاضرة تحت عنوان : « الادب العربي ومكانته في الادب العالمية » . ونظرا لكون هذا البحث يثبت ان الادب العربي تأثر بالادب الفارسي أكثر من تأثره بالادب اليوناني وذلك عكس ما قرره الدكتور طه حسين اثرنا نشره ليطلع المعنيون بالادب العربي على وجهة نظر ثابتة ربما تكون اقرب الى الصواب من غيرها وباب البحث مفتوح امام كل باحث .

لسنا في هذا التعليق الوجيز متعرضين للتنويه بتلك المحاضرة القيمة ولا مشيرين الى جوانب عظمتها . فهذا وذلك مما يدخل في باب «الخبر بمعلوم» ، بل ربما يغمط المحاضرة حقها الذي يشهد به الجميع كما يشهد لمثيلاتها العديدات التي القيت في مشارق الارض ومغاربها .

وانما الذي يعنينا في هذا التعليق هو بعض الملاحظات او المراجعات التي نعتقد ان استاذنا الكبير يسر لها خصوصا وانها صدرت عن تلميذ له مدين لفضله ومعترف بجميله الذي لاحد له . .

واولى تلك الملاحظات أن استاذنا قال في محاضراته : ان الأدب العربي لم يتأثر بالفارسية بقدرما تأثر باليونانية . .

فهذه المسالة يبدو لنا فيها خلاف : ذلك ان الأدب العربي كان في تأثره بالفارسية اسبق وامتن من تأثره باليونانية اما كونه اسبق فيشهد بذلك التاريخ والنصوص الأدبية التي بأيدينا ثم من وراء ذلك طبيعة الاشياء نفسها . .

ففي الجاهلية نجد الحيرة بمناذرها الذين كان يؤمهم الشعراء من الاطراف القريبة والبعيدة كما كان بجانبهم آخرون مقيمون . . وجميعهم تأثر شعره بالفارسية وورد فيه كثير من الألفاظ التي تفوق كثيرا تلك الواردة فيه من غير الفارسية . .

وحسبنا ان نذكر من هؤلاء عدى بن زيد والاعشى الأكبر . . اللذين ورد في شعرهما من الفارسية ما يزيد على مائتي لفظة . .

هذا ماكان بالجاهلية اما في الاسلام فهذا الجاحظ مثلا ـ يذكر في كتبه عدة نصوص تثبت ان الفارسية كانت قد تدخلت بصورة جدية في الأدب العربي . وقد نقل نفسه في البيان بعض الاشعار الفارسية التي عرفت في الأدب العربي بنصوصها . كما يذكر ان بعض الوعاظ كان يعظ العرب بالعربية ثم يتجه الى الفرس فيعظهم بالفارسية في اسلوبه القوي وفصاحته التي لم تنل منها احدى اللغتين شيئا . . .

فهذا النص يدل على ان الفارسية كان لها شان لم يكن لتلك اليونانية التي حتى الآن لا نعرف أن واعظا كان يعظ بها : في ذلك الحين ولا بعده . .

وترجمة (كليله ودمنه) من الفارسية تعطينا مثلا آخر لتأثير هذه الفارسية في الأدب العربي في عهوده المبكرة .. فالكل يعلم ان هذا الموضوع كان طريفا في الأدب العربي ، ثم يعلم الجميع ايضا مقدار مااستفادته الدولة العباسية من لغة الفرس التي اندست في قصورها وتقاليدها وآدابها .. واخيرا نجد من الكتاب الذين تفتخر العربية بهم ابا بكر الخوارزمي وبديع الزمان الهمذاني . وكلاهما لا ينكر له أثره الفارسي فيما استحدثه في الأدب العربي من الوان لم تكن بتلك النضارة فيما مضى ... وكذلك يقال في شعر مهيار الديلمي الذي زها به الشعر العربي زهاء قل نظيره ..

اما اليونان فقد اتصلت بهم عقول العرب قبل ان تتصل بهم وجداناتهم واخيلتهم ، فعرف المنطق الذي ذكره الجاحظ في كتبه وبقيةالعلوم التي كانت متصلة بفلسفة ارسطو . ومنها البلاغة التعليمية التي وضع الفيلسوف لها اسسا لم يستفد منها الادب العربي الا استفادة عكسية جعلت بلاغته بها تبهت الوانها وتتقيد حركاتها . على حين ان الأدب اليوناني ظل في منأى من الأدب العربي . ولم يستفد حتى فلاسفتنا منه الا استفادة مشوهة يذكرها الدكتور نفسه في مقدمته على كتاب الشعر لقدامة بن جعفر..

أما عبد الحميد الكاتب فان اسلوبه ليس بدعا بين الأساليب العربية . واستعمال الجمل الحالية التي تاخذ بتلابيب الجمل الرئيسية ليس كذلك من التاثير اليوناني . وان افرط فيه صاحبه فلعقليته الدقيقة التي يشاركه فيها عقليات اخرى عربية لا شأن لها والتاثير اليوناني ..

واخيرا ها هو القرآن وها هي الأحاديث النبوية وفيهما من المعربات الفارسية اكثر مما فيهما من معربات غيرها . ثم هذه كتب اللغة العامة او الخاصة بالمعربات ؛ نجد فيها المائات من هذه الألفاظ الفارسية كما نجد أصحابها يندفعون الى الحكم بالفارسية في عدة الفاظ ليست في الواقع فارسية ، وانما كان شعور أصحاب تلك المعاجم قويا في ان هذه الفارسية لها الأثر كله او الاقوى في اللغة العربية . فحتى اخطاؤهم هذه تستفيد منها كما رأينا ...

وثانية الملاحظات أن الأدب الفارسي ـ كما قال استاذنا ـ لما جدد في العصر الاسلامي لم يظهر فيه الا الشعر الفارسي وحده وانه حتى في اوزانه كان لايعدو الاوزان العربية ، بل انه تتخلل بعض ابياته ابيات عربية ...

والحقيقة انه ظهر بازاء الشعر نثر فارسي فني اشتهر كتابه به في رسائلهم الديوانية ، وفي مؤلفاتهم الأدبية ، وفي مناجاتهم الصوفية ..

وعروضي في كتابه (جهار مقاله) يذكر في مقالته الخاصة بالكتاب كثيراً من الأمثلة والحكايات الواردة حول هؤلاء الكتاب . ومن احدى هذه الحكايات أن كاتبا لبني سامان كان يحبر رسالة ديوانية ، وفي أثناء ذلك دخلت عليه خادمة فاخبرته بان الدقيق خلص من البيت ، فارتبك في رسالته وكتب (آرد نماند) اي الدقيق لم يبق . ثم سلم الرسالة الى مخدومه فلما قراها تحير من هذه العبارة وما حصل بعدها من ارتباك في اسلوب الرسالة ، ونادى الكاتب وساله عما ورد في هذه الرسالة ، فخجل وقص عليه ما جرى له ، فاجابه : ان اول الرسالة كان بمثابة «قل هو الله احد» وان الباقي كان بمثابة «تبت يدا ابي لهب» ...

وكتاب عروضي نفسه يصح ان يعد اسلوبه الراقي من تلك الأساليب النثرية الفنية التي كانت تعايش الشعر الفارسي في اواخر القرن الخامس .. وهذا كتاب آخر للبيهقي احد كتاب مسعود الغزنوي في النصف الاول من القرن الخامس نجد فيه عشرات الأمثلة من نثر الرسائل الديوانية التي حبرت ايام محمود الغزنوي في أواخر القرن الرابع وأوائل الخامس ، كما نجد اخرى لمؤلف الكتاب ولغيره في منتصف القرن الخامس .. وكلها يشهد بما كان للنثر الفارسي الفني من مكانة خطيرة بين الآثار الأخرى الفنية .. اما مناجات الصوفية التي نشأت بنيساور في عهد سجيق فاننا نجد فيها روعة فنية في نثرها كما نجد ذلك في شعرها .. وحسبنا أن نتناول كتاب (مناجات نامه) لعبد الله الانصاري فنجد ما يثبت هذه القضية اثباتا قاطعا ..

واما الأوزان العربية فقد استغلها الفرس حقيقة في اشعارهم ولكنها لم تكن وحدها تستعمل فيها بل نجد ان اول محاولة لنظم الشعر الفارسي في العهد الاسلامي كانت في ذلك الوزن الذي عرف «بدوبيت» واحتذاه حتى العرب فيما بعد كما فعل الاندلسيون المتصرة باختراعهم الموشحات والأزجال واحتذاها غيرهم خارج الاندلس. ويذكر الفرس ان اول نواة لهذا الوزن كان في عهد الصفاريين الذين وقف احدهم على طفل له وقد رمى ببندقة الى الحفيرة التي كان زملاؤه يرمون اليها فلما وصلت لمكانها فرح الابن وطرب بهذه العبارة راقصا : (رقتان رفتان ميرود تالب كو) اي تذهب جارية جارية حتى شفة الحفيرة . فسر الملك لفرحة ابنه وصيحته السارة ، وقال لرجاله : اتموا هذه الفقرة فاتموها ، ونشأ من ذلك الوزن المعروف (دوبيت) اي البيتان وما زلنا حتى الآن تقول فلان يعمل البيتين ..

وإذا كنا نجد في الشعر الفارسي مثل قول حافظ :

الا ايها الساقي ادر كاسا وناولها
كه عشق آسان نمود اول ولي افتاد مشكلها

او قوله :

در حلقه كل ومل خوش خواند دوش بلبل
هات الصبوح هبو يا ايها السكارى

ثم قوله :

آن تلخوش كه صوفي ام الخبائش خواند
اشهى لنا واحلى من قبلة العذارى

فاننا نجده كذلك ياتي لنا بأوزان اخرى لا صلة لها بالعربية في أوزانها مثل قوله :

ميد مد صبح وكله بست سحاب
الصبوح الصبوح يا أصحاب

وغير هذا مما هو في ديوانه وفي ديوان غيره من شعراء الفرس ..

نعم ان الفارسية اخذت من العربية اكثر مما اعطتها ودخلت فيها مواد لغوية لم تكن موجودة في الفارسية قبل ذلك ولكن مع هذا فالفارسية اصبح لها منذ القرن الرابع الهجري كيانها التام في أدبها بنظمه ونثره .. وهي ان عدت اللغات التي لها الاثر الواضح في العربية فهي أولى اللغات واشدها تاثيرا فيها ولا ريب ...

المؤتمر الثالث للآثار بالبلاد العربية

للأستاذ
عبد الهادي التازي

حينما رحبت وزارة التربية الوطنية بفكرة اللجنة الثقافية لجامعة الدول العربية التي تقترح انعقاد المؤتمر ببلاد المغرب ، كانت تتوق هي بدورها الى ان يقف العلماء الآثاريون بانفسهم في عين المكان على هذا التراث الضخم الذي تتوفر عليه بلادنا في هذا الصدد على الخصوص وذلك لصالح الآثار بالبلاد العربية من جهة وللوقوف من ناحية اخرى على السياسة الآثارية التي تعتنقها الوزارة منذ ان احرز المغرب على استقلاله .

وهكذا فلم يحن موعد افتتاح المؤتمر حتى اخذت الدول العربية والهيئات المشاركة تحل ارض المغرب : حضر وفد الامانة العامة لجامعة الدول العربية ، ووفد المملكة الاردنية الهاشمية ، والجمهورية العراقية ، والجمهورية العربية المتحدة باقليميها الشمالي والجنوبي ، والجمهورية اللبنانية والمملكة اللبية المتحدة ، والمملكة المتوكلية اليمنية ، والمملكة المغربية ، ووفد الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية وامارة قطر ، ومجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وجامعة الاسكندرية ، وجامعة عين شمس ، والجامعة الامريكية بالقاهرة ، والجامعة الامريكية ببيروت ، والجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، وهيئة اليونسكو ثم خبراء عالميون في الآثار ...

تم اجتماع الاعضاء للتعارف بكلية الآداب بمدينة الرباط ، وهناك بالمدرج جرى حفل الافتتاح حيث القيت صباح الاثنين تاسع نونبر كلمة السيد رئيس الجامعة المغربية الذي ناب عن السيد الوزير ثم عقبته كلمة الادارة الثقافية فكلمة رؤساء الوفود ...

اللجان الثلاثة

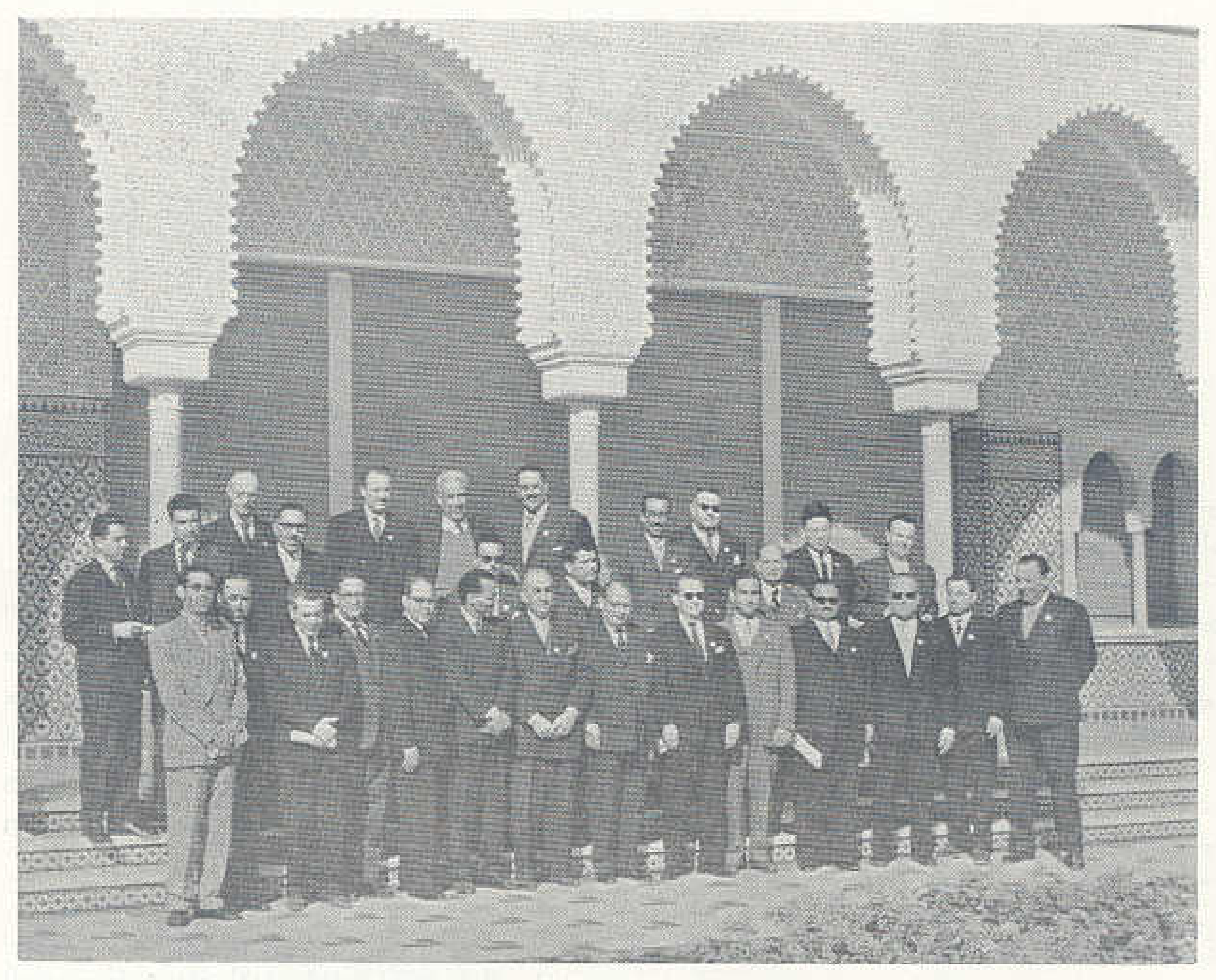
ووجد الاعضاء راحتهم عندما حلوا بمدينة فاس ولكنهم لم يلبثوا قليلا حتى انغمروا في ميدان العمل ... لقد اجتمعوا منذ مساء الثلاثاء حيث تفرعت اللجان الثلاثة : لجنة التعاون العلمي بين المشتغلين بالآثار في البلاد العربية ـ ولجنة القوانين ـ ولجنة المصطلحات العلمية ... وتوزع الاعضاء على اللجان كل حسب ميوله واختصاصاته ...

المحاضرات والبحوث

وفيما عدا الاجتماعات الخاصة للجان كانت تتم جلسات عامة في متحف قصر البطحاء ـ حيث مكان انقاد المؤتمر ـ وجلسات عامة اخرى في مدرج الثانوية الادريسية ... كانت جلسات البطحاء تخصص لسماع التقارير والبحوث الفنية ، بينما تلقى في الثانوية الادريسية المحاضرات العامة ... لقد كان على كل دولة من الدول المشاركة ان تتقدم بتقريرين : الاول عما قامت به من ابحاث اثرية او حفائر او ما اصدرته من مؤلفات علمية في السنتين الاخيرتين ، والثاني عما انجزته من توصيات المؤتمر الثاني للآثار في البلاد العربية المنعقد في بغداد عام 1957 .

وبالفعل تقدمت العراق ، وليبيا والكويت ولبنان والاقليم الجنوبي والشمالي ، والمغرب الخ بتقارير هامة ومفيدة ... هذا الى ان جل الاعضاء المشتركين اسهموا سواء بمحاضرات أو بحوث ...

لقد استمع الناس في اليوم الاول لمحاضرتين معززتين بعرض للصور بالفانوس السحري : احداهما بعنوان : اليمن قديما وحديثا للدكتور احمد فخري ، والثانية بعنوان : الحروف المنقوشة بالقرويين بقلم عبد الهادي التازي ...



اعضاء المؤتمر الثالث للآثار بالبلاد العربية عند زيارتهم لصاحب الجلالة في قصره العامر

واستمع الناس مساء الخميس لمحاضرتين اخريين : احداهما بعنوان : شالة وقيمتها التاريخية والاثرية للاستاذ عثمان عثمان اسماعيل ، والثانية للدكتور سليم عادل عبد الحق بعنوان : المشاريع الاثرية الكبرى في الاقليم السوري ...

ومساء السبت كان موعد محاضرة للاستاذ فؤاد سفر عن روائع الآثار في العراق ، ثم ثانية للدكتور عوني الدجاني تحت عنوان : جولة في آثار الأردن ... ثم مساء الاحد استمع الناس لمحاضرة سابعة للدكتور محمد انور شكري عن روائع الآثار في الاقليم المصري.

ومع هذه المحاضرات انصت الناس الى ثمانية عشر بحثاتعتبر جلها من اهم البحوث التي تستحق النشر والعناية ... ونرى من المفيد ان نعطيكم ــ على الاقل ــ عناوينها لتقدروا عناصرها ...

1) احدث الاكتشافات الاثرية في اليمن للدكتور احمد فخري .

2) الزخرفة المعدنية في النقوش المصرية القديمة للاستاذ شارل كوبتر .

3) حفريات تل الغسيل بالبقاع للدكتور ديمتري برامي .

4) حفائر مدينة ليكسوس للاستاذ طراديل .

6) الآثار الاسلامية بالمغرب : الفن المعماري والصناعي للاستاذ عبد العزيز بن عبد الله .

7) الجامع الكبير في حماه بسوريا للاستاذ كرزويل

8) المدن الاسلامية المندرسة في شمال المغرب للاستاذ احمد المكناسي .

9) طريقة الحفائر الاثرية للاستاذ رومانلي .

10) وحدة العناصر العربية في العمارة والزخارف الاسلامية للدكتور احمد فكري .

11) ترميم الابنية الاثرية التي لاتملكها الدولة للاستاذ مطيع المرابط .

12) التعريف بفن الشعارات الاسلامي للمسيو سوفيل .

13) نشر نص باللغة العربية عن بناء قصر العظم بدمشق في القرن الثامن عشر للدكتور عزت عبد الكريم .

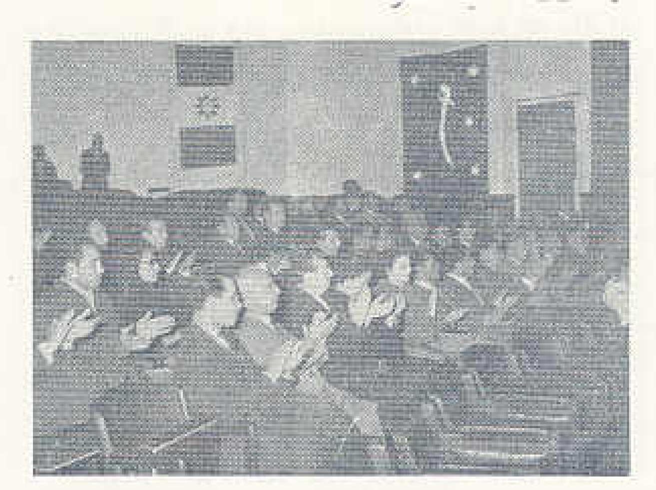
14) الآثار المغربية للمسيو اوزينا .

15) حالة الآثار بالجزائر للاستاذ موسوي رزوق .

16) مدينة تلمسان للاستاذ عبد القادر قريصات .

17) الفنون الاندلسية للدكتور جمال محمد محرز .

18) اسهام اليونسكو في الابقاء على الآثار للاستاذ دايفكو .



احدى الجلسات العامة للمؤتمر الثالث للآثار بالبلاد العربية بمدينة فاس

اربعة عشر تقريرا وسبع محاضرات ، وثمانية عشر بحثا تلك تسعة وثلاثون منشورا هذا عدا المناقشات المجدية والوثائق الاضافية المقدمة من مختلف الجهات ... ويمكننا بهذا ان نقدر قيمة المؤتمر العلمية ... وخاصة اذا ما عرفنا ان كافة المشاركين من ذوي الاختصاص وفيهم من يعد من الخبراء الدوليين في الآثار على أن فيهم من يختص بجانب معين في الآثار فمثلا نرى من توجه للآثار الفرعونية وفيهم من يتجه للآثار الرومانية وآخرون اختصوا في الآثار الاسلامية ...

لقد تخللت هذه الجلسات زيارات لبعض المعالم الاثرية ... كمدرسة ابي عنان ومدرسة العطارين وجامعة القرويين وخزانتها وقريبا المسجد الاعظم بتازة ومدينة وليلي ومتحف البطحاء والقصور الملكية فكانوا في كل ذلك السنا رطبة بالثناء على الثروة التي يتوفر عليها المغرب في باب الآثار ...



اعضاء المؤتمر عند زيارتهم لجامعة القرويين

التوصيات

وكما افتتح المؤتمر اشغاله بكلية الآداب بالرباط فقد اختتم جلساته بنفس المكان حيث القى السيد الوزير ومدير الادارة الثقافية وباقي مندوبي الدول المشاركة ... لكن ما هي التوصيات التي خرج بها المؤتمر بعد هذه الايام المثقلة بالنقاش والحديث ... لقد كان في صدر التوصيات الالحاح على وضع قانون آثاري موحد يهدف الى رعاية ذلك الرصيد الهام الذي تمتلكه الدول العربية ... ثم كرر المؤتمر رجاءه في انشاء مكتب دائم للآثار تابع لجامعة الدول العربية يكون من اعماله :

ا ـ تامين التعاون العلمي والفني بين المؤسسات الاثرية في الدول العربية

ب) وضع سجل كامل للمشتغلين بالآثار في البلاد العربية يبين فيه اختصاصاتهم واعمالهم

ج) اصدار نشرة دورية تتضمن اهم الانباء الاثرية وبيانا بالتقارير والبحوث والدراسات والمشاكل الخاصة بالآثار في كل بلد عربي

د) سن قواعد عامة يجري بموجبها تبادل الآثار بين المتاحف في الدول العربية

3) وبعد هذا اوصى المؤتمر بانشاء مجلس للمتاحف والمعاهد في كل دولة عربية له حق الاشراف على اقامة المتاحف والمعارض وتنظيمها

4) يوصي المؤتمر بالنهوض بالدراسات الاثرية في الدول العربية وخاصة بانشاء معاهد اثرية ملحقة بادارة الآثار على نسق المعاهد الملحقة بالمتاحف الكبيرة

5) يرى المؤتمر ان صيانة المباني الاثرية ومعالجة الآثار في كافة البلاد العربية تقتضيان المبادرة بانشاء مركز للترميم لتقديم الخدمات الفنية الضرورية لجميع أعضاء جامعة الدول العربية

6) يوصي المؤتمر بان يقوم المسؤولون في الآثار بالعمل على تطوير متاحف الدول العربية بما يحقق الاهداف المرجوة منها ومن ذلك الداب على تجديد اساليب العرض المتبعة فيها وانشاء ابنية لها واقامة معارض مختلفة من وقت لآخر في داخل المتاحف او متنقلة داخل الدولة وخارجها

7) يوصي المؤتمر كل دولة من دول الجامعة العربية بالمبادرة بانشاء مجلس او هيئة لحماية الممتلكات الثقافية التي من بينها الممتلكات الاثرية في حالة وقوع نزاع مسلح بما يحقق اتفاقية لاهاي الدولية

8) يوصي المؤتمر كل دولة من دول الجامعة بتوفير الاعتمادات الضرورية لمساعدة مصالح الآثار على القيام بواجباتها الكثيرة

9) يوصي المؤتمر بأن تقوم كل دولة بوضع خرائط تثبت فيها جميع المناطق والمواضع الاثرية ويفضل ان يعتمد في ذلك على خرائط المساحة الجوية

10) يوصي المؤتمر بسرعة تنفيذ مشروع (معجم المصطلحات العلمية) لاهميته الكبرى ويقترح تنفيذ ما اشارت اليه اللجنة الخاصة بهذا الموضوع

ثم اوصى المؤتمر بان تهتم الادارة المختصة بالآثار في حكومات جامعة الدول العربية بالبحث عن الآثار المغمورة تحت المياه

واخيرا يوصي المؤتمر جامعة الدول العربية بان تتصل بحكومات الدول العربية الممثلة في المجلس التنفيذي لليونسكو لاتخاذ الخطوات اللازمة لارسال لجنة لتحقيق ما يكون قد جرى من اعتداءات على المباني الاثرية في القسم المحتل من فلسطين وفي الجزائر .

انطباعات

فماذا كانت ــ بعد هذا ــ انطباعات هؤلاء السادة عن بلاد المغرب ؟ لقد عشت معهم عن كثب واستمعت اليهم وهم يتخيرون ابلغ العبارات واقواها اداء لهذا «الجمال الطبيعي» الذي حبا الله به هذه البلاد فهم كما يقولون وردوا للبحث عن الآثار والتنقيب عن الاوابد لكنهم وجدوا انفسهم امام تحفة رائعة سحرت الالباب واخذت بمجامع القلوب ولقد كان في ابرز مالفت انظارهم هذه «الموسيقى الاندلسية» التي كانوا يهتزون لها اهتزازا فيتناسون حيثياتهم وياخذون في تتبع نغمها بايديهم وارجلهم كذلك ... وكان فيما اخجلهم ــ على حد تعبيرهم ــ هذا الاحتفاء الذي استقبلوا به في سائر الجهات التي زاروها سواء من رجال السلطة او من افراد الشعب ... وكان مما غمرهم سرورا استقبال العاهل الكريم لهم بدار السلام وتمنيه لهم عودا ثانيا وثالثا للمغرب الذي يسعد بضيوف تربطه معهم اواصر الروح والقربى .

أثر الحرية في تربية الطفل

للاستاذ
محمد محيي الدين المشرفي

ان التربية التقليدية التى تأثرت الى حد بعيد بالتربية اليونانية والرومانية وبالتربية المسيحية خاصة فى القرون الوسطى كانت تمتاز بالشدة والقسوة على المتعلمين وكان المربون في ذلك العصر ابعد من ان يدركوا حقيقة التربية ومشاكل الطفولة او يفكروا في السماح للاطفال اثناء الدرس حتى بقسط ضئيل من الحرية والعمل الذاتي . ومن ثم كانوا يعاملونهم معاملة شديدة اساسها القمع والكبت .

والواقع ان تلك المعاملة الشاذة كانت وليدة الاحوال والظروف الاجتماعية والدينية التى كانت تحيط بالمدرسة العتيقة ؛ فالناس كانوا منقسمين الى طبقتين ؛ طبقة الاسياد وبيدهم زمام الامور كلها وطبقة العبيد والرقيق وكانهم ماخلقوا الا لطاعة الأسياد وتلقي اوامرهم في انقياد واستسلام ! ثم ان التقاليد الدينية وذلك خاصة في القرون الوسطى كانت تفرض فرضا على الناس بحيث لايسمح لاحد في ان يراجعها او ينازع فيها ، وتطبيق تلك القوانين السماوية بصورة صارمة جعلت الجمهور ينقاد بسهولة لطاعة اولياء الامور ؛ اضف الى ماسبق ان نظام الاسرة نفسه كان يمتاز بسيطرة الأب على افراد العائلة كلهم ولم يكن هناك من تحدثه نفسه بمعارضة رب العائلة فيما أصدر من الأوامر او اشار به من الراي . لذلك كله كانت المدرسة القديمة لاتعني بوجود الطفل فضلا عن ان تفكر في اعطائه نصيبا من الحرية .

فلما ذهبت الاستقراطية السائدة في العصور القديمة وحل محلها نظام جديد ــ وهو السائد فى الدول الديموقراطية المعاصرة ــ كان من المعقول ان تسري تلك النزعة الديموقراطية في جميع الهيئات الاجتماعية بما فيها المدارس الحديثة ؛ ومن ثم قامت طائفة من المربين كمونتاني وروسو ومونتسوري وغيرهم ينادون بمبدا جديد فى التربية يتلاءم مع روح العصر وهو مبدا يرمي الى اعطاء الأطفال قسطا كبيرا من الحرية ، بل الى اطلاق الحرية للطفل كاملة غير منقوصة داخل المدرسة .

والواقع ان اولئك المربين لم ينادوا بالمبدا الجديد لمجرد طرافته او تالبا على النظام العتيق وكفى ، وانما كان قيامهم بتلك الدعوة نتيجة لما اجروه من ابحاث في ميدان التربية ودراسة لمشاكل الطفولة دراسة سيكولجية صحيحة ادت بهم الى معرفة طبائع الاطفال والوقوف على مايختلج في نفوسهم من نزعات وميول . فكان شعارهم ان الطفل لم يخلق للمدرسة تتصرف فيه كما تريد ، وانما المدرسة هي التي خلقت للاطفال ، فعليها اذن ان تدرس ميولهم ونزعاتهم وعليها فوق ذلك ان تعالج كافة الأطفال الموضوعين تحت كفالتها معالجة تلائم كرامتهم وشخصية كل واحد منهم حتى تهتدي بالتدريج الى تعديل سلوكهم والقضاء على اسباب الشر الكامنة في نفوسهم .

هذا وان اصحاب المدرسة الحديثة يعللون نظريتهم السابقة باسباب معقولة مقبولة ، فيقولون ان الناس لم يخلقوا في جملتهم أسيادا حتى يسمح لهم باملاء اراداتهم على الغير ، ولا عبيدا يجب ان يتقبلوا تلك الاوامر صاغرين ويكرهوا اكراها على العمل ؛ واذا ما صح ان في كل شخص منا نزعتين نزعة الى التغلب والسيطرة ، ونزعة الى الخضوع والانقياد ــ وهي حقيقة انتهى اليها العلماء بالبحث والاستنتاج ــ فاية حجة يستند اليها اولئك المسيطرون لحمل طائفة من الناس على الخضوع والامتثال ، وطبيعتهم تدفعهم في الوقت نفسه الى الاستسلام والسيطرة معا ؟ اليس في ذلك استخفاف بكرامة الشعب ؟ بلى ، ان لكل شخص كرامة يجب احترامها ، وتبعا لما تقدم يجب ان يترك الطفل في المدرسة حرا يفعل مايشاء متى شاء ؛ فلا نقوم في وجهه غاصبين لحريته ، مهيمنين على شخصيته ؛ ومن نتائج الأبحاث السابقة ان الكبت

يقتل روح الابتكار ؛ وبما ان النظام الديموقراطي يرحب بكل عامل مبتكر ويجعل افراد الشعب جميعهم في منزلة واحدة حتى ينتفع من قدرات الجميع على الخلق والابتكار ، كان من الضروري أن نطلق الحرية للأطفال لأن اعطاءهم قسطا كبيرا منها يحملهم على الثقة بالنفس والثقة بالنفس تحفزهم الى الخلق والعمل المنتج وفي ذلك تقدم سريع للمجتمع . اما من الناحية الخلقية ـ وهي أهم بكثير من كل ناحية أخرى ـ فنستطيع القول بأن الحرية تمكن الطفل من اظهار شخصيته وتقوية ارادته نظرا لما يكون قد اكتسبه من تجارب في المدرسة ؛ ولا شك ان تلك التجارب هي التي تجعله قادرا على تعديل سلوكه والتخلق بالاخلاق السامية ، بحيث يكره من تلقاء نفسه ما يجب ان يكره ويحب ما وجب ان يحب. ولعمري ان هذه المرحلة هي اسمى ما يمكن الوصول اليه وهي الغاية من التربية الحقة . اما اذا شب الطفل وهو يتلقى الاوامر من المعلم بحيث لايتحرك الا بايعاز منه فسرعان ما تمحى شخصيته ويصبح عرضة لرياح الأهواء والنزعات السيئة .

وبديهي ان النظريات السابقة على طرافتها وجدتها لاتكتسي قيمة في نظرنا الا اذا كانت سهلة التطبيق قابلة للتعميم ؛ اما تطبيقها فقد شرع فيه فعلا في مدارس نموذجية كالتي انشأتها المربية الايطالية منتسوري والتي عملت فيها على تطبيق مبدا الحرية بمعناه الواسع الشامل لا من الناحيتين العقلية والخلقية فحسب ، بل من الناحية الجسمية كذلك . وهكذا الغت المربية المذكورة المقاعد المثبتة في الارض وجعلت مكانها مقاعد متحركة حتى لايشعر الطفل باية سلطة تضغط عليه كما جعلت الطفل حرا في أن يدخل حجرة الدراسة او يخرج منها دون أن يتعرض له احد ؛ ولم يكن المتعلم في تلك المدرسة النموذجية مقيدا بمادة من المواد ؛ اما المعلم فكان عليه ان يتشبث بموقف المرشد والمساعد حتى تتربى في الطفل القدرة على العمل ويتمكن من استخدام حواسه بصورة مفيدة . اما من الوجهة الخلقية فالطفل في تلك المدرسة يعطى كامل الحرية يستخدمها كيف يشاء على شرط ان لايسيء الى زملائه .

ومن الظاهر ان مدارسنا لاتتبع هذه النظريات وذلك لأسباب مادية ومعنوية معا ؛ واذا كنا نبتهج لمبدا الحرية في المدرسة فاننا مع ذلك لانقول باطلاقها كاملة للأطفال لأن ذلك قد يؤدي بهم الى الفوضى وعدم الاستقرار بل ندعي ان الطفل لو عاش اليوم في مدرسة يشبه نظامها النظام القائم في مدرسة منتسوري لما استطاع ان يتابع سيره في الحياة باطمئنان لأن نظام الحياة ونظام المنزل مخالفان للروح التي تسود تلك المدارس المثالية . اجل ، متى خرج الطفل من المدرسة الى المجتمع فانه يرى نفسه محاطا بسياج من القوانين وضعت لصالحه طبعا ولصالح مواطنيه ولكنه يرى مع ذلك في الخضوع لها والعمل بها تقليلا من حريته ونفوذه . وهناك سلطة الأبوين التي لاتزال نافذة المفعول في وسطنا الاسلامي ولا سبيل الى نقض سلطة الوالدين . ولكل هذه الأسباب نعتقد ان ليس من المصلحة في شيء ان تترك الأمور تجري على اعنتها ؛ لايتحكم في المتعلم احد ولا يخضع هذا الطفل لنظام قار ؛ فنحن نريد ان نعطي الطفل حرية معقولة اكثر من التي يتمتع بها الآن واقل مما يرمي اليه نظام المدارس النموذجية التي سبق ذكرها ؛ نريد من الوالدين ان يخففا من سلطتهما على الطفل فيعاملاه باعتباره كائنا حيا له شخصية وكرامة كما نريد من المعلم أن يجعل الطفل اساسا في تعليمه يجب ان يرمي المعلم وراء ظهره فكرة العقاب البدني العقيمة ويحمل الطفل على استخدام مواهبه ليتمكن من التفكير السليم ، ولذلك يجب الا يقدم له درسا الا على شكل يروق خياله ويحفزه الى النشاط والعمل المنتج ، ذلك لأن نشاط الطفل هو الذي يتيح الفرصة للمعلم للكشف عن نزعاته وميوله ، فيتعهدها اذ ذاك بالتهذيب والاصلاح لأن المسالة مسالة تربية قبل كل شيء وبعد كل شيء لا مسالة تعليم فقط ؛ ومن آثار الحرية الظاهرة في التعليم انها تحبب العمل الى الطفل وتشجعه على المضي في السبيل حتى بعد انقطاعه عن المدرسة ، اذ تمكنه من تعليم نفسه بنفسه . ومبدا الحرية هو الكفيل باشعار الطفل بالمسؤولية ؛ فيعدل سلوكه تبعا لمصلحته ومصلحة مواطنيه ؛ وعليه فهو الذي يعينه على تقوية ارادته بحيث يصبح مسيطرا على نزعاته ، يتحكم فيها كما يريد ، ولا يخضع الا لتلك الارادة القوية ، وفي الخضوع لها تدريب له على المكاره **لان الحرية الحقة هي الا نفعل مانشاء ولو صح ذلك لكنا ـ كما قال احد المفكرين ـ عبيدا لشهواتنا ونزعاتنا المضطربة ؛ ولكن الحرية بمعناها السامي الصحيح أن تعمد الى كل ما يعيننا على استئصال بوادر الشر والفساد العالقة بالنفس ونعمل على تزكية كل خصلة حميدة فينا حتى نحقق بذلك لأنفسنا حياة سعيدة تغمرها الفضيلة وهناك نكون قد أدركنا معاني التربية الحقة .**

إفريقيا السوداء المسلمة في طريق التحرر

للأستاذ : قاسم الزهيري

اخذت القارة الافريقية موعدا مع التاريخ في هذا النصف الاخير من القرن العشرين ، وخاضت شعوبها منذ عدة سنوات معركة الحرية ، فأطاح بعضها صروح الاستعباد ، بينما يناضل الباقي في سبيل الانعتاق ، واذا كان النصف الاول من هذا القرن قد شاهد تحرر آسيا ، فان النصف الثاني سيكون بشيرا ببلوغ افريقيا مطامحها .

الى نهاية الحرب العظمى الثانية لم تكن بافريقيا سوى ثلاث دول مستقلة ؛ ليبيريا ومصر والحبشة ، وتبعتها ليبيا والسودان ثم المغرب وتونس ، ومن ذلك الحين هبت عاصفة تحررية قوية بافريقيا السوداء تصدعت لها دعائم الانظمة الغربية المفروضة على شعوبها ، مما دعا بعض الدول الاوروبية - وخاصة منها بريطانيا العظمى وفرنسا - الى مراجعة سياساتها الاستعمارية والتفكير في تغيير علاقاتها مع هذه الشعوب .

وهكذا تخلصت اقطار جديدة كغانا وغينيا ، بينما ستستقل في السنة المقبلة اقطار اخرى كالكامرون ونيجيريا والطوغو زيادة عن دول داخلة في الرابطة الفرنسية وتطالب بوضع حد لسيطرة فرنسا على سيادتها كالاتحاد المالي الذي يضم السودان والسنغال .

ان الحركة القائمة الآن في افريقيا السوداء تستهدف غايتين : التحرير والتوحيد . وهي تتمشى بسرعة النار في الهشيم ، واذا كان الهدف الاول هو القضاء على الاوضاع التي اقامتها اوروبا خلال القرن الماضي ، فان الزعماء السود يبحثون بجد عن تكوين اتحادات بين اقطارهم ، ويعقدون المؤتمرات للبحث عن الاسس الصالحة لتحقيق هذا الهدف ، ففي اقل من سنة ونصف اجتمع ثلاثة مؤتمرات على جانب عظيم من الاهمية : مؤتمر الدول الافريقية المستقلة باكرا في شهر ابريل سنة 1958 ومؤتمر كوطونو في يوليوز 1958 ومؤتمر الشعوب الافريقية باكرا في دجنبر 1958 ، زيادة على المؤتمرات الاقليمية او المهنية التي دونها اهمية والتي انعقدت بعد ذلك ، ولم تخرج مقررات هذه المؤتمرات عن «التنديد بالتوسع الامبراطوري والاستعماري بجميع اشكاله ، وتشجيع سرعة الحركات الاستقلالية في افريقيا باجمعها ، وتاكيد حق الافارقة في امتلاك الاراضي الافريقية والمطالبة بقيام امم افريقية حرة مستقلة» واعلن المؤتمرون ان : «الاتحاد الافريقي رابطة ليس لها صبغة بريطانيا او فرنسية وانما هي افريقية فحسب»

وكان لهذه المواقف صداها البعيد في بريطانيا العظمى وفرنسا فاتجهت الاولى - حسبما عرف عنها من مرونة - الى تصفية سيطرتها السياسية ابقاء لنفوذها الاقتصادي والمعنوي ، بينما اتجهت الثانية الى تسليم بعض مظاهر السيادة الى الاقطار الافريقية التابعة لها مع جمعها في رابطة واحدة معها ، ويبدو ان نشوء جمهوريات تتمتع بنوع من الحكم الذاتي في نطاق هذه الرابطة لم يعالج المشكلة في عمقها خصوصا بعد ما اصبح الدستور الفرنسي ينص على حق هذه الاقطار في الخروج من هذه الرابطة والتحرر من كل تبعية ، وقد اعطت غينيا المثال ، فتطلعت اقطار اخرى الى الاقتداء بها ، مما جعل الجنرال دوكول يعلن في ندوته الصحفية الاخيرة : «لقد طوت عاصفة التاريخ احدى الصفحات» ويعني بها صفحة الاستعمار .

ان هذه الموجة التحريرية سينشأ عنها قيام دول اسلامية جديدة او دول معظم سكانها من المسلمين ، فازيد من ثلث سكان القارة الافريقية

يدينون بالاسلام ، ويزداد الاقبال على هذه الديانة بتوالي الايام ، ان كلا من نيجيريا والنجير والتشاد والسنغال تعتبر اقطارا اسلامية ، بينما يحتوي السودان وغينيا على اغلبية كبرى من المسلمين ، وتتراوح نسبة اتباع العقيدة الاسلامية في الاقطار الافريقية الاخرى بين خمسة في المائة وثلاثين في المائة ، ويذكر الملاحظون ان عدد المسلمين تضاعف في السنوات العشرين الاخيرة .

ان تفتح هذه الاقطار الى الاستقلال يضع بقية الدول الاسلامية المستقلة امام مسؤوليات جديدة ، وخاصة دول المغرب العربي وبالاخص منها بلادنا التي هي اقرب المنافذ الى جزء كبير من تلك الاقطار ولم تنقطع صلاتها بها عبر التاريخ منذ وصول الاسلام الى ديارنا ، ويقتضي الانقلاب الجاري الآن في افريقيا السوداء رسم سياسة مدققة تهدف الى تشجيع الحركات الاستقلالية بكل الوسائل الممكنة ، وتعزيز روابط الصداقة والتعاون في شتى الميادين ، وتوجيه اكبر العناية الى توثيق العلاقات وتبادل المصالح .

ولا ننسى ان عصور انحطاط الدولة المغربية في بعض فترات تاريخنا والدعاية المسمومة التي قام بها الاستعمار الغربي في افريقيا السوداء قد خلفت كثيرا من الذكريات البغيضة والاثر السيء ، وعلى مقدار مايبذله المغرب من جهد لمحو هذا الاثر وتلك الذكريات يتوقف تعاونه مع افريقيا السوداء في الميدانين الداخلي والدولي .

ومنذ اخذت هذه الاقطار تتحرر من الاستعمار الغربي ، وجهت بعض الدول الكبرى عنايتها نحوها ، وقد اصبحت اليوم ميدانا لتنازع النفوذ بين الولايات المتحدة والكتلة السوفياتية ، بينما نرى المانيا الغربية و «اسرائيل» من جهة اخرى تبذلان ما في وسعهما لربط مختلف العلائق معها ، وقد ترددت على افريقيا السوداء منذ سنة 1957 عدة وفود سوفياتية بمختلف الذرائع ، وامضت اتفاقات كثيرة ، بينما استقرت سفارات يراسها كبار الشخصيات الروسية في اكرا وكوناكري ، ويوسع السوفياتيون امكانيات الاتفاق والتعاون مع الدول الناشئة في افريقيا السوداء بما يقدمونه لها من عروض في منتهى السخاء ، ومن جانب آخر يولي قسم الشؤون الافريقية في وزارة الخارجية الامريكية اهتماما بالغا بتلك الدول ، ومنذ الرحلة التي قام بها خليفة رئيس الولايات المتحدة مستر ريتشارد نيكسن عبر افريقيا امتد التمثيل الديبلوماسي والقنصلي هناك ، وتحاول امريكا بما تبديه من عطف حيال المطامح الافريقية ان تحول دون تسرب الشيوعية الى هذه الدول الناشئة المتخلفة من الناحية الاقتصادية والاجتماعية ، وما الرحلة التي قام بها الشيخ احمد توري رئيس حكومة غينيا مؤخرا والرحلة السابقة للرئيس نكرومة في الولايات المتحدة وما صادفاه من اقبال الا الدليل على اهتمام زعيمة الدول الغربية بتطور الحالة في قارتنا .

كل هذا يهيب بنا الى الشروع بجد في سياسة تقربية مع الاقطار السوداء وتعزيز الصلات الكثيرة التي تجمعنا ماديا وروحيا والتعاون معها للنهوض بقارتنا وتخليصها من مخلفات الاستعمار .

المسجد: خلية اجتماعية

للاستاذ: عبد الكريم غلاب

تبرع امير الكويت عند زيارته للمغرب بمبلغ مهم من المال لاقامة مسجد في طنجة، وستسهر وزارة الاوقاف على تنفيذ هذا المشروع الاسلامي، وليس من شك في أن المبلغ الضخم سينتج مشروعا ضخما يليق بالفكرة الاسلامية النبيلة التي دفعت الامير العربي الى تشييد بيت من بيوت الله على المضيق الذي عبر منه الآذان الى قلب اوروبا.

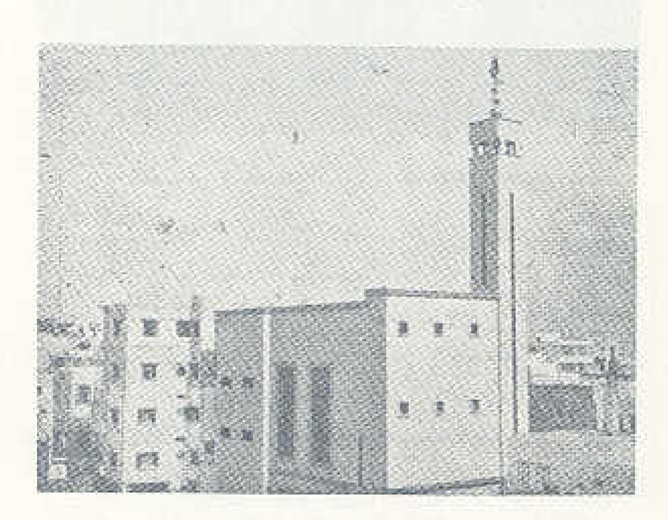
واحب بهذه المناسبة أن اعرض تجربة ثبتت فكرتها ونفذت في بيروت عاصمة الجمهورية اللبنانية عساها ان تكون نموذجا امام وزارة الاوقاف تستفيد منها في تنفيذ هذا المشروع الاسلامي.

وقصة المشروع اللبناني تبدا مع التفكير في اقامة مسجد في حي من الاحياء الاسلامية في بيروت، اغلبية سكانه من المسلمين ومع ذلك لم يكن يوجد به مسجد، والمشاريع الدينية في الجمهورية اللبنانية تقوم بها الجمعيات الاسلامية او المسيحية، لان الدولة ليس لها دين رسمي، وميزانيتها لا ترصد مبالغ للمشاريع الدينية اسلامية او مسيحية، وليس بلبنان وزارة او ادارة للاوقاف وما احسب ان هناك اوقافا تستدعي ادارة او وزارة.

وحينما فكر ذووا الراي من «محلة المزرعة» ببيروت في سد حاجة المسلمين الى المسجد اتجهوا الى تاسيس لجنة، وجمع التبرعات لتحقيق المشروع، وكان من اعضاء اللجنة العالم الاديب الاستاذ عبد الله المشنوق، فأوحى بفكرة الخلية الاجتماعية.

وتقوم الفكرة على اساس ان المسجد كان منذ عرفه المسلمون بيتا لله تقام فيه الصلاة، ويعبد فيه الله، وكان الى جانبه منتدى يتباحث فيه المسلمون شؤون دينهم، وكان مركزا من مراكز العلم والوعظ والارشاد وكانت به المكتبة تغذي عقول المسلمين بمعارف الدنيا والدين.

وتاريخ المساجد في الاسلام يدل على أن المسجد لم يقصر في اداء مهمته طوال عصور التاريخ، واذا كانت الحياة الاجتماعية والثقافية قد بدات تنسلخ عن المسجد نظرا لانتشار المدرسة والجامعة والمكتبة والنادي وقاعات المحاضرات، ونظرا لابتعاد العلم عن الدين ومراكز الدين في كثير من بقاع الارض فاننا كمسلمين اولا، وكدول متخلفة في الميدان الاجتماعي والثقافي يجب ان يظل المسجد عندنا في الميدان، يؤدي مهمته الثقافية والاجتماعية الى جانب مهمته الدينية، ويجب ان يظل - كما كان طوال تاريخه - خلية للعمل الديني والاجتماعي والثقافي لا مكانا مهجورا الا في اوقات الصلاة.



منظر الخلية من الجهة الغربية والى اليسار بناء المشغل

وهكذا كانت الفكرة ثم جاء التصميم الهندسي فساعد على ابراز التصميم الفكري، وتضافر المفكر والمنفذ في ابراز بناية رائعة جميلة الشكل جديدة المظهر وافية بمهام الخلية الاجتماعية.

وتألفت الخلية من مسجد، ومنتدى، ومستوصف، ومدرسة، ومشغل للصناعة، فأمنت لابناء المحلة العبادة والاجتماع والصحة والعلم والعمل.

وزرت الخلية فوجدت طابقها الارضي قاعة للمحاضرات انيقة جميلة مجهزة احسن تجهيز ، خاصة بالشباب والشيوخ في انتظار المحاضر ، وعلمت ان القاعة تساهم في التثقيف العام عن طريق المحاضرة والمناظرة وعرض الاشرطة الثقافية والتربوية ، وبجانب القاعة النادي للمطالعة والسمر البريء ، وهو الى جانب ذلك مركز للاجتماعات التي تهم سكان الحي او المنظمات الاجتماعية الاسلامية التي تبذل نشاطها بين المسلمين ولا تجد مكان الاجتماع الذي يساعدها في تحقيق مشاريعها ، وفي النادي اقيمت عدة حفلات لعقد زواج المسلمين فهو بذلك يساهم في تحقيق الغاية الاجتماعية من حفلات الزواج .



المنبر والمحراب في مسجد الخلية

والى جانب النادي دخلت المستوصف الصغير وبه عيادتان وصيدلية ومجهز بأحدث المعدات الطبية ، ويشرف عليه عدد من الاطباء المتطوعين بساعات من يومهم يعالجون المرضى ، والقابلة هناك تولد بالمجان كذلك ويساهم المستوصف في التطعيم والارشاد الصحي والاغاثة في الحالات المستعجلة .

وقد خصص قسم من الطابق الارضي للمكتبة ، وحفلت بمختلف الكتب العربية والاجنبية ، والجدير بالذكر ان معظم هذه الكتب قد تبرع بها المؤلفون او المكاتب او دور النشر والطباعة .

وفي الدور الثاني من هذا البناء يوجد المسجد بسلمه الرخامي الثمين وقاعته المتسعة التي تسع نحوا من 400 من المصلين وبه سدة خاصة للنساء ، وهو يجمع في انسجام بالغ بين الفن الشرقي والفن الغربي ومفروشا فرشا انيقا ، ولا يخلو في وقت من الاوقات من المصلين والذاكرين والوعاظ .

وباتساع ميزانية الخلية بنت بجانب عمارة المسجد مدرسة للبنات تسع نحو 600 طالبة وقد تبنتها الحكومة ، والى جانب المدرسة يوجد المشغل ، ويعمل على تعليم الفتيات بالمجان فنون الرسم والتفصيل والخياطة والتطريز مما يساعد الفتيات على تأمين مستقبلهن ويقي الفقيرات منهن العوز ويجعلهن عنصرا مساهما في الانتاج .

وقد وجد المشغل اقبالا كبيرا من الفتيات ويقيم معارض ناجحة لمنتجاته بين الآونة والاخرى ، ويوزع الملابس التي ينتجها على الفقراء والمعوزين واللاجئين .

وتساهم المراة بحظ وافر في نشاط الخلية الاجتماعي فتدرس وتحاضر وتعلم الاشغال اليدوية وتمرض وتصلي وتدعو للخير .

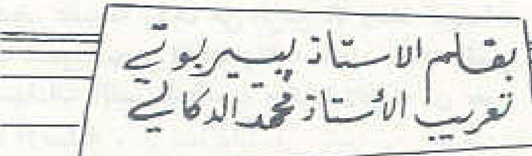
وقد قامت الخلية على تبرعات المؤمنين وفي مقدمتهم الملك سعود الذي تبرع بأزيد من ثلاثين مليونا من الفرنكات ، فتشجع بهذا المبلغ على تشييد الخلية فأطلق اسمه عليها .

والنجاح الذي احرزت عليه الخلية في تحقيق الفكرة الدينية والاجتماعية شجع احياء اخرى على اقامة مثل هذه الخليات ، وبذلك تحققت الفكرة السامية من المسجد ، وتحققت على احسن صورها واقواها خيرا وفائدة .

فلم لا يكون المثال الذي ضربته بيروت قدوة للمغرب حينما ينشيء المساجد .

اننا ندعو الى ان تكون التجربة الاولى في المسجد الذي سينشأ في طنجة ، فمثل طنجة في حاجة الى خلية ؛ بل خلايا اجتماعية تؤمن للمؤمنين العبادة والاجتماع والصحة والمعرفة ، واننا ندعو الى احياء مهمة المسجد بالروح القديمة والشكل الجديد ، وحري بوزارة الاوقاف ان يتسع صدرها لتنفيذ هذه الفكرة .

الى الشبيبة المغربية



لقد حقق المغرب الآن قفزة باهرة تخطى بها الزمن الذي كان يباعد بينه وبين مايسمى «بالتقدم»

والواقع ان شبيبته المتفجرة حمية وحماسا ، المقدرة اعمق التقدير لمسؤولياتها قد وجدت نفسها — هي وقادتها — تهيمن بين عشية وضحاها على قطر لم يسبق لها ان تدربت على تسيير شؤونه فاصبح على المغاربة ان يتزودوا بالنصيب الاوفر من الشجاعة والاقدام حتى يتيسر لهم القيام بجميع الاعباء التي تتطلبها ادارة شؤونهم بانفسهم .

اما رايت المغرب يشمر عن ساعديه ليتولى قيادة مصيره بيده وهو خلو من جميع الاطارات ليس عنده الا ما ترك المحتل ... ولم يترك الا مازهد فيه .

لقد كان على المغرب ان يبدأ بناء الصرح من الاساس غير معتمد الا على اقلية جد قليلة ولكنها يقظة صادقة العزم ، مسلحة بثقافة عالية منها ما استمدته من العلوم الاسلامية ومنها ما استمدته من غيرها . اما بقية الشعب وهي بقية تشمل اغلبيته الساحقة فما كان لها من عدة الا جميل الارادة والعزم الوطيد والايمان الراسخ بالمستقبل .

لم يعد المغرب قابعا في عقره ، منزويا على نفسه بل فتح نوافذه ونظر الى الخارج فسرت فيه روح جديدة وملأت كلمة «التقدم» الساحرة عيونه وآذانه واصبحت هدفه وغايته وشعاره الذي تلألأت انواره في مخيلته كما يتلألأ لهيب المشعل في ظلمة الليل .

وقد طغت كلمة «التقدم» على ماعداها واصبحت الهدف الذي تقوم لتحقيقه الاحزاب السياسية والنقابات الساهرة على مطالب اعضائها ، ومن اجل ذلك التقدم نشأت الاتصالات مع الخارج وبدأت دراسة العلوم العصرية والمنجزات الاجتماعية ، بل لقد صار الحديث عن هذا التقدم حديثا عن اله معبود جعل الناس ينسون ربهم ورسوله وسنة الرسول ليتجهوا في عزم واصرار نحو المدنية المادية يترامون عليها وهم في خوف من اعطائها اسمها المادي ولكن هذا الخوف لايمنعهم من متابعة الخطوات الى الامام ، ومن السير السريع نحو الرفاهية ، غير ناظرين الا لها ، تاركين ارواحهم منسية في عقر ديارهم ! .

لقد تخلى الناس عن كل شيء يعوقهم عن الجري نحو المدنية العصرية ، نحو النعيم المادي الذي اصبح المال أقرب سبيل للوصول اليه . لقد تخلوا عن الفلسفة الدينية وعن الاديان والمعتقدات وعن كل شيء في سبيل شيء واحد ، هو النعيم المادي .

لم تعد العقيدة الاسلامية عند هذه الكثرة من الناس الذين جرفهم تيار العصر الا نوعا من مخلفات الازمان الغابرة لا ترضي الا الكهول . اما الشبيبة فقد انساقت نحو «الشيء العصري» تريد ان يكون اثاث منازلها ومكاتبها مصنوعا من الصلب ، شأنه في ذلك شأن قلوبها الصلبة .

ولكن هؤلاء ينسون ان السعيد من آمن بعقيدة رائعة وكان على دين كالدين الاسلامي الانساني الذي يحقق للشبيبة المغربية أعمق وأسمى مطامحها . عقيدة يستمدون منها السر الذي يهيء لهم العمر الروحي المديد . انها ينبوع الحياة المادية الصافية .

هذه حقيقة الباهم عنها الظن الخاطيء بان اقوال وعلوم أقطاب القرنين السابع عشر والثامن عشر لم تكن الا تلاعبا بالروح ، اقوال لابداية لها ولا نهاية وعلوم لاتصلح نقطة انطلاق لفلسفات ثورية . والثورة عندهم هي قلب الاوضاع . **انهم ينسون** ان الايمان يخلق قوة داخلية ، قوة في النفس لاتعادلها ولا تقوى عليها اية قوة اخرى . قوة لاتقف عقبة امام اعمال البشر بل

تضاعفها وتوسع مداها . فاذا كان هدف الشبيبة المغربية هو الوصول الى التقدم فهل يظنون ان ذلك غير مستطاع الا اذا تخلوا عن تعاليم القرآن الكريم . ان الراي عندي انهم يخطئون فيما يظنون **فما من شعب عصري هجر عقيدته ردحا من الزمن الا وعاد اليها ، ولقد راينا شعوبا تهجر لغاتها وتاخذ العلم بلغات الغير وتحمل شهادات الغير الجامعية ولكنها لاتلبث ان تعود الى لغاتها الاصلية .** عرفت ذلك في كثير من الشعوب منها اهل الغال وسكان جزيرة مان واهل كورنوال وسكتلندة في بريطانيا العظمى وسكان مقاطعة بريطانيا الواقعة في شمال شرق فرنسا وسكان ايرلندة وغيرهم . كل هذه شعوب عصرية احتقرت في وقت من الاوقات لغاتها وعقائدها لتتعلق باهداب الشيء العصري ولكنها ما لبثت ان عادت الى لغاتها وعقائدها يوم عرفت قيمتها .

وان الفضل ليرجع الى بعض «المتاخرين» الذين حافظوا على العادات والتقاليد حتى جاء وقت استرجاعها لمقامها العزيز في النفوس .

واذا علمنا ذلك فاننا نتساءل ما للمغاربة يسعون اليوم الى قطع الصلة مع مدنيتهم المجيدة ليعودوا الى التنقيب عنها واحيائها في الغد ؟

سوف تمضي سنوات الشباب الثائر وتعقبها سنوات يبيض فيها شعر الراس فيتبين للثائرين بالامس على حاضرهم انهم خسروا زهرة العمر في الجري وراء اسطورة ، ووراء سراب انهكهم ولم يرو لهم عطشا .

ما اكثر اولئك الذين هجروا عقيدتهم وهجروا معها عاداتهم وتقاليدهم ثم ندموا عليها يوم انهكتهم السنون والاعوام وخانتهم قواهم الجسمية . واضرب المثل ببعض منهم : ادوار هريو عمدة مدينة ليون ورجل الدولة الذي عاش ملحدا منكرا للأديان طول حياته فلما حضرته الوفاة مد يده نحو السماء تائبا ملتمسا الغفران . وشارل مورا الذي كان ملحدا مطرودا من الكنيسة محكوما عليه من قداسة البابا

لقد تاب وعاد الى الكنيسة قبل ان يجتاز ابواب الابدية . وهناك الصحفي البريطاني جوواد الذي انكر الاديان كلها وصغر شانها ثم قام يجاهر بتوبته ويلتمس العفو من كل الذين جرهم في اذياله .

وما كانت ولن تكون العقيدة الاسلامية واللغة العربية وتعاليم القرآن عقبات تصد دون الحياة العصرية وانما تعطي لهذه الحياة الاتزان وتبث فيها الروية والحكمة وتصد عن الاخذ بها في طيش وجموح . ولئن كانت الديانة الاسلامية عقبة فهي عقبة تصد عن سوء استعمال الطبيعة واذا كان الامر كذلك فكيف يعرض شبان المغرب عنها وعن لغتها ؟

ومهما تكن قوة النظريات والمذاهب المادية فانها لاتصمد امام الاندفاعات الروحية ففي الجمهوريات الروسية يدرسون ثلاثين لغة مختلفة ولكننا لانجد اهل جمهورية واحدة يتخلون عن لغة آبائهم واجدادهم . واهل الصين الشعبية يتشبثون اعمق التشبث بماضيهم ولا يرضون بديلا عن العقائد التي اورثتهم اياها الآباء والاجداد ، لم ينس الروسيون ايفان الهائل ولا قيصرهم بطرس الاكبر ولا ملكتهم كاترين العظيمة ومع ذلك فالاتحاد السوفياتي والصين الشعبية يسيران بخطوات واسعة نحو هذه الحياة العصرية .

وقد تقول ان اهل هذين القطرين يجهلون الديانات والمعتقدات او يشنون عليها حربا شعواء .

قد يكون هذا القول صادقا ، ولكن شرارة واحدة تكفي لاشعال نور الايمان وجعله يتدفق في قوة لم ير لها مثيلا من قبل . وكما يحافظ اهل روسيا المؤمنين على عقيدتهم في اعماقهم ، فكذلك المسلمون ، ليس منهم من يفرط في قلامة ظفر من عقيدته رغم مايجتازه من عقبات في الساعة الراهنة فلا تنسوا ايها الاصدقاء من شبان المغرب ان روح الله اقوى واسمى من المادة . فاذا آمنتم بهذه الحقيقة الجوهرية فسيروا نحو التقدم بنفس طاهرة مطهرة وكونوا واثقين — وانتم مازلتم في مستهل الطريق — بان النصر سيكون حليفكم لان عدتكم ستكون ديانتكم ولغتكم وتقاليدكم . انها مصدر قوتكم .

الحياة والخلق عند برجسون

للأستاذ فؤاد نجم
معهد الجمهورية العربية المتحدة بالرباط

يجمع الفلاسفة المعاصرون – مهما تشعبت مواقفهم واختلفت – على ضرورة البحث عن حقائق بعيدة عن مستوى الملاحظة المعتادة ، او التجريب العلمي ، وبعيدة ايضا عن ان يبلغها المنطق المعروف سواء اكان ارسطيا او فيزيقيا رياضيا . وهذه الثورة الفلسفية لها اعظم الاثر علميا وعمليا فبعد ان كانت الفلسفة في القرن الثامن عشر وجزء كبير من القرن التاسع عشر تابعة وخادمة امينة للعلوم الوضعية اصبحت متبوعة ومسؤولة عن تغيرات خطيرة في ميدان العلم والعمل .

ولكن انتقاد بعض العلماء والفلاسفة للتفسير العلمي لا يعني انه لم يعد عندهم ثقة في العلم وانما كان هذا الانتقاد تعبيرا عن عدم ثقتهم في نوع معين من التفسير . فلا ينكر الفلاسفة المعاصرون والعلماء ان المعادلات الجبرية التي يعبر بواسطتها عن العلاقات الطبيعية صادقة او دقيقة ولا ينكرون قيمة التطبيق في المعمل . وانما فكرتهم ان هذا التطبيق لا يدل على صحة مطلقة في المبدأ والتفسير . فطمحوا الى تفسير مرض ينتزع القشرة الظاهرة للعالم والانسان . وهذا هو العمل الذي بدأ به برجسون رياضيا في تأسيسه الا انه فهم اننا كي نحرر العلم والفلسفة من هذا العلم الاستدلالي المتكبر يجب ان نحاول تحقيق الجمع بين روح فنية وروح هندسية . فافتتح بذلك عصرا جديدا .

بدا برجسون بأن كان ماديا ولكن التفكير في الحياة النفسية قاده الى انكار قول الماديين انها مؤلفة من ظواهر منفصلة تتصل بموجب قوانين التداعي . فالحياة النفسية تيار غير منقطع من الظواهر المتنوعة أي تقدم متصل من الكيفيات المتداخلة بخلاف الظواهر المادية التي هي كثرة من الاحداث المتمايزة المتعاقبة .

ولو كان وجودنا مركبا من حالات منفصلة تربط بينها ذات عديمة التاثر لفقد خاصة الديمومة لأن الذات التي لا تتغير لا تدوم . وبذلك لا نحصل الا على تقليد مصطنع للحياة الداخلية ذلك لاننا نهمل الزمان الواقعي بينما الزمان هو نسيج الحياة النفسية . ولكي نوضح هذه النقطة يتعين علينا ان نتعرف على احوال النفس .

الشخصية تنتقل في الزمن وتتغير . كنت بالامس غير ما انا عليه اليوم وسأصبح غدا شيئا آخر اسير على خط الزمن كمتحرك يتغير اثناء تحركه على منحنى تحركه اظهر في شكل عندما اقوم في نقطة معينة واظهر في شكل آخر عندما انتقل الى نقطة اخرى . بالامس كنت خائفا مثلا واليوم انا سعيد وغدا ربما اصبحت منقبضا . ان نفسي ممتلئة الآن حبا لهذا الشخص ويستمر هذا الحب سنة او سنتين ثم يحل محله حب او بغض لشخص آخر وهكذا فيما يتعلق بجميع الاحوال . الانفعال تملأ النفس ساعة او بعض ساعة ثم تختفي فتحل محلها افعال اخرى ومن ثم هناك تطابق بين احوال النفس واجزاء من الزمن . فالاحساسات والخيالات والافكار والخواطر تطرد بعضها بعضا كما تطرد الساعات والدقائق ساعات ودقائق اخرى . تلك هي صورة النفس كما تبدو في صورة الزمن من الناحية العلمية اي باعتباره اطار احوال النفس .

الا ان من يعرف نفسه ويتعمق احوالها لن يرضى بهذا الوصف ولم يقنع به اذ ان ديمومتنا ليست آنا يحل محل آن والا لما كان هناك الحاضر ولما تحقق امتداد الماضي في الحاضر اي لما كان التطور . بل ان للنفس مجالا آخر اقرب اليها واكثر اتصالا بها وانسجاما معها بل يتحد بها كل الاتحاد زمنا يصح ان

تسميه زمنا شعوريا ان سمينا الاول زمنا علميا . واهم ما يبدو للزمن الشعوري انه والشعور امر واحد فهي النفس التي تمضي وتنتقل من الماضي الى الحاضر حاملة معها الماضي وهي التي تجمعهما في وحدة حيوية متدفقة مندفعة بذاتها في اتجاه المستقبل . ان نظرنا لاحوال النفس وجدنا اتصالا مستمرا واختلاطا وتداخلا وتغلغلا . فليس هناك حب يظهر ويمضي ويأتي محله حب آخر او بغض بل ان هذا الحب الذي نسميه منتهيا قد جعل يزحف في الحب الذي نقول انه يبدأ الآن وذلك دون ان ندري . ومنذ وقت لانستطيع تعيينه . وليس هناك حزن ينتاب النفس ساعة او بعض ساعة ويمضي لحاله ويحل محله فرح او خوف او غضب بل تمضي النفس في حزنها وينتشر الحزن في سطحها ويتوغل في اعماقها وقد يبدو انه اختفى كالبرق بينما كانت النفس مليئة به حاملة آثاره وهو فيها دون ان تدري يطغى على الخوف فيقوي وطأته وينتشر في هذا الغضب فيجعله مرا وينزع على هذا الفرح الوانه .

فالماضي يحتفظ بنفسه بصورة آلية . والا ما هو الطبع ان لم يكن تكثفا للتاريخ الذي عشناه منذ ولادتنا . قد لايظهر اثر الماضي كبيرا في تفكيرنا ولكننا بكل ماضينا نرغب ونريد ونعمل. انه يتجلى كاملا في اندفاعه على صورة ميل او نزوع . ولان الماضي يبقى حيا في الحاضر فانه يستحيل علينا ان نمر بالحالة الواحدة مرتين . ان شخصيتنا تنمو وتنضج دون انقطاع وهي بهذا النمو تكتسب شيئا لا يمكن ان نتنبأ به من قبل لان التنبؤ معناه اسقاط في المستقبل لما ادرك في الماضي او تصور تركيب جديد لعناصر قد ادركت سابقا .

نجد برجسون يتحدث في صفحة رائعة عن دخول شخص لأول مرة في حياته مدينة يزمع ان يحيا فيها سنين ويذكر برجسون احساساته الاولى بالمنازل والاشجار التي لم يكن له عهد بها من قبل وكذلك الطرق والكنائس والمتنزهات وما يظهر لهذا الشخص من اشكال وصور واضحة او اقل وضوحا ثم يمضي عليه الزمن او تمضي نفسه في الزمن وهو في تلك المدينة ما يزال يسمي الاشياء بتلك الاسماء التي اطلقها عليها لاول وهلة . فالمنازل هي هي او تبدو له كذلك في لغته العادية والاشجار هي هي وكذلك الطرق والمتنزهات . ولكن من يتبين الامر يجد ان ذلك كله قد تغير في نفسه ولا يشابه في شيء المنازل والاشجار والطرق الاولى . ولا يستطيع هذا الفرد ان يتحدث عن نفس الاحساسات ولا ان يصف الاشجار التي اظلته واستند الى جذعها بنفس الوصف فهي قد تغيرت واحساسه قد تغير كما تغيرت نفسه . هذا هو زمن النفس الحقيقي **الديمومة**

واخص مايجب قوله عن الديمومة اننا لا نستطيع اكتشافها قبل ان تدخل في النفس موطنها الاصلي كما اننا لا نستطيع اكتشاف النفس في حقيقتها قبل ان ندخل موطنها الاصلي اي الديمومة .

الحياة النفسية اذن تلقائية اذ انها انبعاث من باطن وخلق مستمر او ديمومة لا تحتمل رجوعا الى الماضي وعودة ظروف بعينها ولا توقعا للمستقبل ضروريا كما تحتمل الظواهر المادية . واحوال النفس متداخلة يطغى الماضي فيها على الحاضر والمستقبل ونتيجة هذا التداخل تغير وتجدد مستمر فحال نفس الآن غير نفس البارحة لان حال نفس اليوم قد انضم الى حالها امس فتحولت بهذا الانضمام اي من شان تقدم النفس من الماضي الى الحاضر والمستقبل ان تتغير في صورتها وفي فحواها . فان ظهرت اليوم سعيدا لنفس سبب الامس فسعادتي ذاتها قد تجددت في جوهرها وتجددت في معناها وفي فحواها . ولكن هذا الكلام لا يفهم الا بنسبته الى كائن حي . وفي الشعور دلالة واضحة على الحياة لان الشعور يحمل تغيرا وتجددا متصلا وما دام الشعور والديمومة امرا واحدا وما دامت معالم الوجود كلها راجعة للديمومة فهي في اعماقها حية بل ليست الديمومة الا حياة متصلة .

يقول برجسون ليس الكائن الحي مجرد مركب من عناصر سابقة كما يرى الآليون ولكن الحياة شيء غير العناصر وشيء اكثر من العناصر . ان الكائن الحي يدوم ديمومة حقة فانه يولد وينمو ويهرم ويموت . وهذه ظواهر خاصة به ، لاتبدو بأي حال في المادة البحتة . وليست الانواع الحية ناشئة من اصول متجانسة نمت وتحولت بتأثير القوى الفيزيائية والكيميائية على ماشاءت الصدفة العمياء فان هذا وهم من الآليين اذ انهم ينظرون الى الكائنات الحية فيحللونها بالفكر الى بسائط ويجعلون من هذه البسائط المعقولة اصولا تاريخية على حين ان العضو في الكائن الحي «وحدة مركبة من آلاف الخلايا المختلفة مرتبة ترتيبا معينا» فكيف انضمت هذه

الخلايا العديدة بالترتيب المطلوب ؟ ثم ان الكائن الحي من جهة وحدة مركبة من اعضاء تتكون بالنمو من الداخل فكيف يمكن الادعاء بان الكائن الحي تكون بالاضافة من الخارج على ترتيب معين في ازمنة متطاولة ؟ ثم اننا نلاحظ في سلاسل مختلفة من الاحياء منفصلة منذ عهد بعيد وحدة تركيب في اعضاء معقدة غاية التعقيد كالشبكة مثلا فكيف اتفق لمثل هذه السلاسل أن تنتهي الى نتائج متشابهة في نقط مختلفة من المكان والزمان ؟ .

وكان اصحاب نظرية التطور الاولى يعتبرون ان الكائنات العضوية وحدات متصارعة فحسب وفسروا تنوع السلالات بانها ترجع الى تنوعات بالمصادفة ونظروا الى تأثير البيئة كمجرد ضغط خارجي خالص أو عملية غربلة . وقبلوا فكرة بقاء النموذج الاعلى كمعضلة ميكانيكية غير واعية وتمجد على ذلك تمجيد النشاط الاناني للفرد فأصبح التعاون الاجتماعي من اجل تحقيق الخير العام منبوذا . وافترضوا مغالطة انه اذا كان احسن شيء بالنسبة لكل فرد هو البحث عن رفاهيته الخاصة فان احسن شيء بالنسبة لرفاهية الجميع انما هو ان تسلك جميعا هذا المسلك وهي قضية يمكن أن نتبين نصيبها من الصحة لو نظرنا الى ذلك الذي يحدث في مسرح تشب فيه النيران لو انطلق الجميع نحو الابواب . ان اولئك الذين كانوا من اتباع نظرية الفردية الخالصة كانوا ينظرون الى المجتمع بطريقة ميكانيكية اتوماتيكية بحتة . وقد بين برجسون في كتاب التطور الخالق انه اذا كانت الاجناس الجديدة جديدة بمعنى الكلمة وليست تعديلا للاجناس القديمة فحسب يصبح لزاما علينا ان نقول ان الجديد لا يمكن ان يكون نتيجة لمجرد ترميم ميكانيكي للعوامل القائمة . ومن هنا قال برجسون بوجود قوة حياة تعمل على مادة الطبيعة الخام وتصبها في اشكال جديدة واعلى على الدوام . كان برجسون محقا عندما اكد انه لا تطور بدون ما هو جديد حقيقة .

اذا تطورت الاسماك الى زواحف فهذا هو التطور . ومعنى هذا كذلك انه لا بد ان يكون هناك استمرار حقيقي تماما كما يحدث عندما تنفجر البيضة فتصبح دجاجة . بينما هناك في الوقت نفسه فارق اساسي بين الاسماك والزواحف فالزواحف ليست مجرد نوع من الاسماك .

بعض التطوريين يميلون الى القول بالاستمرار وبعضهم يميلون الى القول بالاختلاف بدلا من القول بكليهما معا . المفكر الميكانيكي يقف في صف الاستمرار كلية ثم لا يجد انه يستطيع ان يفسر التغير الحقيقي فعنده ان التغير لا يعدو ان يكون اعادة توزيع لذلك الذي لا يتغير ابدا . ومن ذلك فهو يميل الى القول بان الانسان ليس الا حيوانا والحيوانات ليست الا آلات معقدة . انها فلسفة «ليس الا» اما «برجسون» فهو يقف الى جانب التغير كلية انه يرى التطور كسلسلة من القفزات التي لا يمكن تفهمها وعنده ان ليست ثمة شيء في القديم يصلح لفسير الجديد تماما كما ان الميكانيكي يعتبر انه ليس ثمة شيء في الجديد لم يكن موجودا من قبل في القديم . الحقيقة التي اثبتها برجسون حقيقة عامة هي ان التغير شيء حقيقي فالكائن الحي ليس شيئا ميكانيكيا اكثر تعقيدا بل انه يمتاز بخصائص مميزة . فكرة التطور عند برجسون تذهب الى انه تتالى قفزات غير متصلة . كل خطوة جديدة غير مستخلصة من السابقة عليها وهي جديدة تماما ولا يمكن التنبؤ بها . والحياة تتطور في سلسلة من الانطلاقات غير المترابطة غير المستمرة نحو الجديد . ان برجسون يقول في كثير من الاحيان ان القوة الحيوية تنطلق وتنمو وتنضج بدون توقف ولكنها تفعل ذلك بطريقة عمياء .

المعنى الدقيق لكلمة الوجود كما يطلعنا عليه شعورنا الداخلي يتضمن التغير والتغير يعني النضج والنضج يعني خلق الذات نفسها باستمرار . نحن نخلق انفسنا في كل لحظة وهذا الخلق يؤثر في شخصيتنا من جديد . وعلى هذا فاذا كان ما نعمل يتعلق بما نحن عليه فان ما نحن عليه ايضا هو الى حد ما نتيجة لما نعمل . ان اعمالنا هي التي تعلمنا . ولكن هل يمكن ان نقول هذا القول ايضا عن الوجود بصورة عامة ؟ ان المادة تكشف لنا عن خصائص معاكسة لتلك التي اتينا على ذكرها . فكيف يتمايز الشعور عن المادة في الوجود ؟ لقد كانا في الاصل كتلة واحدة ولكن الحياة خلق مستمر متصل ، واذا كان الامر كذلك فلنتساءل كيف تم وجود كائن المادة ؟ كيف يمكن تصور خلق المادة ؟ .

المادة هي المقولة الوحيدة التي يمكن ان تثير بصددها مشكلة الخلق لانها متمايزة كل التمايز عن الحياة وعن الشعور بينما المقولات الاخرى كلها في

صميمها خلق وتجدد . الخلق يحمل سر كل شيء ولكن معناه ليس من المعاني التي يسهل فهمها واذا كان في الخلق سر جميع الاشياء فلا يمكن التعبير عن الخلق تعبيرا عاديا . ولذلك عمد برجسون الى اسلوب خاص في معالجة مشكلة الخلق وهو اسلوب يبعد كل البعد عن اسلوب الفلاسفة الا اذا استثنينا افلاطون وافلوطين . في نظر برجسون اللغة الفلسفية لا تصلح لسر الخلق فلا بد من لغة اخرى وادوات اخرى ولذلك نراه يقوم بتشبيهات واستعارات دقيقة تجعلنا نلمس طبيعة الحياة والخلق .

لا يتكلم برجسون بطريقة واضحة الا بصدد خلق المادة ولا مجال عنده عن خلق الشعور والحياة والديمومة بما ان كلا من هذه تعبر لطبيعتها عن الخلق . اما معنى المادة فهو ابعد المعاني عن الحياة والخلق ونقصد بالمادة تلك التي لا تبدو انها تحمل على الاطلاق اي صفة من صفات الروح . تلك المادة المنقسمة التي تحمل انفصالا مستمرا وتجزئة مستمرة . ويقوم هنا اشكال واضح عن هذه المادة كيف يمكن ان يقوم هذا الوجود الذي يحمل بمعنى واضح كل مايخالف الحياة ؟ كيف يمكن وجود كائن يعارض في اصله ومظاهره معاني الحياة ؟ يستخدم برجسون هنا تشبيهات للتعبير عن خلق المادة ويقترب اسلوبه من اسلوب افلوطين في تاسوعياته والمعنى الاساسي لتلك التشبيهات هو انه بما ان الوجود بمعناه الحقيقي العميق هو خلق فالمادة اما غير موجودة او تعارض فعل الخلق في اساسها . ولكن من الصعب علينا وقد تعودنا الديمومة والشعور وهذا المنهج الذي يذهب بنا الى اعماق النفس من الصعب علينا ان نفهم قيان شيء يعارض الخلق . من الصعب اذن ان نفهم توقف هذا الخلق اذ كيف يتوقف وهو متصل دائم في جوهره . ؟

هناك مستويان مستوى الفعل الاسمى ذاته ثم مستوى مايصدر عن هذا الفعل . هناك مستوى فعل الخلق وهناك مظاهر هذا الفعل وصوره التي سميناها حياة او شعورا او ديمومة او كائنات حية فهي حائزة على صفة الخلق والتجدد والاتصال ولكنها ليست الخلق ذاته وما دامت متمايزة عن فعل الخلق فهي متجهة الى نقصان مستمر . ويمكن أن نتصور المادة في حد هذا النقصان . اذ عندما ينفصل الكائن الحي من الاصل الخالق وعن التيار الخالق يصبح الكائن في النهاية متجمدا وعندما تنفصل الديمومة عن مصدرها الخالق تصبح امتدادا ومادة اي انتشارا وتمددا في المكان . للخلق اذن واجهة وخلف . واجهة الخلق الديمومة وظهر الخلق المادة . فان تصورنا انقلاب فعل الخلق فاننا نتصور للتو ظهور المادة في العالم . هذا هو معنى التشبيهات التي يوردها برجسون . ونبدا التشبيه الاول تشبيه خلق المادة بفعل الرسام أو الفنان «كم من الخطوط والمنحنيات والرسوم تعادل رسم فنان عظيم اي كم يجب علينا من المحاولات ومن الرسوم حتى نستطيع ان نقلد رسم الفنان وهو الذي يقوم به الفنان في حركة واحدة . ومع ذلك فرسم الفنان الذي نجده على الورقة اليس هو بدوره تحديدا وتجميدا للحركة ؟ بمعنى اصح الم يصبح حركة متوقفة جامدة . الا ينذر بتوقف الحركة وبتوقف الابتكار ؟ ولنفكر في جميع الحروف التي دخلت في تركيب كل ما كتب حتى الآن فاننا لانتصور في هذه الحالة ان احرفا جديدة ستظهر وستنضم للاحرف الموجودة حتى الآن . لنتصور شاعرا يبتكر قصيدته هذا الابتكار فعل بسيط النفس ولكن هذا الفعل ما عليه الا ان يتوقف لحظة بدلا من ان يستمر في انتاج وابتكار جديد حتى يتبدد هذا الفعل في كلمات تنفصل حروفها فيما بينها وتنضم تلك الحروف للحروف الموجودة . فمن الجائز لشاعر عظيم ان يضع كلمات جديدة ولكن هل يخلق احرفا جديدة ؟ التشبيه الثاني تشبيه الخلق بحركة الذراع . لنفكر في حركة ذراع يرتفع . لو فرضنا ان الذراع ترك لامره لسقط ثانية رغم ان شيئا من تلك الارادة التي عملت على رفعه باق فيه . لدينا هنا صورة لانقلاب حركة أو فعل خالق تعيننا على فهم أدق للمادة . اننا هنا امام انقلاب خطير اكثر من الاول يعيننا على فهم خلق المادة ولو ان الفارق عظيم بين الذراع المتوقف في نزوله والشخص الميت الذي يجري ثم يقف فجأة ويسقط ميتا . اذ الذراع ما زال حيا غير انه يبدو في حالته هذه في حالة نزوله كما لو كان قد فقد الحياة . ولنتصور انسانا يقوم بحركة وحركته تنقلب سكونا بمجرد ابتدائها او لنتصور انسانا يستيقظ ثم يرجع الى النوم بمجرد يقظته . في كل تلك الاحوال نلحظ نفس الظاهرة اي انقلاب حركة الحياة والاتجاه الى التجمد بل ظهور التجمد أي ظهور المادة .

ثم تشبيه آخر يشبه برجسون الخلق بدخول يد في برادة الحديد . لاتصور ان يدي تتخلل برادة الحديد التي تنكمش وتقاوم حركة يدي اثناء تقدمها . لابد ان تاتي لحظة تكون فيها يدي قد بذلت جهدها وعندما تتجمع حبات برادة الحديد وتشكل صورة معينة هي صورة يدي التي توقفت وجزء من ذراعي . لنفرض ان يدي وذراعي كانا غير مرئيين ولنتصور ان هناك ملاحظين لبرادة الحديد بعد حصول تلك الحركة غير المنظورة هؤلاء لو تصورناهم علماء طبيعيين سيبحثون عن علة تلك الصورة وذلك الانتظام الذي اخذته البرادة . سوف يبحثون عن تلك العلة في البرادة نفسها . وسينقسم هؤلاء العلماء الى فريقين الاول سيفسر موقع كل جزئي مادي بتاثير الجزئيات المجاورة وهؤلاء الميكانيكيون . والفريق الآخر يقرر وجود تصميم سابق على هذه التاثيرات وهؤلاء هم الغائيون . ولكن الحقيقة انه لم يكن هناك الا فعل واحد لايتجزا هو فعل يدي وهي تجتاز برادة الحديد وهذا الفعل هو الذي يفسر جميع الحركات .

مما سبق نلاحظ الى حد ما اثنينية في موقف برجسون الشعور والمادة . الشعور من جنس الفعل الخالق وهو الذي يحيي الاجسام وبدونه تصبح كالرماد الباقي من القذيفة والمادة وهي نقيض الحياة ولكنها نقيض يصدر عن الاجسام الحية . وفي نهاية الامر يصدر عن الفعل الخالق . المادة هي الحياة منقلبة متجمدة . المادة نشات من وهن التيار الحيوي او توقفه فما هي الا شيء نفسي تجمد وتمدد . كما نشاهد في انفسنا حين ندع فكرنا يجري اتفاقا فيتبدد في آلاف من الذكريات تنتشر فتراخي شخصيتنا وتتنزل في اتجاه المكان او كما نشاهد الماء يندفع من نافورة ويرتفع خطا كثيفا دقيقا ثم يهبط على شكل مروحة قد انفصلت نقطه المتراصة وتباعدت وتساقطت في مساحة اوسع .

ولو كانت الحياة ترسم مدارا واحدا لكانت الحركة التطورية امرا بسيطا كل البساطة ولاستطعنا بسهولة ان تعين اتجاهها ولكننا هنا امام قنبلة قد انفجرت وتناثرت اجزاؤها وهذه الاجزاء ايضا نوع من القنابل قد انفجرت بدورها الى اجزاء اخرى من شانها ان تنفجر وهكذا خلال زمن طويل . اما نحن فلا ندرك الا ماهو قريب منا اي تلك الحركات المتبعثرة التي يجب ان نبدأ منها كي نعود شيئا فشيئا الى الحركة الاصلية في وقت ما وفي نقطة ما من المكان نبع تيار حي واجتاز اجساما كونها على التوالي وانتقل من جيل الى جيل وانقسم بين الانواع الحية وتشتت بين الافراد دون ان يفقد شيئا من قوته بل انه يزداد قوة كلما تقدم ويزداد شعورا فهو في النبات سبات وجمود وفي الحيوان غريزة وفي الانسان عقل وهذه الطبقات مختلفة بالطبيعة لا بالدرجة فحسب .

ولكن هذا التيار الحي الخالق هل يكون هو الله انه شبيه بالله وكثير من عبارات برجسون تؤدي هذا المعنى منها قوله «ان فكرة الخلق تغمض بالكلية اذا فكرنا في اشياء مخلوقة وشيء يخلق اما ان يتضخم الفعل كلما تقدم ولن يخلق كلما تقدم فهذا ما يشاهده كل منا حين ينظر الى نفسه وهو يفعل .» فلا يصح ان نعتبر فعل الخلق فعل كائن يخلق بل الخلق والله شيء واحد . الخلق مستمر المجدد هو والله شيء واحد لا تمييز بينهما وليس هناك محل للكلام عن الله كما لو كان جوهرا انما يجب القول بانه طاقة متصلة متدفقة وحياة متصلة متدفقة في تجدد مستمر وعلى ضوء هذا يصح ان نقول ان خلود النفس معقول ومقبول . اذا كان الخلق هو الاصل وهو جوهر الاشياء الاصلي واذا كان الشعور هو الاصل . اذا كان هذا هو الامر فالشعور المتدفق في العالم لن يموت بل قد ينبعث من جديد في الاجسام فيحيي ما كان رميما .

وصف برجسون فعل الحياة وصفا رائعا بل نستطيع ان نقول انه بلغ ولو من بعيد سر الحياة ولكنه مع ذلك لم يذهب حتى التفسير المقنع المرضي ثم كيف تنحدر الحياة وكيف تضمحل . قد نقول ان الحياة لاتضمحل في الاصل والخلق المطلق ولكن كيف يصدر عن الاصل الحي ما في طبيعته الاضمحلال وما هو قابل للتشتت والتبدد . قد تكون هناك ميزة فلسفية لتلك النظرية التي تستغني عن خالق متمايز تمام التمايز عن المخلوقات فانه برجسون يقوم بمحاولة منزهة (في نيته على الاقل) فيريد ان يتجنب تشبيه الله بالانسان والافعال الالهية بالافعال الانسانية ولكن مع ذلك المشكلة باقية لم ينحدر الوجود ويضمحل ويتجه للمادة . اذا كان الوجود في اصله ديمومة مركزة وخلقا اصيلا ليس معرضا في طبيعته للاضمحلال والانحدار فلم لم يبق الوجود على حاله كما كان في الاصل . لم يضمحل فاصبح لا كائنات حية فحسب بل متجهة ايضا الى المادة والى الموت .

ثم كيف نعلم ان الله موجود وانه متميز عن العالم . لامجال للتدليل العقلي على وجود الله في فلسفة برجسون . والواقع انه ينتقد الادلة السلفية ويرفضها رفضا باتا . فدليل المحرك الاول مستبعد من جراء مبدأ المذهب ان ليس يوجد سوى حركة بغير محرك ولا متحرك . ودليل العلل الغائية يتنافى مع المذهب كذلك فاولا الغائية تعين صورة المستقبل ونحن نعلم ان الديمومة خلق متجدد وثانيا الغائية تشبه عمل الطبيعة بعمل الصانع الانساني يركب قطعا واجزاء ليحقق نموذجا بينما الطبيعة تكون وتخرج الكائن الحي باكمله من خلية تتكثر .

واذا كانت الادلة على وجود الله غير ناهضة فكيف نعرف الله ؟ لا يبقى لدينا سوى التجربة . والواقع ان برجسون يدعي اقامة ميتافيزيقية تجريبية مبدؤها ان كل موجود هو بالضرورة موضوع تجربة حاصلة أو ممكنة . ويرى ان لدينا تجربة الهية فيقول ان حدس ديمومتنا يصلنا بديمومة تتوتر وتتركز وتزداد اشتدادا حتى تكون الابدية في الحد الاقصى . وابدية الله ديمومة كذلك وهنا يفترق برجسون عن الفلاسفة الذين يرون ان الله ثابت مستكف بنفسه فيقول ولكن الموجود الكافي نفسه ليس غريبا عن الديمومة بالضرورة وان في الحركة لشيئا اكثر من الثبات وهكذا يطبق برجسون فلسفة الديمومة الى النهاية ويستعيض عن الاله الثابت باله متغير اي ان الله عنده موجود نسبي مركب من فعل وقوة موجود يتضخم كلما تقدم ويكتسب شيئا جديدا بلا انقطاع .

ثم ان برجسون يقول في الكثير من الاحيان ان القوة الحيوية «تنطلق وتنمو وتنضج بدون توقف» ولكنها تفعل ذلك بطريقة عمياء ولكن كيف تنمو وتنضج بطريقة عمياء ؟ ان مجرد هذه الكلمات تتضمن وجود عملية تهدف لغاية . فالمستقبل يتضمن عضويا في الحاضر والماضي . والماضي لا يقتصر ابدا على كونه قديما ليس الا كما ان الحاضر لا يكون جديدا تماما . ان التطور ليس تطورا اعمى ولا هو غير موجه في تغيراته . ان اتجاه التطور ليس هو ان يصبح شيئا أيا كان فحسب ولكن ان يصبح شيئا محددا وهذا بدوره لايقتضي بالضرورة تفتحا ميكانيكيا لما هو محدد من قبل تحديدا كاملا .

ومع ذلك فان برجسون يعد اكبر فيلسوف ظهر في فرنسا منذ عهد بعيد وكان تاثيره واسعا عميقا فقد اذاع لونا من التفكير واسلوبا من التعبير طغيا على سائر فروع المعرفة العلمية وتجاوزاها الى السياسة والادب لأن افكاره كانت تتفق تماما مع نبذ المعتقدات الفكرية التقليدية . ونقط الضعف الواضحة في التفكير الميكانيكي . وكانت فلسفته احتجاجا على النزعة العقلية الضيقة التي تحاول ان تحصر الواقع كله في مقولات مجردة كما كانت احتجاجا على المادية الميكانيكية التي تنزل الكون بأسره الى مستوى الفيزياء وكانت دلالته التاريخية انه قصد الى انقاذ القيم التي اطاحها المذهب المادي فهو يبدو من هذه الوجهة وكانه واحد من اولئك الابطال الذين اشاد بهم اولئك الابطال الذين يقولون في الانسانية ليعلنوا ايمانهم بالروح .

أين التعريب ؟!

للأستاذ
الحسين وجاج



كان من جملة الاحلام التي داعبت العقول قبل الاستقلال ، والآمال التى كنا نرجو تحقيقها بعده ، ان نستقل من الناحيتين الفكرية والتعبيرية بعد الناحية السياسية ، فنفكر تفكيرا عربيا داخل نفوسنا وخارجها وفي جميع ميادين حياتنا ، ونعبر في نطقنا وكتابتنا باللغة العربية ، وكان الناس يظنون اذ ذاك ان هذا أيسر ما ينتظرونه من الاستقلال ، وان هذه الناحية ليست اصعب نواحيه تحصيلا ، بل ان اصعبها هي الناحية السياسية ، ولكن اصبح الامر بالعكس في جميع ذلك.

فقد خابت تلك الآمال وتبخرت تلك الاحلام ، ولا ندري كيف تلقفنا استقلالنا لاول بزوغه واستهلاله فحولناه عن كثير من الاتجاهات التى كان من المنتظر ان يتجهها ، ومن جملتها الاتجاه العربي في التفكير والتعبير ، فبعد ان كنا نتوق الى هذا الاتجاه ونرى ان الحائل بيننا وبينه هو الاستعمار - وكان ابرز مظاهر الاستعمار هو المظهر السياسي - وجدنا الآن انفسنا محصلين على الاستقلال السياسي وبيدنا تسيير شؤوننا الداخلية والخارجية ، ولكننا لم نستقل بعد في تفكيرنا وتعبيرنا .

واذا كنا قبل الاستقلال نحتج على المستعمر باننا امة عظيمة لها مجدها وحضارتها ، واذا كنا متشبثين اذ ذاك باللغة العربية تشبث الاستماتة ، وكنا نستغيث للخطر الذي يداهمها في الواقع ، اذا كنا كذلك ، فقد اصبحنا اليوم نحن انفسنا حربا عوانا على هذه اللغة الكريمة ، لغة القرءان والتفاهم بين المسلمين واصبحنا نحن انفسنا نتهمها بما لا يتهمها به الا الد اعدائها واكثرهم حنقا عليها وعلى المتكلمين بها .

وكثيرا مانسمع من هنا وهناك المطالبة بالتعريب في الحياة العادية والادارات العامة ، ولكنها مطالبة خافتة الصوت لاتكاد تظهر حتى تختفي ، فهي لاتزال خافتة متأرجحة كالذبالة في مهب الرياح ، يغلب التخوف من انطفائها على الامل في اتقادها ، وما ذلك الا لانه لا مصلحة لكثير من الناس في احياء العربية واستعمالها ، وان هناك كثيرا من التوافه دعا الناس اليها في عصرنا هذا على ضؤولتها بل وتضرر سواهم منها .

ونحن الآن دون ان نقصد شخصا بعينه ، بل ودون ان نشخص في ذهننا اي انسان معين ، نرى من حق هذه اللغة علينا ان نصدع بالحقيقة في شانها وان ننبه مواطنينا الى تقصيرهم في حقها ومحاولة الرجوع معهم الى القيام بجولة عبر القرون الاولى لنرى كيف اقدم اسلافنا الاقدمون على اعلاء شان اللغة العربية بنفس اقدامهم على اعلاء كلمة الله ونشر حضارتهم الباهرة في ظلها ، تلك الحضارة التى هضمت حوصلتها الجبارة كل من سبقها من الحضارات البشرية التى يشهد التاريخ باحترامها بسرعة عجيبة وفي عصر لم يتوفر فيه من وسائل التعلم ما هو متوفر في عصرنا وانما هي الهمم العالية والسيادة القعساء والشمم والاباء تلك الصفات الانسانية التي نجد فيها مصداق قول الرسول العربي

الكريم : الو تعلقت همة ابن آدم بما تحت العرش لادركه) وقوله عليه السلام : (ان الله يرزق العبد على قدر همته) وان من اعجب العجائب ان يستطيع قوم لم يتموا بعد انسلاخهم عن بداوتهم ولم يبعد العهد بينهم وبين شيحهم وقيصومهم ان يفتحوا العالم بالدعوة الى الله لا الى الاستقلال والاستعمار ، وان ينظموه بالعدل والمساواة ثم لا تلبث لغتهم أن تفتح هي الاخرى غيرها من اللغات وان تبتلع كتبها ودواوينها وسجلاتها ودفاترها ولم يحفظ عنها التاريخ انها انهزمت في شيء من ذلك او تراجعت .

فاذا كنا حقيقة من سلالة اولئك الاباة ، وكنا نعتز بلغتنا شان جميع الشعوب المعتزة بلغتها فيجب ان نخوض معركة التعريب بنفس العزيمة التي كان اجدادنا يخضون بها معارك الحروب .

وان معركة التعريب لمعركة طبيعية يتحتم على كل امة عربية ان تخوضها ما دامت راغبة في الحياة الحرة الكريمة ، ومتطلعة نحو البقاء والخلود ، ولمراجع التاريخ يحدثنا عما قام به اسلافنا في ميدان التعريب محافظة على الكيان العربي وتوسيع اللغة العربية القوية المسايرة لكل تطور علمي ، والقادرة بحيويتها على هضم كل مقومات الحياة العصرية والمصطلحات العلمية في القرن العشرين هضما يضمن الانسجام والالتحام ، **فاللغة التي استطاعت ان تتبنى كل ما لدى الفرس والرومان من علم وحضارة ، تستطيع كذلك ، وبالاحرى اليوم أن تتبنى الاصطلاحات العلمية والادارية سواء كانت فرنسية أو غير فرنسية ، اذا كان هناك فنيون مقتدرون على نقل ما تمتاز به لغة الدولة الراحلة من علم وحضارة الى لغة الدولة المتحررة الفتية .**

وقديما امتاز العرب على غيرهم من الفاتحين بالاخلاص للغتهم ، والدفاع عنها ، حتى لا تبعد عن الحياة ، وكلما استتب لهم الامر في بلد من البلدان حملوا سكانه على كتابة الدواوين مخافة ان تذهب لغتهم التي يحبونها ويعيشون معها في مساجدهم ومتاجرهم ومزارعهم ويتغنون بها في اسفارهم واسواقهم فرادى وجماعات .

ونحن اليوم بين أمرين اما ان نتعصب للغتنا فتحيى ، أو نهملها فتموت والواجب الديني والوطني يفرضان علينا ان نخلص لاجدادنا ونفعل مثل ما فعلوا ونتعصب للغة الضاد حتى لا تذهب وتبقى هذه الفرنسية المبجلة في جميع أوساطنا .

على ان اللغة العربية التي خدمت البشرية في عصور غير قليلة من التاريخ تستطيع ان تخدمها كذلك في العصر الحاضر ، فما زال صدرها رحبا ، ومادتها قوية ، وكما وسعت علوم الاشوريين والبابليين والفينيقيين والمصريين والهنود والفرس واليونان والرومان ، تسع كذلك هذه العلوم التي كانت السبب الاكبر في كفران شبابنا بها والتهامهم اياها بالعجز ، وعدم القدرة على مسايرة العصر الحاضر نتيجة جهلهم بها وبماضيها الحافل وبما تمتاز به من اسلوب موسيقي جذاب ، ومعلوم ان من جهل شيئا عاداه .

فبفضل حماسة عظماء المسلمين للغة العربية كان لهم الفضل الاكبر في جمع شتات العلوم ونقلها الى العربية من مختلف الدول القديمة ، وتنظيمها تنظيما يتلاءم وافكار بني الانسان اذ ذاك ، فان ننس لا ننس فضل عبد الملك بن مروان الذي يعتبر المعرب الاول في الدولة الاسلامية للدواوين فهو الذي أمر سليمان ابن سعد والي الاردن لعهده ان ينقل ديوان الشام الى العربية ، فاكمله لسنة ، من يوم ابتدائه حسبما ذكره ابن خلدون في مقدمته ص 231 كما لا ننسى فضل الحجاج بن يوسف الثقفي على اللغة العربية بتعريبه لديوان العراق ، فهو الذي أمر كاتبه صالح بن عبد الرحمن ، وكان يكتب بالعربية والفارسية ، ان ينقل الديوان من الفارسية الى العربية ففعل ورغم لذلك كتاب الفرس ، وقد ذكر العلامة ابن خلدون في مقدمته ان عبد الحميد كان يقول : لله در صالح ما اعظم منته على الكتاب .

وفي ايام هشام بن عبد الملك قام الكتاب بتعريب ما تحتاج اليه الدولة من علوم السياسة والطب والنجوم مستعينين في ذلك بمؤلفات الفرس اصحاب الحضارة القديمة ، والتقدم العلمي .

وقد بلغ التعريب اوجه في عصر العباسيين الذين يرغبون المعربين الخبراء بالهدايا الثمينة والعطايا الوافرة حتى اوجدوا هيئة مقتدرة من فطاحل الكتاب كآل بختيشوع السريانيين وآل حنين بن اسحاق العبادي احد نصارى الحيرة وابن المقفع الفارسي ، وابن دهن الهندي وابن وحشية وغيرهم من الذين كابدوا المشاق في اعداد واختيار العلوم الاسلامية من مزيج الثقافات المختلفة ، وادخلوا الاصطلاحات الادارية ونوعوا الالفاظ العلمية العربية حسب الاسماء والمسميات التي لم تكن تعرف في العربية في عهودها الاولى .

فالمنصور العباسي الذي يهمه بناء دولة اسلامية قوية وجد ان السبيل الوحيد هو امتداد ما قام به بعض الامويين وقوادهم من تعريب العلوم التي لا بد منها لبناء الحضارة العباسية على اسس متينة ، فكان شديد الاهتمام بترجمة العلوم ونقلها الى العربية وخاصة علم النجوم والطب ، كما ان المجهودات التي بذلها كل من الرشيد والمامون في ميدان التعريب لا تنكر ، فبفضلهما استطاعت اللغة العربية ان تجمع وتطبع علوم الفرس وحضارتهم بطابعها الخاص .

وبعد فهذه جهود الامويين والعباسيين في ميدان التعريب في العصور الذهبية من تاريخ الاسلام ، سقناها كحقيقة تاريخية لتحفز شبابنا الى تعريب العلوم المختلفة وترجمتها ونقلها الى اللغة العربية ، اقتداء باخوانهم في البلاد العربية الشقيقة . فعلى كواهلهم تقع مسؤولية تحرير اللغة العربية من السيطرة الاجنبية ، وهم وحدهم الذين يتحملون امام التاريخ مسؤولية كل تاخير في تعريب الادارات وتطهيرها من السيطرة الاجنبية ؛ على اننا لا ننكر ضرورة وجود الفنيين الحقيقيين الذين تستخدمهم الدولة المتحررة على تحرير ثقافتها وتقاليدها ولغتها من الدولة الراحلة ، اذا هم يعملون بحق في سبيل هذا التحرير بجد واخلاص ولكن الذي ننكره ونستغربه هو ان نرى جماعة من الفرنسيين واذنابهم سبق لها ان حاربت واستهزأت ومكرت ، تواصل اليوم نفس عملها بالامس ضد اللغة والقومية في جو كله حرية وتشجيع .

وننكر ان تلتهم هذه الجماعة باستمرار ميزانية الدولة باسم الفن ولا فن هناك ، اذ الفنيون الحقيقيون هم الذين يتقنون كلتا اللغتين العربية والفرنسية ثم استخدموا لتعريب الادارات وترجمة مصالحها من الفرنسية الى العربية ، اما الذين تركهم العهد البائد في وظائف احتلوها ، ثم رغبناهم نحن اليوم بوسائل مختلفة وتشجيعات مادية وادبية في البقاء في تلك الوظائف وبنفس اللغة التي يخدمون بها سابقا ، فهم في الواقع ممثلو احتلال لغوي دائم ومخالف للاحتلال السياسي الزائل من حيث قبوله والرضا عنه .

ان الشعب يريد اتباع سياسة جريئة تجاه التعريب ، انه يريد تعريب الادارات أولا وبكيفية تدريجية ، وتعريب التعليم ثانيا وبكيفية تدريجية أيضا ، انه يريد ان يحرر لغته بنفس الحماس الذي حرر به سيادته ، يريد ان يحرر لغته مهما كلفه ذلك من ثمن ، فقد ضجر من هذا التفرنس الذي يطغى يوما بعد يوم في جميع الميادين والمصالح ، في الوقت الذي يتحدث فيه حتى عن اسرائيل بانها عبرنت التعليم الابتدائي كدويلة تحاول ان تفرض بقاءها وخلودها في التاريخ ، ضجر من التعليم الذي أصبح اخيرا يسير نحو التفرنس بعدما كان يسير نحو التعريب .

وان الشعب المغربي المتطلع الى تحرير جميع مظاهره القومية لينتظر اليوم من حكومة صاحب الجلالة نصره الله ان تحرر الشعب من السيطرة اللغوية ، وتفصل اللغة العربية عن اللغة الفرنسية بعد اتخاذ التدابير اللازمة ، اذ ذاك يستطيع التاريخ ان يعيد نفسه ، ونصرح امام الجماهير بمثل ما صرح به في ظروف مماثلة لظروفنا سرجون كاتب عبد الملك بن مروان لكتاب الروم بعدما انتهى سليمان ابن سعيد واليه على الاردن من تعريب ديوان الشام اذ قال لهم : اطلبوا العيش في غير هذه الصناعة ، فقد قطعها الله عليكم .

التعليم الاسلامي ومشروع السنوات الخمس

بقلم: أحمد العدوي

منذ فجر الاستقلال والحديث حول مشاكل التعليم في المغرب يشغل بال المثقفين على اختلاف نزعاتهم ومشاربهم ، وقد احتدم الجدال حول التعليم بين خريجي المدارس العصرية وحاملي الثقافة العربية الاسلامية ، ومنشأ الخلاف كان وما زال يرجع الى نوع الثقافة التي يحملها كل واحد من الفريقين ، فبينما نرى فريقا يناصر اللغة العربية والتعريب ويستميت في الدفاع عن القيم الاسلامية ، نرى الفريق الآخر يناصر وجهته ويدعو لها ، وقد اثر ذلك في البرامج الدراسية ــ وعلى النشء بالخصوص ــ تاثيرا ظاهرا ، ولا يكاد منهج من مناهج الدراسة يستقر حتى ينسخ بمنهج آخر جديد .

وكان من الطبيعي ان تمثل هذه المسرحية في المغرب بعد الاستقلال ، لان المستعمر قد غرس شجرة (اللغة الحية) في نفس طائفة من المواطنين من الصعب حتى الآن استئصال جذورها ، بل انه مازال يتعهدها بواسطة (الفنيين) الذين يسخرون فنهم لانعاش شجرة (اللغة الحية) .

واذا كان العجب يتملكنا من تصرفات الفنيين ، فالأدهى من ذلك والامر هو ان طائفة غير قليلة من المواطنين قد انساقت معهم وحبذت مناهجهم واقرتها ، ولم تقف عند هذا الحد ، بل نزلت الى ميدان الدفاع والاشادة بمزايا (لغة التقدم) بينما توجه الضربة للغتها المظلومة وترميها بالقصور والرجعية ، وتشفق على اعتمادات الدولة التي تخصص للمعاهد الاسلامية التي تعني بهذا النوع من التعليم ، حتى ولو لم تكن تلك الاعتمادات شيئا مذكورا بالنسبة للاعتمادات التي تخصص لمصالح التعليم الاخرى . وهكذا يستمر التسابق الى الانتصار بين ابناء وطن واحد ، ولغة واحدة ، وشريعة واحدة .

ولا يهمنا ان نتعرض الآن الى المناقشات التي دارت في المجلس الوطني وفي المجالس الاخرى ، والتي كانت تكتسي في مظاهرها احيانا صبغة التعصب للغة يجهلها الشعب ، ولم يعترف قط بوجودها ، كما لا يهمنا انتصار فريق على الآخر بقدر مايهمنا ايجاد برنامج قار ومفيد يحتفظ بمستقبل النشء ويكون كفيلا بتثقيفه ثقافة كاملة .

وقد كتبت الصحف والمجلات الصادرة بالمغرب حول هذا الموضوع تحت عناوين كثيرة وعالج كل كاتب الموضوع بما رآه صوابا . ومشكلة التعليم لم تكن خاصة بالمغرب وحده بل كانت مشكلة قائمة في الدول العربية كلها سيما عند فجر نهضتها وقد عالجها ايضا كتاب الشرق ، ومنذ ذلك العهد والصراع بين القديم والجديد مستمر ، فكل ما يتحمله علماء الشريعة الاسلامية واللغة العربية في المغرب اليوم تعرض له علماء الازهر من قبلهم ، ورماهم بعض الكتاب بالرجعية ونبزهم الآخرون بالجمود الفكري ، وبقدر مابلغ دعاة التجديد من التطرف والميوعة ، نجد انصار القديم قد بلغوا ايضا مبلغا كبيرا من التزمت والتعصب . على ان بعضهم كان ينادي دائما بضرورة التجديد ومسايرة العصر . ولا نطيل في القديم والجديد ، فالقديم والجديد له اتصال متين بجميع مظاهرنا الاجتماعية . وقصدنا الآن ان ندرسه في ظاهرة واحدة وهي التعليم . وارى ان التعليم هو النقطة المركزية التي ستوجهنا الى المظاهر الاجتماعية الاخرى . فما ذا حققناه في هذه النقطة منذ اعلان الاستقلال ؟ ان نقطة هذا البحث تدور حول التعليم الاسلامي العالي بالمغرب ، فهي التي احاول ان اعالجها بما اراه صوابا واذا انصرفت الى البحث في غيرها من انواع التعليم الاخرى ، فانما ذلك للمقارنة .

ان التعليم ــ كما اسلفنا ــ قد اصيب بضعف شامل في جميع انواعه ، ولا معنى لمؤاخذة التعليم الاسلامي العالي وايقافه في قفص الاتهام ورميه

بالقصور وعدم الصلاحية . **واذا كان التعليم الاسلامي تلقى الضربات التي وجهها له الاستعمار بصبر وشجاعة ، واستطاع ان يؤدي مهمته في احلك الظروف ويقود أبناءه نحو التحرر من الاجنبي ولغته ، فقد كان يعمل ذلك وهو متيقن ان النصر سيكون حليفه ، وانه التعليم الذي سيتحمل مسؤولية توجيه المواطن وتثقيفه بعد الاستقلال ، وهو التعليم الذي سيخوض معركة التعريب من جديد ، ويقود المواطنين نحو تاسيس دولة عربية اسلامية تؤمن بلغتها وتعتز باسلاميتها .**

ولم يخطر بالبال ان تقوم طائفة من أبناء الوطن ضد هذا التعليم ، وتنصب له الحبال ، وتحيك له المؤامرات لتقوض أركانه وتزعزع كيانه ، مع انه التعليم الذي يعمل باستمرار على خلق نهضة علمية اسلامية شاملة في مجموع البلاد . واذا كان جهاز هذا التعليم يسير ببطء ، وكانت بعض برامجه توصف بالجفاف ، فذلك بعينه مالوحظ ايضا في جميع انواع التعليم الاخرى ، باستثناء التعليم الاوربي المحض ، الذي يتمتع بغيرة ابنائه عليه ، ويسهرون على تطبيق برامجه ونشرها في اكبر عدد من المواطنين . فلا غرابة اذا ان نجد من بيننا من يفتخر بانتساب ابنه الى هذا التعليم حتى ولو كان من التابعين لاحدى انواع التعليم الاخرى بدعوى ان التعليم ما زالت برامجه غير قارة .

لقد آن الاوان ان نسلك سياسة رشيدة وموحدة ازاء التعليم ، نبنيها بايدينا ، ونحكم برامجها على ضوء الخبرة التي استفدناها من السنوات الماضية ، ونباشر المشاكل بانفسنا ، وحتى اذا كنا في حاجة الى غيرنا ، كنا على بينة من مقدار المساعدة (الفنية) التي سيقدمها لنا هذا الغير . اما ان نكتفي بوضع خاتم القبول على ماينسجه غيرنا واحكمه ، فذلك ما سيكون مصيره مصير البرامج السابقة ، لان الشعب الذي عرف عدوه بالامس لا يرضى ان يسود العدو ليتلاعب بمصالحه من جديد .

وبهذه الوسيلة يمكن لنا ان توجه ابناءنا نحو ثقافة عربية اسلامية تساير تطور العصر وتسد حاجيات البلاد .

ولهذه الغاية قامت مصلحة التعليم الاسلامي العالي بثورة شاملة تحاول ان تعالج بها الامراض التي يعانيها هذا التعليم في جميع وجوهه .

ونحن نبارك هذه الخطوة التقدمية لمصلحة التعليم الاسلامي العالي ، ونتمنى لمدير التعليم العالي والبحث العلمي كل توفيق في ثورته على الاوضاع القديمة التي طالما جعلت التعليم العالي هدفا لانتقادات لاذعة من طرف الذين يجهلون او يتجاهلون الرسالة التي اداها هذا التعليم بالمغرب منذ فجر الاسلام الى اليوم ، واهمها : المحافظة على العقيدة الاسلامية واللغة العربية ، ويحاولون اليوم ان يجهزوا عليه ويقبروه . ومع ثقتنا التامة في مدير التعليم العالي والبحث العلمي ، واعترافنا بخبرته وسعة اطلاعه ، وتقديرنا لمجهوداته التي بذلها في سبيل اصلاح التعليم العالي ، فاننا نلفت نظر جنابه الى وجوب بناء هذه الثورة على اسس متينة وان يكون هذا الاصلاح شاملا لمواطن الضعف في هذا التعليم واهمها اصلاح الجهاز الاداري ، وتطهير سلك المدرسين والاساتذة من العاجزين وذوي النيات السيئة ، واحداث اطار خاص بالموظفين ، وتوزيع المهام على حسب المقدرة والكفاءة ، واسناد الامور الى من يحسن تسييرها وانشاء مراكز للتدريب .

ونحن نؤمن بان برنامج الخمس سنوات الذي تنوي الوزارة تطبيقه ابتداء من فاتح هذه السنة الدراسية ، لايمكن ان ياتي بالنتيجة المطلوبة الا بواسطة رجال الكفاءة والقدرة .

واملنا كبير في نجاح هذا المشروع ونتمنى ان يكون اداة فعالة في خلق جو من الغيرة والتسابق نحو تعريب التعليم وتوحيده بالمغرب وبذلك يكون التعليم الاسلامي العالي قد ادى رسالته اولا وأخيرا .

البلاغة العربية بين الفن والفلسفة

للأستاذ : الحاج الحريزي

بحث تاريخي في نشأة البلاغة واصالتها من حيث هي فن من فنون القول على ضوء ما عرضته مختلف المدارس من عصر الجاحظ الى وقتنا الحاضر ...

لعل من الخير لنا ان نسبق **عصر السكاكي** الذي طغى فيه منطق اليونان وفلسفتهم على أذواق الناس او بعض الناس على الاقل ، فكتبوا في البلاغة – حين اتيح لهم ان يكتبوا في موضوع يمت الى الفنون باوثق الصلات – بالاسلوب الميتافيزيقي الذي وصل الينا ، ولعل من الخير لنا ايضا ان نبدا البحث من **عصر الجاحظ** بالذات ، لنتبين النشأة الاولى لادوار البلاغة العربية التي تمخضت عن فن البيان والبديع – وقد رسم خطوطهما هذان الرجلان – (255 هـ) ثم فن البديع على يد **عبد الله بن المعتز** الذي ستتمخض عنه بلاغة « المعاني » عند ما تتعرض فنون البيان والبديع – وقد رسم خطوطهما هذان الرجلان – لطغيان الفكر اليوناني الذي سيشيع في دراسات الاسلاميين لشتى الفنون والعلوم مذهبا عقليا ونزعة فلسفية كاسحة .

ولتوضيح « العقلية الوافدة » على البيان العربي على يد جماعة من المفكرين الاسلاميين الذين اتيح لهم ان يحذقوا ثقافات مختلفة نسوق بلاغة « الانشاء » في قسم « المعاني » الذي اسبغ عليه هؤلاء المفكرون كلمة « علم » للمناقشة والتدليل على ان البيان تعرض للتقنين الفلسفي من حيث كان يجب ان يستمد طبيعته من صميم الفن .

نحن نعلم ان القرن الثالث الهجري هو البداية التاريخية لنشأة البلاغة فنا مستقلا عن بقية العلوم في انشط عصور التدوين ، **مادتها القرآن وحديث الرسول** واروع فنون القول من الشعر والنثر ، وان الجاحظ هو اول من وضع نقطة البداية في موسوعته « البيان والتبيين » في فن البيان الذي سيكون له حظ واي حظ في مجال العمل الادبي عند مدرسة ، وفي مجالات العقل والفكر عند مدرسة ثانية ، فاوضح للبيان خطوطا ذوقية تاثر بها كثير من دارسي البلاغة ، كما سيتاثر آخرون بالخطوط العقلية التي سيشيعها السكاكي من بعده ؛ فكان الصراع بين الذوق والفهم ، وكان الصراع ايضا بين البيان من حيث هو فن ، وبين « المعاني » العقلية من حيث هي فلسفة ؛ او كان الصراع بين الفن والفلسفة على وجه من الحقيقة سافر . ونشات من نتيجة ذلك مدرستان ، مدرسة الجاحظ التي نصفق لها في حرارة المعجب والتي تتلمس البلاغة في النصوص ذات البيان والاصالة العربيين ، ومدرسة السكاكي هذه التي تلتمس البلاغة في التراث اليوناني الكاسح .

كان مفهوم البلاغة حتى نهاية القرن الثالث هو البيان الذي حاول درسه الجاحظ في شيء من الاصالة والعمق ، وان « المعاني » – غير التي ستتقمص كلمة العلم فيما بعد – لم تكن موضوعا للدراسة عند مدرسة الجاحظ الا من حيث هي روح حي للالفاظ . اما علم المعاني او قواعد الانشاء فقد عني به المتكلمون من اهل البلاغة ، فالجاحظ هو مؤسس هذا العلم – ان جاز ان نطلق لفظة العلم على فن البلاغة – وان الذين سياتون من بعده انما سيسلكون سبيله في فهم البلاغة على اسس ذوقية ، ولذلك كانت دراساتهم منصبة على البيان والخطابة والبديع والاصوات من حيث القبح والجمال كما فعل الجاحظ من قبل . فقد تاثر به **ابن قتيبة وابو هلال العسكري وابن سنان وابن رشيق ،** واتخذوا من آرائه في بلاغة البيان منهجا للبحث . والجاحظ ابو البلاغة العربية ينتقد في قسوة بلاغة اليونان ، بل هو ينكر ان يكون لليونان بلاغة وانهم لم يسهموا في انشاء بلاغة كالذي عرفه هو ، وان انتجوا انتاجا ما ففي ضوء

الفكر وفي حدود العقل . وهو حين يسلب اليونان مادة الذوق في تراثهم انما ينصب نفسه راسا لمدرسة ذوقية تعنى بالفن البياني .

اما الدكتور طه حسين ، فيرى انه من الهين جدا ان نتلمس الصلة بين البيان العربي الذي يعجب له الجاحظ وهو هذا البيان الاصيل الذي يستمد حرارته من الاصول العربية ، وبين البيان اليوناني الذي ينكره الجاحظ في شدة . ويرى ايضا ان الجاحظ يجهل اثر كتاب « الخطابة » لارسطو في بلاغة العرب . فالبيان العربي عنده نسيج جمعت خيوطه من اصول مختلفة . فمادته عربية اصيلة وصورته فارسية ، اما « الملاءمة بين اجزاء العبارة » فيونانية بحتة . فالبيان العربي الى القرن الثالث الهجري لم يكن عربيا خالصا ولا أعجميا خالصا ، وانما كان وسطا بين ذلك . فقد ترجم كتاب الخطابة على يد حنين بن اسحاق وكان معاصرا للجاحظ، فتدارسه المعتزلة وتاثروا به وخاصة قدامة بن جعفر .

والجرجاني احد اقطاب المدرسة الادبية في البلاغة لم يسلم من تاثير الخطابة الارسطاطاليسية في كتابيه « دلائل الاعجاز » و « اسرار البلاغة » .

البيان في راي الجاحظ في العبارة لا في الفكرة ، ولذلك فهو يتهم مذهب ارسطو في البلاغة ، ويعلل منهجه بانه يدرس البلاغة من نواحيها الفكرية ولا يتلمس الجمال والمتعة في مواطن البيان ، فهي فكر قبل ان تكون بيانا ، وهي ايضا عقل قبل ان تكون ذوقا ، وهذا ما ستعنى به مدارس الكلام والاصول . اما الجاحظ فقد رفضه واعتبره عدوانا على الفن البياني، بالرغم من انه قرا كتاب الخطابة وحاول الاستفادة منه ، ولكنه انتقده باسفاف ، ووصفه بانه قواعد عقلية راكدة . فهو الذي عرف البيان ودرسه على اساس الذوق ، وهو ايضا اول من وضع للفن الثاني مصطلح البديع في صورته الاولى ولم يصطلح لعلم المعاني ولم يتخذه موضوعا لدرس البلاغة ، ولذا كان حظ الانشاء معدوما في دراسات الجاحظ لانه ليس من البيان في شيء .

وفن البديع اقدم فنون البلاغة التي سيحددها التقسيم الكلامي على يد السكاكي . فقد ظهر كتاب عبد الله بن المعتز في « البديع » سنة 274 واستقى من صميم الفن البياني مادة البديع ، وبنى دراسته على الخطوط التي رسمها الجاحظ او استاذ المدرسة ان اردنا الدقة في التعبير . فكلاهما يرى البلاغة اصيلة في اذواق العرب، وكلاهما حاول الابداع في اطار هذه الاصالة ، ولم ينشا جديد في مجال البلاغة سوى الصناعة والمصطلحات التعليمية ، لان اساس البلاغة ليس هو البيان والبديع ، وانما هو الذوق في اصوله العربية . فابن المعتز اتخذ الشعر والنثر موضوعا لبحث فن البديع او للابداع في الفن ، واعتمد القرآن والحديث ايضا في اصول فنه الجديد ، ولم يلتمس الاصول لهذا الفن في كتب اليونان. اذن فالجاحظ مؤسس البيان ، وابن المعتز مؤسس البديع وهو ظل من ظلال الفن البياني . اما المعاني كما سيدرسها السكاكي فلم يكن اصلا من اصول البلاغة العربية ولا شيئا يمس الفن من قريب او بعيد ، وانما يجب ان نتلمس الاصالة في البيان والبديع بعد ان نسلبها كلمة « العلم » ونرفض المعاني ، بل وبعض قواعد البيان كالاستعارة التي عرفت في دراسات ارسطو وكان يسميها « نقل الصورة » Image Métaphor وتظل البلاغة عربية خالصة او كالخالصة حتى بداية القرن الرابع الهجري حتى ظهرت محاولة قدامة بن جعفر المتوفى سنة 337 في البلاغة ، ثم محاولة ابي هلال العسكري (395) . ورغم ما عرف به قدامة من نزعة فلسفية فقد ظلت الاصول العربية المادة الخام لحياة البلاغة ، وظل البيان عربي الروح والمادة والشواهد ، لم تؤثر فيه محاولة قدامة في وضع كثير من قواعد البلاغة وضعا عقليا . واذا كان قدامة لم يعرض لبلاغة الانشاء فان ابا هلال العسكري كان حريا به ان لا يعرض لها لانه لم يكن يعنيه من البلاغة الا البيان الذي رسمه الجاحظ ، فهو لم يتعرض للانشاء في كتابه « الصناعتين » ولا في « ديوان المعاني » الذي حاول ان يستخلص فيه فنون الشعر والنثر ، بالنقد والموازنة واظهار الروح الجمالي في الشكل والمضمون جميعا ، وقضية الفن عنده في درس البلاغة ثانوية بالنسبة للاعجاز ، فهو قد اتخذ الفن وسيلة الى تذوق بلاغة القرآن ولمس اعجازه ، وقد استخدم طرق النقد والموازنة بين البليغ والوحشي من الكلام واعداد الاديب لادراك الجمال الفني في القرآن المعجز .

فانت ترى انه يسلك مسلك الجاحظ في فهم البلاغة، وهو لم يعط للمعاني وزنا مهما في التقييم البلاغي « لان المعاني يعرفها العربي والعجمي » على حد قوله ، اما البلاغة فهي في « اجادة اللفظ وصفائه » (انظر الصناعتين ص 57) . وانت ترى ايضا انه لم يدرس المعاني الا من حيث الجدة والابداع والرداءة والتقليد والصحة والخطأ ، وهو حين ينقد المعاني في الشعر

والنثر ـ متناقضة او مخطوءة او كاذبة ـ متأثر بقدامة ابن جعفر في منهجه للنقد، فهو لاشك قد ـ تأثر برواد العقل، فوضع بعض قواعد المنهج الذي سيعتمده الجرجاني، ولكنه بحث البلاغة في ضوء الصناعة اللفظية، وان عرض للمعاني فمن ناحية نفسية لا اثر للعقل فيها.

وفي منتصف القرن الخامس ظهر الجرجاني (471) وابن رشيق وابن سنان، فحاولوا درس البلاغة على اساس ذوقي، غير ان قضية الاعجاز لونت هذه الدراسات تلوينا عقليا عند الجرجاني خاصة، فجعل الفن ايضا وسيلة لا غاية، جعله وسيلة لفهم الاعجاز وجهادا ادبيا لاحباط خصوم القرآن، وعلى هذا الاساس وضع كتابه «دلائل الاعجاز» فهو قد اطلع على كتاب الخطابة او اطلع على موضوع «العبارة» على الاقل فكان من نتيجة ذلك ان قسم المجاز الى مجاز لغوي ومجاز عقلي؛ ومجاز ارسطو هو الذي يسميه الجرجاني: «بالمجاز المرسل» و«الصورة» عند ارسطو ايضا هي التي يسميها بالاستعارة، فالجرجاني لم يضع لكثير من قواعد المعاني وخاصة الانشاء، ولكنه مهد له، فقد انحطت فنون البلاغة بل فقدت مادة الذوق في بداية القرن السابع الهجري بعد ان بلغت بعض درجات الكمال في نهاية القرن الخامس ثم تجمدت، ذلك ان الجرجاني نفسه عني بالاستفهام الذي سيكون احد انواع الانشاء، واسبغ عليه ـ وهو يدرس اثره في الجملة لونا اشد صلة الى الفلسفة منه الى الفن.

وفي اوائل القرن السابع يضع السكاكي المتوفى سنة (626) للبلاغة تقسيما عقليا سيكون منهجا تعليميا لها في مختلف ادوارها، فنحن نعلم ان السكاكي كان معتزليا اتخذ الفلسفة لتدعيم مذهب الاعتزال ـ كما فعل غيره من الذين نقرأ عنهم في تاريخ المذاهب ـ وحاول ان يلخصها في كتابه «مفتاح العلوم». كان المذهب المعتزلي دعوة جريئة وسافرة في نفس الوقت لاستخلاص الثقافة الاغريقية، والاستعانة بها في ذلك الجهاد المرير الذي دار بعنف حول قضية الاعجاز. ولم يكن من السهل ان يدعو شيوخ المعتزلة الى لون من العقيدة جديد، فتستجيب لهم جماهير قد رسخت في عقولها وعواطفها «المعجزة» بشكل يتطلب جهادا قاسيا من الخارج تكون الفلسفة اليونانية امضى سلاح له.

ونحن لا نشجب المعتزلة لانهم سلطوا الفلسفة على الفن انتصارا لمذهب ما، ولا نعتبره عدوانا مبينا، بل نعد المعتزلة رواد الحرية الفكرية في العالم الاسلامي، وانما نحاول ان نقلب صفحة من تاريخ البلاغة العربية لا اقل ولا اكثر.

ونحن نعلم ايضا ان صراعا جدليا نشب بين بلغاء العرب وبين الرسول عشية ظهور القرآن، فجادلوه في سذاجة وبراءة فنية، وانكروا الاعجاز في التنزيل، وانه ليس الا سحرا واساطير الاولين. فكان هذا الجهاد الفني بذرة اولى لنشاة البلاغة. ولكن اية بلاغة؟ كان حماس المعتزلة ـ او بعض شيوخ المعتزلة ـ حارا، فكان لابد لهم وهم يواجهون خصوما اشد عصبية وايمانا برايهم، ان يتصدوا للدفاع عن قضية هامة تمس عقيدتهم من قريب بعد ان هاجم خصوم القرآن روح الاعجاز، ولكن هذا الدفاع اصطنع الاسلوب الفلسفي فاتخذت البلاغة في ظلاله شكلا عقليا وتنكرت للمذهب الفني، واذا صح ان اصحاب المدرسة الكلامية انما جرهم الى درس البلاغة موضوع الجمال، فاننا نعلم ان الفلاسفة عالجوا مشكلة الجمال قبلا، وان اشتدت الصلة بين البلاغة والفلسفة من ناحية، فقد ابتعدت من عدة جهات.

السكاكي قد احكم الصلة بين البلاغة والفلسفة، وهو والمتكلمون من بعده صبغوا ابحاثهم في علم المعاني خاصة، بروح المنطق ومادة الفلسفة، ولم يبحثوا قليلا عن الحرية في موضوع تبعده المسافات والابعاد عن المنطق الى مذهب العاطفة المتحررة على الف جناح من ضياء القمر.

اذن لم يكن يعني بعلم المعاني وبالانشاء الذي نعرضه مثالا على الخصوص سوى ابي يعقوب السكاكي، فهو الذي «محص زبدة البيان ورتب ابوابه» كما يقول ابن خلدون، ولم يكن بوسع الذين جاءوا من بعده الا ان يلخصوا آراءه في بلاغة المعاني او قواعد الانشاء، لان مشكلة الاعجاز تتطلب منهم ان يتدارسوا البلاغة على نحو عقلي لتأييد نحلتهم، كما اتخذ الزمخشري ـ وهو راس من رؤوس المذهب المعتزلي ـ بلاغة العقل طريقا الى الفلسفة، ففي عصر السكاكي انتصرت الفلسفة على البلاغة بالرغم من ان مدرسة الجاحظ ما تزال يمثلها ابن الاثير (638) فوضع السكاكي «مفتاحه» في البيان والبديع والمعاني، ولم يعرف اهل البلاغة من قبله بلاغة الانشاء على النحو الذي عرفوا به فنون البديع والبيان،

فهو ثمرة من ثمار الفلسفة ، او هو ثمرة من جهاد المعتزلة ، وسنعرض له كما يراه السكاكي او كما تراه الفلسفة على يد السكاكي .

فهو قد قسم « علم المعاني » الى قوانين ودعا الانشاء « قانون الطلب » ولم يسمه انشاء ، ويظهر ان هذه التسمية متاخرة كما سنراها عند الذين تاثروا بمنهجه ، وهو ايضا قد رتب القانون ابوابا خمسة واصطلح لها بما هو معروف فى كتب البلاغة — والذي يثيرنا الى المناقشة هو ان الرجل عالج الموضوع باسلوب الفلاسفة او المتاثرين بالمنطق والفلسفة على الاقل ، الانشاء عنده لا يصح الا فى نطاق التصور وهو يتطلب فكرة غير حاصلة وقت الطلب قد تكون مثبتة وقد تكون منفية ، ولكن خواطر الفكرة تمر فى اذهاننا فقط ، وهو ايضا فى عمق المتفلسف يسلك تقسيمات عقلية معقدة ، الطلب يكون حصولين اثنين فى الذهن او فى الخارج ، وهذا هو مذهب المناطقة الصوريين اعمله فى رقاب الفن فماتت بعض فصول القصة من حياته ، وانت تستطيع ان ترجع الى مفتاحه فى البلاغة فتجد هذه الفتنة العقلية قد آثرها ويؤثرها التلامذة من بعده، خط عرض يسير عليه الجميع ، حتى النحاة انفسهم ، لون من المناقشة واحد وامثلة آثرها السكاكي وسيعطيها التفتازاني والخطيب القزويني وابن هشام النحوي (1) . هذه الفتنة سيهيم بها النحاة فيدرسون النحو على ضوئها ، او تتقمص هي شخصية النحو فيصبح منطقا للنحاة او نحوا للمناطقة كما يسميه النقاد المعاصرون .

هذا هو السبيل الذي سلكه السكاكي فى بلاغة الانشاء ، وهو بهذا قد فتح مدرسة فلسفية جديدة سيتهالك عليها الدارسون حتى وقتنا الحاضر . سيتأثر به احد رجالات القرن السابع الهجري وهو قريب منه فى المذهب والفترة التاريخية وهو ايضا معتزلي صميم ، انتهى من كتابه « الاقصى القريب » فى حدود 692 ، ذلك هو **التنوخي** الذي زعم ان كتابه انما يتناول علم البيان ، وهو يكاد يكون منطقا بحتا او يشبه المنطق ، وهو نفسه يعترف ان النحاة قريبو الشبه بالمناطقة فى الاتجاه العقلي ، فهم لا يختلفون الا فى وضع المصطلحات احيانا ، الجملة عند النحاة هي « القضية » عند المناطقة ، غير ان هؤلاء يبحثون الالفاظ تابعة للمعاني واولئك يبحثون المعاني تابعة للالفاظ ، ووضع الصدق والكذب فى القضية المنطقية ذات الموضوع والمحمول هو الوضع نفسه فى جملة المبتدا والخبر فى النحو .

فانت ترى ان الفلسفة قد ابتلعت البلاغة والنحو او ابتلعت البلغاء والنحويين جميعا حتى اصبحوا يقابلون ضمير الفصل عند البصريين والعماد عند اهل الكوفة فى المثال الآتي : انت — هو — المغربي « بالرابطة المنطقية بين الموضوع والمحمول : انت — تكون — مغربيا» التي تختص بها اللغات الهندية الاوربية : You (are) Moroccan وتشيع مدرسة السكاكي في المناهج التعليمية عند البلاغيين او المتكلمين على الاصح ، فيظهر شيخ آخر من شيوخ البلاغة أو شيخ من شيوخ المعتزلة وهو **الخطيب القزويني** ، فهو قد لخص راي السكاكي في البلاغة ولم يأت بجديد يذكر ، ولم يضف على قواعد السكاكي اي فيض ، بل هو لم يخط بالموضوع اية خطوة ، فهو قد عني بتلك الاجتهادات المذهبية التي نفض الشيخ منها كلتا يديه ، سالكا سبيلا سلكه ابو المدرسة قبلا ، وسيكررها السعد التفتازاني (791) فى مختصره ، ونحن لا نتتبع بالتفصيل طريقة السعد لانها مجهولة وغير مفضية الى قاعدة وفيها كثير من اللغو وكثير من التعقيد وكثير ايضا من المنطق الصوري ، وانما نشير الى انه درس البلاغة على نحو منطقي تمشيا مع الوحدة العامة التي آثرها المعتزلة فى العقيدة وجهود البحث ، فهو يعالج موضوعا في البلاغة قد عرض له بالدرس منطق الاسلاميين القدامى ، ويعتبر عصر التفتازاني فترة ارساء وتجميد لقواعد الانشاء فى علم المعاني التي تسلكها المدارس التعليمية فى فن البلاغة ليومنا هذا .

كانت البلاغة على عهد الجاحظ تقوم على الدراسات التحليلية للجمال الفني فى نطاق مذهب يشبه مذهب النقد او هو النقد نفسه، لاستخلاص اللذة الفنية من جيد النصوص من ذلك الكلام الوحشي البارد ، ثم هي كانت من بعد وسيلة فنية لادراك الاعجاز اولا ، ثم وسيلة منطقية لفهم هذا الاعجاز على يد المعتزلة ثانيا ، ووصلت بلاغة المعاني الى الدارسين المعاصرين كما فصلها السكاكي ، فلم يحيدوا عنها بل هم قد عكفوا على نسخها — ان جازت هذه العبارة — فكان انشاؤهم امتدادا لذلك الانشاء الذي ارست قواعده كما قلنا **مدرسة**

---

1) انظر مفتاح العلوم 148 ط . الحلبي . وكتاب المغني ج 1 ص 16 ط الحجازي

السكاكي . فهم من غير شك تلامذة لهذه المدرسة ، لانهم نحوا في فهمه ودرسه هذا النحو الفلسفي ، ونحن نعطي كتابي «الخواطر الحسان» و «البلاغة الواضحة» مثالا لهذه التبعية الخالصة في درس الانشاء .

جبر ضومط المتوفي سنة 1929 من كتاب البلاغة المعاصرين ، يرى ان البلاغة نشأت في ظل القرآن ، وقد امتزج مذهب الفن بمذهب العقيدة ، فابدعت الجهود في ظلهما بلاغة كانت خالصة لاعجاز القرآن اكثر من خلوصها للادب والفن ، وعلى الرغم من ان هذا الرجل حاول ان يدرس البلاغة مذهبا للبيان العربي فقد سار في درس الانشاء مثلا على الاسلوب التعليمي في اطار المنهج الذي وضعه القدامي ، فالكتاب اضافة للكتب الكلامية الماضية ، ورأي الرجل امتداد لآراء المدرسة . فهو يربط الصلة بين النحو والبيان والمنطق ، بل هو يعترف ان هذه العلوم الثلاثة اصول مشتركة وصلات وثيقة بعضها ببعض ، لانها امتداد للثقافة الاغريقية القديمة . بل هو ايضا يسمي علماء البلاغة بالفلاسفة ، فهو لم يستطع ان يتحرر من قيود المدرسة في تعريف الجملة الانشائية . يقول : « هي ما لا يتبادر معها الى الذهن عند اول سماعها احتمال الصدق او الكذب ، نحو : من اين اتيت ؟ » انواع الانشاء خمسة تماما كالتقسيم المدرسي . وقد زعم ان محاولته خالصة للفن البلاغي ، الا انه ذهب مع الريح ، ريح المعتزلة ، فلم يملك الا ان يمسح جهوده بمسحة كلامية ، هو لا يشترط امكان المتمنى ، وهذا بالضبط تعريف التفتازاني الانسان بطبعه يحب المحال احيانا ويركض وراء المجهول. فقد يكون هذا المحال ممكنا في هذا المثال الذي يعطيه جبر ضومط :

ليتني في المؤذنين حياتي
انهم يبصرون من في السطوح

فيشيرون او تشير اليهم
بالهوى كل ذات دل مليح

فانت ترى انه لا يبتعد عن قواعد المدرسة طويلا، فالتمني هو طلب المحال ، والمتمني محال او كالمحال ، ولكن الذي يقوده الى التقييم الفني هو هذه الشواهد التي تتناقض مع قاعدة المحال عند رواد المدرسة .

فالمدرسة اخذت على نفسها ان تجعل البيت المشهور :

الا ليت الشباب يعود يوما
فاخبره بما فعل المشيب

مقياسا لاستحالة المتمنى وفلسفته على نحو مقنع ، فهو قد ترك هذا المثال الذي تستحيل معه عودة الشباب الى هذا الانسان الطاعن الى مثال من امثلة الفن البلاغي، فالشاعر يتمنى لو وقف حياته على صومعة ليبصر من في السطوح فيشير او تشير اليه حسناء تسحب في خيلاء ذيلها العطر ، فيرضى الحب لقلبه والتنسك لدينه ، ولا ضير على قلبه ان يجتمع فيه الحب والدين . فاين هو هذا المحال عند صاحب الخواطر ؟ ان لم يكن في المتناول ، فهو طيع الامكان ، وهذا بالطبع جهد مرتبط بالفن يجعل قضية المحال من خرافة الميتافيزقا ، وحتى عدم الامكان عنده موضوع لاسس نفسية ما كان ينبغي للعقل ان يجمد حيويتها وحرارتها ، وبالرغم من هذه الطراوة التي يصبها في خواطره الحسان فلا يوجد حاجز بينه وبين السكاكي سوى الفروق التاريخية .

ويسير على الجارم في « البلاغة الواضحة » على النحو الذي سار عليه المحدثون والقدماء ، وينهج منهج المعاصرين الذين درسوا البلاغة في دورها التعليمي الناضج على اساس النزعة السكاكية ، فصاحبنا يدرس الانشاء على النحو المعروف ولم يعنه من امر البلاغة شيء جديد سوى هذا الاختصار الذي يتطلبه كتاب تعليمي كهذا ، فالهمزة عنده للتصور ، وهل للتصديق ، كالمناطقة الاسلاميين والمدرسيين من اهل البلاغة تماما ، ولكن الذي يمتاز به هذا الكتاب هو هذه الشواهد ذات الحركة والارتعاش ، التي حاولت القضاء على رواسب الخريف في قواعد السكاكي تلك المتجمدة ، وبشرت ببعث ادبي جديد بتلك الخصوبة وذلك الاثراء ، وهو من غير شك قد آثر الوجهة الفنية ووفق الى حد ما ، ولكنه على اية حال ان كان عربي الشواهد والعرض والاختيار فهو اعجمي القواعد والمنهج .

وبعد ، اي المدرستين اجدى على البلاغة ؟ وايهما اميل الى الابداع ؟ هي هذه المدرسة التي اسميناها **مدرسة الجاحظ** والتي لم تعط لفن الانشاء قيمة الدرس ولا اتيح لروادها ان عالجوه في نتاجهم خلال عصور البلاغة ؟ **ام مدرسة السكاكي** التي عنيت بهذا الموضوع عنايتها بمختلف القواعد البلاغية كما رتبها المنهج الكلامي ؟ وما هو الانشاء ؟ اهو فيض من الفن يضفي على حس الدارس وعاطفته الرهافة والايحاء فيما ينتجه ويستهلكه من قول جميل ؟ ام هو قواعد عقلية

جمد المعتزلة بها دم البلاغة وشباب الفن ؟ هل هو علم ام فن ؟ واخيرا هل الانشاء بلاغة أم فلسفة ؟ . لا نجد خصومة ما حول هذا الموضوع بالذات بين نقاد المدرستين القدامي ، لان المدرسة الادبية لم تدرسه ، بل هي لم تعرفه البتة ، فهو غريب عنها ، وافد عليها من ثقافة اليونان وحضارتهم عن طريق المعتزلة ، وهو لا يمت الى البلاغة بصلة من الصلات .

والمدرسة الادبية لم تدرس الانشاء فعلا لانه ليس ذوقا ولا يمس الذوق من قريب او بعيد ، وهو معنى من المعاني ، والمعاني موضوعها العقل ، اما الذوق البلاغي فموضوعه « الذائقة الفنية » نحن نفسر قصور المدرسة الكلامية فى ابراز الفن البلاغي الى ظاهرة غريبة ، غريبة بالفعل ، ولكنها كانت واقعا من الواقع ، هذه الظاهرة هي ان اصحابها اعجام وافدون ، ينقصهم الاحساس بالجمال والطاقة التاثرية لجرس الكلمة البليغة ووقعها فى السمع والعاطفة والقلب ، ولذا حاولوا درس البلاغة من ناحية عقلية ، وعنوا بالانشاء فى علم المعاني حين لم يوفقوا لدرس البلاغة من نواحيها الذوقية . الانشاء فى اطار علم المعاني غير عربي فى منهجه لان دارسيه غير عرب ، وبيئتهم غير عربية ، وتجاربهم الحسية لم تتعود خصائص العربية ، ولذلك عالجوها بالروح الفلسفي .

يرى ابن خلدون ان الملكة التي تؤهل الانسان لتذوق البلاغة انما هي فى اللسان من حيث هو موضوع للتعبير .

فالبلاغة عنده ذوق واحساس . والاعجام من الفرس والروم والبربر قليلو الحظ من هذا الذوق وذلك الاحساس ، فى البلاغة من حيث هي صوت وجرس وموسيقى ، يقول : « وانما لهم فى ذلك ملكة اخرى ، وليست هي ملكة اللسان المطلوبة ، ومن عوف تلك الملكة ــ ولعله يقصد اصحاب المدرسة العقلية ــ فى القوانين المسطرة فى الكتب فليس من تحصيل الملكة فى شيء (2) » .

واذا كان الانشاء كما قلنا معنى من المعاني فهي موجودة فى كل وعاء فكري وهي : « واحدة فى نفسها ، وبلاغة اللغة انما تكون فى جودة الكلمة ذات الطاقة المتفجرة ، واختلاف هذه الجودة قوة وضعفا وخصوبة وجدبا . ومدرسة الجاحظ لم تلتمس البلاغة فى معاني الانشاء قديما وحديثا ، ولم تحاول ان تضع يدها على هذا اللون من الدراسة قديما وحديثا ، لم يلتمسها الجاحظ وابن المعتز وابو هلال العسكر قديما ، ولم يلتمسها ابن الاثير فى القرن السابع ولا امين الخولي والزيات وطه حسين وابراهيم سلامة وغيرهم فى العصر الحديث ، وانما التمسوها فى الكلمة وبيانها وقدرتها على تصوير الاحاسيس الفنية من حيث هي ايقاعات صاخبة حينا ودافئة احيانا ، موضوعها الوجدان والعاطفة ، وما دامت البلاغة فنا ذوقيا فيجب ان تستمد التغذية والحرارة من العاطفة والوجدان .

وهو ليس ببلاغة لانه ثمرة العقل او هو ثمرة العلم ، ولان المتكلمين والفقهاء والفلاسفة لم يتزودوا بالتغذية اللفظية او المادة الخام ، ذلك أن مصطلحات العلم والفقه والفلسفة افقدت الباحث فى موضوع البلاغة روح الابداع ، فالجرجاني لم يتعرض له فى دراسة المعاني لانه يرى البيان « ارسخ علما واعذب وردا » وان المذاهب الفلسفية هي التي حللت الذوق الفني فى البيان العربي ، وهو ايضا يتهم رواد المدرسة الكلامية يجهل خصائص البيان فى الشعر حين ساء فهمهم للشعر (ديوان العرب ومورد الفصاحة) .

والانشاء فى ضوء المعاني العقلية عند ابي هلال العسكري قواعد يعرفها الناس على اختلاف اجناسهم وحضاراتهم فهو فوق القبح والجمال شيء يخضع للقوانين البديهية فى التفكير العام . وموضوع القبح والجمال انما يكون فى الالفاظ ، اما المعاني فمنسوجة وقديمة « الخلق » واثمها على اصحاب المذهب الكلامي. (الصناعتين ص 57 — 69) .

فالانشاء او علم المعاني على العبارة الصحيحة ليس من بلاغة العقل العربي، لانه لم يدرسه الجاحظ وابن المعتز ولم يشمله منهج ابي هلال والجرجاني، ولم يكن له نصيب من جهود المعاصرين الذين يقدمون الذوق على القاعدة المقننة . هو ليس من بلاغة العرب ، لانه لا يمثل حضارتهم الفكرية ، ولا يستمد اصالته من نتاجهم العربي ، وانما هو يمثل حضارة وافدة كاسحة ، يمثل عقلا يونانيا ومزيجا من الفتنة ، فاستنسخه الاصوليون واهل الجدل والمناطقة ، وجعلوه شيئا يشبه البلاغة .

2) المقدمة لابن خلدون ص 563 ط ، بيروت .

وعبارة « العقل » عند رواد مدرسة الجاحظ المعاصرين مبهمة غامضة الخطوط في فن البلاغة ، فهي لا تفصل بين العقل والذوق ، ولا بين الفكرة والكلمة ، فالعرب واليونان وضعوا خطوطا فاصلة بين المنطق والفن ، فجعلوا الفن من نصيب البلاغة ، لان موضوعها النفس الحساسة والقلب المتاثر المتكسر ، وقد كان للبلاغة مذهبان ، مذهب الفلاسفة ، ومذهب البيانيين والخطباء ، ولعل اول من درس البلاغة على نحو يشبه الفن — وهو غير عربي — هو عبد الله بن المقفع ، فالتاثير في العقول من عمل الموهبة « المعلمة » والتاثير في القلوب من عمل الموهبة « المؤثرة » ، ووظيفة البلاغة هي الاقناع والمتعة من طريق الاثر النفسي ليس الا .

فانت ترى ان **مدرسة البيان** تنكر هذه الدراسة التقنينية في اطار علم المعاني الذي اشاعه السكاكي ، ولم تلتمس البلاغة في الالفاظ وحدها لانها داخلة في حيز الاصوات كما يقول ابن الاثير ، فاحتجنا الى درس اللفظة في اسباب الصوت ، ونقدها في انسكاب الجرس ، وربما كان الصوت فاصلا في حياة الكلمة — اي كلمة — ، نحن نميل باحساسنا ونطرب لصوت البلبل والشحرور ، ونستهجن صوت البوم والغراب ، وهذا هو موضوع البلاغة بالذات ، اما استخلاص المعاني فهو بالذكاء لا بتعلم العلم ، فكلنا ندرس مادة ما في المدرسة ولكن واحدا من زملائنا سيتيح له ذكاؤه الحاد في تحطيم الارقام القياسية والتفوق علينا ، ولابن الاثير راي وجيه في هذا الموضوع (3) وكم كان بودنا ان نعرض له بتفصيل ، ولكن هذا اللون من المناقشة تضيق به حياة المقالة . **ان البليغ تجيش في نفسه — لا في عقله — خواطره ومعانيه فيصبها في لفظ مطرز بالوحي ، يعلم انه يرضي عاطفته وعواطف الناس حين ينقل اليهم تجربته الشعورية . والفصاحة هي المقياس الوحيد للجمال ، وهي من اختصاص اللفظ المتفجر المشحون .**

فطائفة الذوقين تتالف من الكتاب والشعراء والنقاد الموضوعيين ، وبلاغتها هي ذلك الانتاج العربي الخالص الذي لم يكن لدرس الانشاء فيه اي نصيب . فهو من نصيب الاصوليين والكلاميين ، **والسيوطي** يصف طريقتهم بانها « طريقة العجم » او هو ثمرة للفلسفة اليونانية التي طغت على الفن ، فقننته طائفة الكلام في منهجها العقلي الذي جعل البلاغة موضوعا للصحة والخطا كالمنطق تماما . ونحن نعلم ان قواعد الصحة والخطا من اختصاص المنطق .

وغريب منطق هذه المدرسة فاين اصالتها في منهج البحث او اين اصالة الانشاء في تقنيناتها المتحجرة ؟ نحن ننكر ان يكون الانشاء من نتاج العقلية العربية ، ونحن ننكر ايضا ان يكون بلاغة من البلاغة او فنا من الفن ، لانه اعجمي الاصول والمنهج ، عني به اصحاب العقلية المتفلسفة في بحث المعاني على اساس المناسبة ومقتضى الحال ، الذي كان شائعا عند ارسطو ، منهج هؤلاء المتفلسفين في درس البلاغة لا يستمد اصوله من صميم الفن العربي . واذا كان هذا هو موضوع البلاغة فاين هو عمل البليغ فكل جملة في هذا الوجود تفيد معنى وفائدة ، وكل كلام يحمل فكرة ومعنى .

فالمنهج جامد وعتيق لا اثر للفن في بلاغته ولا اثر للبليغ من حيث هو فنان ، والمنهج ايضا يقدم علم المعاني على البيان لانه بمنزلة (المفرد من المركب) قد تكون المعاني ولا يكون البيان ، والمطابقة ومقتضى الحال في خرافة هذا المنهج يقرها علم البيان . ونحن حين نقول علم المعاني او علم البيان انما نشوه صورة الفن في البلاغة .

وبلاغة « المعاني » لم تنشا الا في المناطق الشرقية للدولة الاسلامية التي تسودها العجمة . والزمخشري والسكاكي والتفتازاني انشط اعلام هذه المدرسة واقدرهم لاخضاع البلاغة الى المنطق في هذه الناحية ، فقد عالجوا المعاني وعالجوا البيان في نطاق الخبر والانشاء فعقدوا ابوابا للخبر والانشاء وجمدوهما في تقسيماتهم تلك التي قصمت ظهر الفن في البلاغة ، وما زالت الطابع الوحيد لمدارسنا التعليمية حتى الآن .

---

3) المثل السائر ص 45



الجزائر في طريق الاستقلال

الثورة الجزائرية تستقبل عامها السادس

بقلم الأستاذ محمد المحفوظ

في مطلع شهر نوفمبر 1954 انتفض المغرب العربي ـ من اقصاه الى اقصاه ـ انتفاضة قوية ، هزت كيانه هزا عنيفا ، لم يشهد مثلها منذ قرون خلت ... بعد فترة قطعها في سبات عميق ونوم مخجل تارة وتفجع وحسرة وبكاء تارة اخرى .. كانت تتخلل هذه الفترة ـ فترة النوم ـ بعض الانتباهات الموضعية ولكنها سرعان ما تتلاشى وتخبو، نتيجة للقمع الصارم الذي كان يصب بدون هوادة على الجزء المنتبه خصوصا ، والاجراءات الصارمة التي تسلط على (الكل) عموما ، وهكذا دواليك خلال فترة الغيبوبة ...

بيد ان الانتفاضة الجماعية ـ هذه المرة ـ كانت من اول ظهورها تصطبغ بالجد ، وتتسم بالعزيمة الفولاذية ، وتتميز بالصمود الجبار الذي صاحبها من اول وهلة ، معلنا تكتل الشعب ومؤازرته للقائمين بامرها في جميع الميادين ، الشيء الذي جعل الاستعماريين الفرنسيين يفقدون من اول يوم كل اتزان ، ويتناسون كل منطق وصواب ، فاصبحوا يخبطون خبط عشواء ـ كما يقولون ـ فيصبون جام قمعهم ووحشيتهم على الجميع ، السائرين في ركابهم كالخصوم سواء بسواء ، واستبد القلق والهلع باساتهم وأولي الامر فيهم الى التفوه بتصريحات متضاربة ، ونشر بلاغات ينقض آخرها أولها جهلا منهم وغباوة ـ او تجاهلا وتعنتا ـ بأن اشبال المغرب العربي ، وابناء الاطلس ثارت في دمائهم نخوة العروبة وشيم الامازيغ فضاقوا برعونة الاستعمار الفرنسي وكثرة وعوده (الممتزجة) بالمن تارة والتهديدات والوعيد اخرى .... واشرأبت قلوب الجميع الى غسل عار دام طويلا ، وطرد الغاصبين من الديار .

واستمرت المعركة في هذا الجزء من ارض القارة الافريقية ، ازاحة لنظام غير طبيعي ، فارضا نفسه بقوة المدافع والحراب ، متجاوبة في انسجام من (وادي زم) الى جبال (الاوراس) ، ومن منزل (تميم) الى (الصبابنا) يشنها احفاد عقبة وطارق ، والمولى اسماعيل والامير عبد القادر ضد مرتزقة (بيجو) و (ج . فيري) و «اليوتي» المعتدين . يشنونها بكل شدة وقوة ، في شجاعة نادرة ، وبطولة خارقة ، ادهشت حكومة باريس في (ايليزيها) فارتجفت هناك هلعا ، وضربت اخماسا في اسداس ، عليها تعثر ـ كالماضي ـ على حل ولو مؤقتا ، يقيها شر الكارثة ، ويبعد عنها عار الهزيمة المحققة ، ولو الى حين ...

ولم يعدم شياطين (الكي دورسي) حلا ... وبادروا حينا الى مساومة جناحي المغرب العربي باسلوبهم التقليدي المعروف بالخبث والخديعة ، والمتميز ـ دائما ـ بالتفرقة والوقيعة ترمي من وراء هذا السعي الى (تفتيت) الوحدة الرائعة التي تجلت

في ميدان الكفاح بين الاشقاء من جهة ، والى عزل الجزائر ـ قلب هذا المغرب النابض ـ والاحتفاظ بها كجسر .... عندما تتم الامور على ما يرام . ولكن في هذه المرة ـ كذلك ـ فشلت خططهم العتيقة وخاب سعيهم ، وخرج جناحا المغرب العربي سالمين مكرمين ، يؤازران القلب المكافح ويمدانه بكل ما في استطاعتهما من وسائل وتأييد في جميع الميادين ...

رفرف الجناحان (في حفظ الله) وبقيت الجزائر تصول في الميدان ، صامدة في وجه الاستعمار الفرنسي الذي ادرك ان الامر جد ، فحشر ما استطاع من القوة المدججة باحدث الاسلحة التي اخرجتها مصانع الحلف الاطلسي ، واستعان باحدث الخطط الابادية التي تفتقت عنها ادمغة الاستعماريين الفرنسيين ومن سبقهم من النازيين والفاشستيين... وزادت الجزائر الاحداث المختلفة ، قوة في الصمود ، وعنفا في النضال من اجل الكرامة والحرية والاستقلال ، معتمدة ـ بعد الله الكريم ـ على جبهتها وجيش تحريرها ، وعلى اشقائها في المغرب وتونس ، وكافة ابناء العرب ، شاكرة لاخواننا الافرقيين والاسيويين مواقفهم الاخوية ، ولانصار الحرية في الشرق والغرب مواقفهم الانسانية وتأييدهم الادبي... في الوقت الذي يبذل فيه الشعب الجزائري كل ما يستطيع من تضحيات غالية ، ودماء غزيرة ، شارك فيها بسخاء بناته وابناؤه ونساؤه ورجاله وشيوخه وشبابه ... كان الجانب الفرنسي رغم ما اتسم به من فخفخة وكبرياء ، ورغم ما استعمله من قوة ووحشية لم يعرف التاريخ ـ في ايامه المظلمة ـ مثيلا لها من قبل ، اقول كانت حكوماته تتساقط كأوراق الخريف .. وكان الديموقراطية الفرنسية نفسها ـ التي كانت على عهد الحرب الصينية تكثر من الاضراب والمظاهرات ـ انكشفت حقيقتها ، وانفضح امرها ، فتمسكت بجانب الصمت والجمود امام هذه الحرب الاجرامية التي يكابد قساوتها ابناء الجزائر من اجل رفع لواء الحرية وتقوية سواد الديموقراطيين في انحاء العالم . . . ولكن الديموقراطية الفرنسية لقيت الجزاء العاجل مقابل تخاذلها ، وتنكرها لمبادىء ـ حقوق الانسان ، وتحطيم الباستيل ـ التي كانت تتغنى بها ، وذلك حينما حطمت الجزائر (العزلاء) الا من ايمان ابنائها « الجمهورية الرابعة » وبرز دوكول الى الميدان اثر حوادث 13 مايو المعروفة ووعد ـ كزملائه من قبل ـ بسحق الثورة الجزائرية ان لم يكن في ايام معدودات ، ففي بضعة اشهر على الاكثر ... ومرت الشهور تلو الشهور والثورة الجزائرية تزداد قوة كل يوم ، وتكسب انصارا جددا كل اسبوع . والجنرال الفرنسي ـ المقاوم ـ يبذل كل ما تصل اليه يداه من عتاد ورجال ، وحتى الجنرالات ..

واخيرا وبعد خمس سنوات قطعتها الجزائر كلها في قتال مرير ، وصراع حاد ، تنذر في كل لحظة بخطورة انتشار الحرب ـ الحرب القاسية ـ على جوانب البحر الابيض المتوسط وبعد ان اكتوت حدود القطرين الشقيقين بلهيبها ... واستنكر الراي العام العالمي مشروعيتها والكيفية التي تتابع بها ... وعجز جيش (شال) و (ماسو) عن اخمادها .. تقدم الجنرال دوكول بعرض 16 سبتمبر 1959 م بعد ما مهد له طويلا ... فاذا به عرض هزيل تسيطر على فقراته الروح الرجعية الفرنسية ، وتسم جمله بالحيلة والخداع التقليديين يرمي من ورائه الى اصابات عصافير ـ لاعصفورين فقط ـ بحجر واحد ... غير ان الحكومة المؤقتة لجمهورية الجزائر كانت له بالمرصاد ، ففضحت الدسائس المنطوي عليها هذا العرض ، الذي اقتضى من الجنرال ومؤيديه ـ بل وحتى حلفائه ـ وقتا طويلا في الاستشارات والتحرير ...

وهكذا تقدمت الحكومة الجزائرية الفتية ـ في وحدتها الترابية ، الصحراوية والتلية ، بحدودها وحدتها الترابية ، الصحراوية والتلية ، بحدودها الطبيعية ، ويؤكد بان الشعب الجزائري ـ وحده

فقط ـ له حق التصرف في ترابه وثرواته ... كما يضمن لفرنسا ما يمكن ان يكون لها من مصالح لاتصادم سيادة الشعب الجزائري ، ولا تنكرها الاعراف الدولية ؛ كما انه سبق لحكومة الجزائر في عدة مناسبات ، ان صرحت بان الفرنسيين القاطنين بالجزائر ـ وعددهم الحقيقي لا يتعدى 800 000 الف نسمة ـ والمتفرنسين من الاجانب ، لهم الخيار في حمل الجنسية الجزائرية ، او البقاء كجالية اجنبية.

وتلقت جميع الدوائر العالمية التي يهمها امر المشكل الجزائري عرض دوكول وجواب السيد فرحات عباس ، وبعد الدرس والمقابلة ، علقت جرائدها تعاليق ضافية في الموضوع ، يتفق مجموعها على دعوة فرنسا ودكولها الى التراجع عن المخاتلة والمراوغة ، بالاستجابة (للجواب) الجزائري ـ الذي وافقت على محتوياته حكومة صاحب الجلالة ، وارتضاه ملك المغرب المعظم والرئيس بورقيبة ـ الداعي الى دخول المشكلة من بابها الوحيد الا وهو طريق المفاوضة ، والمتسم بلهجة معتدلة في حكمة وتبصر .

وبعد هذا الصراع كله ـ ونحن فى اوائل الشهر الثاني للسنة السادسة لهذه الحرب الضروس ـ هل يستجيب دوكول وحكومته ، لنداء الحق ، وصراخ المتالمين ، وصوت الراي العالمي ، ونصيحة حلفائه ، وينتهز هذه الفرصة التي مكنته منها الحكومة المؤقتة لجمهورية الجزائر ، أم سيستمر هو وحكومته ـ كشأن من سبقهم ـ فى ترضية شرذمة من الاستعماريين الفرنسيين حتى تلقى الجمهورية الخامسة نفس المصير الذي ذهبت ضحيته الجمهورية الرابعة ... ـ ؟؟؟

صرخة الجزائر

للأستاذ الشاعر
أبي عبد الله صالح الجزائري

يقتضي العصر ان اكون طليقا
الخطى فى الليل دربا سحيقا
ومن الفجر استمد شروقا
لبلاد قد اقسمت ان تفيقا

انها تربة تسمى الجزائر
اخرجتها للكون قبضة ثائر

عفت ماء تسقيه كف فرنسي
وطعاما يشام منه برجس
ورغيفا تحدوه لفظة (مرسى)
اخوتي فى عروبتي ان نفسي

وهبتها الحياة صيحة ثائر
من بني العرب فى بلاد الجزائر

لا تلمني على الغناء والتغني
بمزايا عروبتي ، لا تلمني
بينها ـ فرق الزمان ـ وبيني
ورمتني بهجرها والتجني
ثم وافت فى نشوة المطمئن

تتهادى على جبال الجزائر
تيمت قلبها شجاعة ثائر

لا تسلني عن العروبة فينا
انها تستفز ثارا دفينا
انها جبة تون رنينا
تتحدى قساوة المعتدينا

انهـا شعلة بتلـك المغـاور
نورها مزق الدجى فى الجزائـر

دمعة حرة بجفن اليتامى
ستذيب الحديد تفنى الظلاما
وانين يحز صدر الايامى
سوف يحيى فى الغرب قوما نياما

ليروا كيف تسترد الجزائر
عزها من انين تلك الحرائر

ذرة من رمال تلك الصحاري
قطرة من عباب تلك البحار
وغنى رجلاه فوق نضار
وفقير صفر اليدين ، يجاري
لقمة العيش فى نيوب الضواري

كلهم كلهم فداء الجزائر
جندتهم لها حماقة جائر

انها تجربات قرن ونصف
عاشه الشعب بين بغي وعسف
انها دمدمات بعث وزحف
انها شعلة باقداس كنف
تتسامى عن اي شرح ووصف

غير اني وجدتها فى الجزائر
رسمتها دما رصاصة ثائر

لم اكن مرة بشاعر فخر
ولئن كانت المنابر تغري
غير اني والله يعلم سري
يبعث العز فى عروقي وشعري

ان ارى انتمي لتلك الجزائر
بلد البأس والفدا والمفاخر

انقلوها عن شاعر متنبي
لو يغني الوجود فى نصر شعبي
لاطمأنت عليه دقة قلبي
فكاني بهاتف بين جنبي

زف لي فى الدجى عروس البشائر
فى يديها حرية للجزائر





يستحق الحوماني اليوم اكثر من كل وقت ، من ادباء العرب ومن المسلمين جميعا كل تقدير وتكريم . لانه قد عرف كيف يخلص نفسه من ترهات الزمان وسفاسف اهله وكيف يحلق عاليا في الفضاء باجنحة الطهر لينشد الحرية ويبحث عن الجمال ويكرع من ينابيع المعرفة ، فديوانه الجديد في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ، لا يعد تحفة فنية فحسب ، ولكنه الى جانب ذلك ثورة قام بها الشاعر ذاته على نفسه وعلى اهواء عصره ومغريات جيله ، وهو دعوة صادقة لنا جميعا لنحذو حذوه ونلجأ لنبع الصفا ومورد اليقين محمد عليه السلام والى تعاليمه الخالدة التي فيها وحدها خلاصنا في الاخرة والاولى .

وقد كتبت مرارا اشتكي من اعراض الادباء المسلمين عن تكوين ادب اسلامي عصري يسد حاجة الشعب المؤمن ، ويخاطب قلبه ، فيقوي ايمانه ويجلي ازاءه جوانب الطهر والسمو في تعاليم النبي وفي سيرة وسلوك البررة من اصحابه ، مع بعد عن الجدل والبحث العلمي اللذين لهما مواطنهما الخاصة . وقد ضقت ذرعا بطائفتين من الادباء :

احداهما لا تكتب عن الرسول او عن الاسلام الا وتركت ابرز الجوانب واهم الاحداث ، وانصرفت الى بعض المشاكل او الشبهات التي شغل بها الكثيرون منذ عهد طويل تحييها وتعيد النظر فيها ومناقشتها والجواب عنها وتملأ بكل ذلك الصفحات وتشغل نظر القارىء بما لا يزيد في نفسه يقينا ولا يعمر قلبه بنور .

اما الثانية فهي تلك التي تكتفي من حديثها عن الرسول او عن دعوته بنقل كل ما اطلعت عليه من اقوال المنصفين من فلاسفة الغرب وادبائه، تشهد بعظمة النبي، وبعبقرية الدين الذي جاء به . وما ذلك الا دليل على عقدة النقص التي تملأ نفوسهم ، وضعف الايمان الذي يعمر جوانبهم ، انهم يخافون متى تحدثوا عن نبيهم من غير استعانة بالاوربي ان يتهموا بالرجعية او يوصفوا بالجمود على القديم ، ولو عقلوا لرددوا مع الحوماني قوله :« **حبذا الرجعي الى الهادي قلوبا وعقولا** » .

على ان ادباء المسلمين القدماء لم يهملوا جانبا من الجوانب التي يجب ان يتناولوها ، بل اعطوا كلا منها حقه ، ومهدوا سبيل الاخذ به والعمل فيه ، فبينما كان فريق منهم يشغل وقته بدفع الشبهات ومقاومة اهل الاهواء ، ومجادلة المخالفين بالتي هي احسن ، اذا بفريق آخر يكتب للمسلمين ليشرح محاسن دينهم وفضائل نبيهم ، والاشادة بها ، والحث على اتباعها ، باسلوب من الشعر والنثر يحببها للنفس ويزرعها في القلب ، وفي كتب الباقلاني والقاضي عياض ما يمثل للفريقين معا .

وعصرنا اليوم يعتبر عصر الاسلوب ، للكلمة فيه آثارها العظيمة في تثبيت العقيدة ونشر الفكرة ، وقد انتشرت الخطابة والقدرة على القول الفصيح في كل الاوساط واصبح كل واحد يهيم في واد ، ولكن كلمة الحق بقيت غريبة يتجاهلها اعداؤها او يلحدون فيها ، ويتغافل عن امرها ابناؤها او يكونون حجة عليها، ولذلك فان اتجاه واحد من ادباء العرب الى سد هذا الفراغ يعتبر بشارة لها ما بعدها من قيام شعرائنا وكتابنا باداء واجبهم الديني والقومي ، وسد الفراغ الذي نجده في ادبنا المعاصر في هذه الناحية .

اما ديوان (انت انت) فله الى جانب ما سبق ، قيمته الفنية التي سنكتفي بالاشارة لبعضها الآن :

لقد تفوق الشاعر في الحديث عن نفسه والتعبير عن مآسيه الداخلية التي شغل بها زمنا ، وعن الحيرة التي احاطت به من كل جانب ، والظما الذي اصبح يجده منذ اتجه نحو نشدان الحقيقة المحمدية واشعاعاتها ، وعن رواسب ذنوبه التي ظلت تعوقه عن ورد ينابيع الفيض التي يراها ماثلة امامه وهو متقاعس عنها :

ظمآن انشد ما يبل فمي
ويكاد يشرق في فم الديم
اظما وملء يدي عانية
ملأى تشب النار ملء دمي
ظمآن يا رب اسقني بيد
عصماء لم توصم ولم تصم
بيضاء لم تقبض اناملها
الا على فيض من الحكم
اني لآلم كلما منيت
نفسي بجرح غير ملتئم
يا رب احمد جل باحمد في
نفسي وطهرها من الالم

نعم كيف السبيل الى الخروج من هذه الحالة ؟ تذير العقل يدعو ، وخيالات الصبا ترد ، وشهوات النفس الامارة تغري ، والشاعر يتارجح بين بواعث النفس ومطالب الروح ، بين الحياة والموت ، والموت والحياة ، ولنستمع لهذه الابيات الفذة التي تصور كيف يغني الانسان وهو ينعش نفسه بصهباء يستقطرها من اليدين البضتين لحبيبة يهواها ، ويعصر امانيه اللذيذة على نهديها فاذا به يستيقظ امام الحقيقة وهي انه كان يلفظ بقية رمقه :

يا خيالا يميتني كلما ذقت حـ
ـياتي على يدي عذراء
اتلظى من الظماء واراني
استقي منهما دم الصهباء
وكاني وقد عصرت اماني
على نهدها لفظت ذمائي

اما الذكريات فهي المأساة العظيمة التي يحس بها الحيران ، انها الشريط الذي يعرض امامه ايامه الهوج وقت الشباب ، الدنيا والهوى ملء يديه ، وهو لا يبالي اي الآثام ارتكب ، ولا اي الاهواء اتبع ، يوم لم يكن له من امل ، الا عذراء يصلها ، او صهباء يحتسيها ، او ندامي يسمعهم اناشيده الغرامية في حواء واخواتها، يا لهول الشريط ، اين الربيع الزهو واين الايام المثقلة بالاحلام ؟ .

يا لذكرى ايامي الهوج في ظـ
ـل شباب كالزهر في الاكمام
حافل بالجلائل الغر من كفرى
وبالتافهات من اسلامي
اثقلت كاهلي به نزوات
عصفت بالجليل من اعوامي
كل ما ارتجيه منحدر خلفي
وما عض ساعدي امامي

ولكن ماذا ينشد الشاعر بعد هذا ؟ لقد اظمأته الصهباء ولم يطف نهمه استقطار يدي العذراء ؟ فما هو الرحيق الذي يرد غلته ، يجيب عن ذلك اذ يقول :

خمرة يعكف الخلود عليها
في غدو ومن كونه ورواح
خمرة لا لماء كرمة ينميها
ابوها ولا لماء قراح

والجميلات ماذا دهاهن ؟ لقد شغل عنهن الشاعر بجمال ينطقه فيقول ، ويحركه فيسير :

الجمال الذي يهيب بافكاري الى ان تقول لي فاقول
والجمال الذي يسير مع العقل حقيرا ويستقل جليلا
الجمال الذي سقاني ـ فعربدت وما صفقت يداي ـ شمولا
والذي يكشف الغطاء لنفسي
فارى كل عاقل معقولا

على ان حيرة الحوماني لم تكن نتيجة اضطرابه الشخصي من ذنوبه الخاصة فحسب ، ولكنها كذلك نتيجة اهتمامه الدائم بشؤون الامة التي اعرضت عن هدى الرسول وتخبطت في اودية الضلال ، فقدت الحرية فارتضت العبودية ، امرت بالجهاد ، فآثرت الخنوع ، هذه الامة التي اصبح حكامها وزعماؤها عناوين ما اصابها من امراض خطيرة كبرى :

يا ابا المرسلين حسبك انا
قد ضرعنا للسامري خدودا

لا تفاخر بنا فما نحن الا
خول يعبدون حتى العبيد

الى ان يقول :

ثم هانت نفوسنا فنسينا
تحت وطء الهوان ذاك الوقيد

وتوالت سود الخطوب علينا
فصفرنا حتى صفرنا اليهود

ولكن كيف الخلاص وكيف السبيل ؟ ان العصريين حينما يبحثون عن هذه الادواء لا يلتفتون الا للغرب وعقاقيره ، مهملين العلاج الحق :

يا رسول الله ماذا نتقي ؟
بك ابقاء على ما قد بقي

سفهوا احلامنا باسم الرقي

قتلونا عبيدا
لا نعي الا جديدا

في هوى غض وخلق خلق
والان جعل الحق طريدا

اما العلاج الصحيح فهو في صيدلية الرسول عليه السلام ، ولذلك يذهب الشاعر يصف الدعوة المحمدية وما صارت به من ضروب الهداية ووسائل الاسعاد ، وهذه الدعوة تنحصر في كلمتين : هما الحق والقوة . او المصحف والسيف :

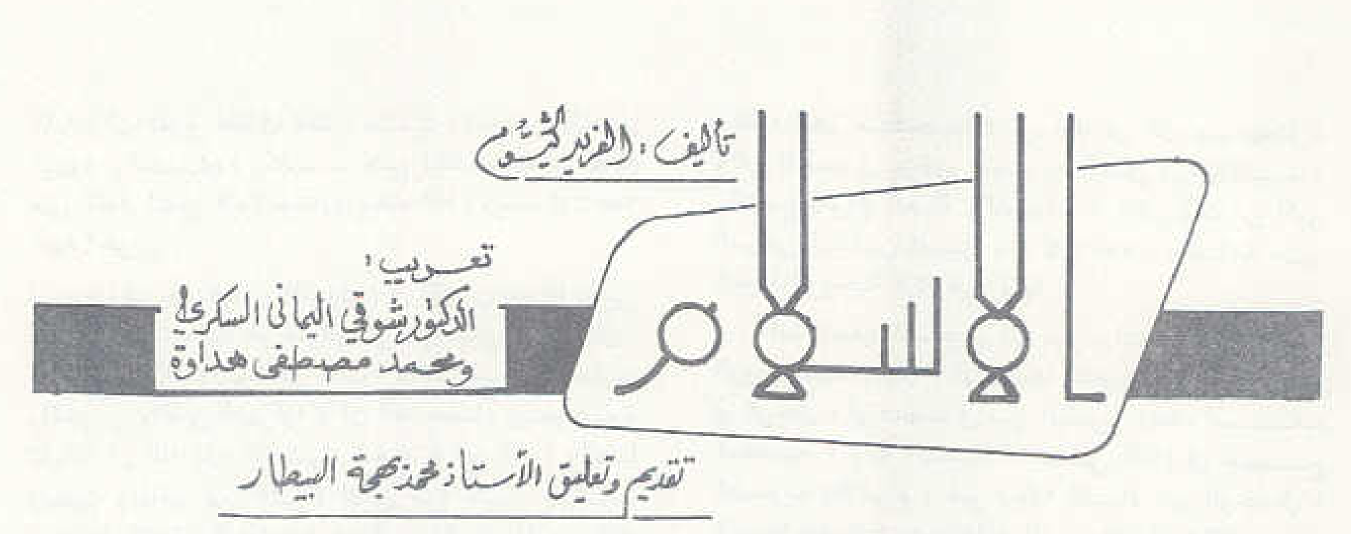
يا ابا المعجزين قلبا وعقلا
من نذيرين مصحف وحسام

انت علمتنا الحصافة بالذكر وعز الحياة بالصمصام

وبشتمل الديوان على مقطوعات عظيمة في تمجيد النظام الاسلامي والدعوة اليه على اعتبار انه هو الذي اصلح اول هذه الامة وهو الذي يصلح آخرها .

ان ديوان الحوماني مجموعة بديعة من الشعر العبقري الذي يزينه الصدق ، ويسمو به تمجيد الحق، (ومع تحفظي ازاء بعض الابيات القليلة التي لا تتفق في نظري مع السلفية) فاني اهنىء اخي وصديقي الشاعر الكبير محمد الحوماني على ما اتاح الله له من توفيق في الاتجاه وفي الاسلوب ، وان ما نطق به من مدح لرسول الله لخير تقريظ له ولشعره وخير جزاء يمكن ان يلقاه في دنياه وفي آخرته ، وحسبه ان يتملى بقول الشاعر القديم :

ما ان مدحت محمدا بمقالتي
لكن مدحت مقالتي بمحمد



هذا الكتاب مؤلف من عشرة فصول، أولها فى عرب الجاهلية، وثانيها فى حياة رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام، والثالث فى القرآن، والرابع فى الامبراطورية الاسلامية، والخامس فى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، والسادس الى العاشر فى الفرق الاسلامية، والفلسفة ونشأة العقائد، والتصوف، والاسلام فى العصر الحديث، وختمها بصلة الاسلام بالمسيحية.

ان المترجمين الكريمين قد ملكا ناصية البيان العربي، ولولا اشعارنا بان الكتاب مترجم لظننا بانه مؤلف بلغة الضاد، من وضوح العبارة وسلاستها، وقد قدما له مقدمة عرفا فيها القارىء بالمؤلف، وانه رئيس قسم الشرقين الادنى والاوسط بمدرسة اللغات الشرقية، واستاذ اللغة العربية بجامعة لندن، وانه خدم فى فرنسا خلال الحرب العالمية الاولى، ثم عمل بالمكتب العربي بالقاهرة.

ولا يخفى أن الاجنبي الذي لا يؤمن بالقرآن، ولا يدين بالاسلام، ولا يتلقى العلم عن اهله، يبقى عمله فيهما ضعيفا، لا يعتمد عليه ولا يوثق به، فكيف اذا كان غرضه الاعتراض على ما ورد فى القرآن من حكم وقواعد عامة لنظم الحياة؟ وهذا هو الذي لاحظه الاستاذان المترجمان، فقد قالا فى المقدمة: «وقد لاحظنا فى هذا الكتاب خروج جيوم عن المنهج العلمي السليم فى كثير من الاحيان، لانه كان يثبت بعض الروايات المفردة الشاذة، ويبني عليها احكاما، ويرتب عليها نتائج، فيقع ـذلك فى اغراض ظاهرة، وهو من جهة اخرى لا يذكر المصدر الذي اخذ منه هذه الرواية او تلك. وهذا ـ الى جانب خروجه عن المنهج العلمي ـ قد سبب لنا متاعب كثيرة فى البحث عن هذه المصادر، من اجل ذلك قام بالتعليق على الكتاب احد المترجمين، وهو الاستاذ محمد مصطفى هدارة».

ولعمري انها مآخذ على المؤلف لا يستغني عنها مستشرق تهمه معرفة الحقيقة، والوقوف عندها، وقد دفع الي المجمع العلمي هذا الكتاب، فقرأته بدقة وامعان، فوجدت ما تركه الاستاذ المعلق من الاغلاط أكثر مما ذكره، فلم يسعني الا ان أوجه انظار المؤلف والقراء الى تصويب الخطيئات التي لا يصح السكوت عنها.

وقد اقتديت بالاستاذ هدارة بالاستغناء بالكلم الوجيز عن التطويل، وبالله التوفيق.

ص: 6 كان أجداد الرسول وأسلافه من الوثنيين.

ج: انهم لم يعرفوا بعبادة الاوثان، بل كانوا سادة قريش، وسدنة البيت الحرام، وقد قال تعالى خطابا لنبيه «لتنذر قوما ما انذر آباؤهم فهم غافلون» يس: 6.

ص: 8 والصلة غير واضحة بين هذا الاسم «الله» وبين الكلمة (اله).

ج: أن لفظ «الله» هو علم على خالق الكون ومسخره لعباده، قال تعالى: «ولئن سألتهم من خلق السموات والارض، وسخر الشمس والقمر، ليقولن الله» العنكبوت: 61؛ واما لفظ الاله فهم يطلقونه على ما يعبدون من دون الله، كما قال: «ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله» يونس: 18.

ص: 22 و 23 تعرض المؤلف لسورة الفيل فى القرآن وقصته.

ج: وجه العبرة فى هذه القصة أن يؤخذ من استعز بالفيل ـ وهو أضخم حيوان من ذوات الاربع جسما ـ ويهلك بحيوان صغير لا يظهر للنظر، حيث ساقه القدر، فأوصل الى الجيش المعتدي مادة الجدري او الحصبة فأهلكته.

ص: 52 والنتيجة المؤسفة التي نخرج بها من هذه

الآيات انها تجيز اطلاق لفظ (مشرك) البغيض على اليهود والنصارى ، وكانت ـ حتى ذلك الوقت ـ تطلق على الكفار الذين كانوا يعبدون بنات الله ، ويشركون معه آلهة آخرين .

ج : لم يكن لفظ (المشرك) في القرآن عنوانا على اهل الكتاب ، وانما هو عنوان على الوثنيين ، وقد قال : « ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا ، ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ان الله على كل شيء شهيد » الحج 17 ، وانما وعظهم ونهاهم عن الشرك الذي طرا عليهم بقوله : « يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ، ولا تقولوا على الله الا الحق ، انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله ، وكلمته القاها الى مريم ، وروح منه ، فآمنوا بالله ورسوله ، ولا تقولوا ثلاثة ، انتهوا خيرا لكم ، انما الله اله واحد ، سبحانه ان يكون له ولد ، له ما في السموات وما في الارض ، وكفى بالله وكيلا » النساء 171 .

ص : 70 ومن الاعمال الهامة في الحج تقبيل الحجر الاسود الموضوع في جدار الكعبة .

ج : ان الطواف حول الكعبة من مناسك الحج ، والبدء من جانب الحجر الاسود ، ولكل شوط ادعية واذكار ، فاذا أمكن الحاج ان يقبل الحجر اثناء مروره به او يلمسه فحسن ، والا اشار اليه ، وهو من وضع ابي الانبياء وامام الموحدين (ابراهيم عليه السلام) ، فتقبيله شوق اليه ، لا عبادة له ، اذ هو حجر لا يضر ولا ينفع .

ص : 100 في المملكة الوهابية (حيث يسود المذهب الوهابي) .

ج : ليس للوهابية ، ولا للامام محمد بن عبد الوهاب مذهب خاص ، ولكنه رحمه الله كان مجددا لدعوة الاسلام ، ومتبعا لمذهب الامام احمد بن محمد بن حنبل .

ص : 151 وقد كان تأثير مدرسته (اي سيد احمد خان) التي انشاها عظيما جدا ، فمن ذلك انها اجبرت المسلمين الجادين على النظر بعين الاعتبار الى الاضرار الاجتماعية الناجمة عن تعدد الزوجات والطلاق والرق .. الخ

ج : لي ثلاث كلمات في هذه المسائل الثلاث ، تبين حكمة كل منها :

1 ـ ان تعدد الزوجات والطلاق لم يختص بهما الاسلام ، وانما كانا شائعين عند اليونان والرومان والعرب وغيرهم قبل الاسلام ، وقد اباحت القوانين الاوربية والاميركية تعدد الزوجات والطلاق ا واصبح ذلك عندهم مستحسنا ، من بعد ان كان مستهجنا ، ولكن التعدد في عرفهم يقصد به التنقل في اللذائذ ، والتمتع بأنواع الحياة والشهوات ، فكان ذلك من اكبر الدواعي لتناقص النسل ، لا لازدياده ، والسآمة من الحياة الزوجية لا الرغبة فيها .

اما التعدد الصحيح فله ضرورات ، منها ان تكون الزوج عقيما لا تلد ، او عندها مانع من مرض او زهد في الرجال ، او دخلت في سن اليأس ، وهذه اسباب شخصية ، واما السبب الاجتماعي العام في جميع الشعوب والاقوام ، فهو زيادة النساء على الرجال ، لاسيما بعد الحروب العامة التي يهلك فيها الملايين من المحاربين ، ويبقى الملايين من النساء بلا رجال ، فتعدد الزوجات هنا ضرورة اجتماعية ، لتجديد النسل ، وتكثير الايدي العاملة ، وهو من مصالح النساء التي تبقى محرومة من نعمة الحياة الزوجية والامومة .

2 ـ الطلاق لا يكون الا عن ضرورة وبصيرة ، وذلك بأن يكون الزوجان قانعين بأن لا سبيل لبقائهما على الحياة الزوجية لموانع جسيمة او نفسية ، خلقية أو خلقية ، تجعل صفو العيش كدرا ، وتعرض النسل للمهانة والشقاء ، فالفراق في هذه الحال نعمة لا نقمة ، والزوجان سعيدان به لا شقيان « وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته » .

3 ـ واما رق الافراد فقد بطل ، ولكن استرقاق الشعوب هو باق عند بعض الدول ، وقد قال الشاعر :

قتل امرىء في غابة
جريمة لا تغتفر !

وقتل شعب آمن
مسالة فيها نظر ! !

ص : 176 الآية المشهورة : « اقتلوا المشركين حيث ثقفتموهم » قيل انها نسخت ما لا يقل عن (124) آية تحث على التسامح والصبر .

ج : لا توجد آية بهذا اللفظ ، وانما الآية « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » التوبة : 5 ، « واقتلوهم حيث ثقفتموهم ، واخرجوهم من حيث اخرجوكم ، والفتنة اشد من القتل » البقرة : 191 .

والمسلم لا يقاتل ابتداءا ولا اعتداءا ، وهذه الآيات يفسرها قوله تعالى : « اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وان الله على نصرهم لقدير ، الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله » الحج 40 ، فقد اذن الله تعالى لمن قاتلوا وظلموا واخرجوا من ديارهم ، بأن يدافعوا عن انفسهم وبلادهم ، اما آية : « لا ينهاكم الله

عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم ، ان تبروهم ، وتقسطوا اليهم ، ان الله يحب المقسطين » اما هذه الآية وأمثالها من آيات المودة والعدل، والتسامح والصبر ، فباقية على حكمها لم تنسخ ، فليطمئن المؤلف .

ص : 180 فيجب ان يحرر النساء من هذا الاسار الذي فرض عليهن حياة الجهل والخيبة ، وان يؤذن لهن الخروج الى العالم ، ليأخذن المكان اللائق بهن فى المجتمع

ج : المراة انسان كامل كالرجل ، لها من الحقوق مثل ما له ، وعليهن من الواجبات مثل ما عليه ، قال تعالى : « ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف ، وللرجال عليهن درجة » البقرة 228 ، وتلك الدرجة واضحة فى قوله تعالى : « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض ، وبما انفقوا من اموالهم » النساء 32 ، وقد فضل بعضهم على بعض بما خص به الرجال من مزيد صبر وجلد ، وبما ينفقون من أموالهم على الاهل والولد .

ثم ان الفتيات فى عصرنا يحملن الشهادات الابتدائية والثانوية والعالية فى العلوم والحقوق والادب والطب ، ويحملن الدكتوراه فى فن التربية والفلسفة ، وقد شاركن الرجال فى أكثر الاعمال ، واخذن المكان اللائق بهن فى الاسرة والمجتمع ، فما يطلبه المؤلف لهن هو تحصيل حاصل .

ملحقات

ص 101 ولعل اشهر فتوى فى تاريخ الاسلام هي التي اصدرها ابن تيمية فى القرن الرابع عشر ، اذ حرم اضرحة الاولياء بما فى ذلك قبر الرسول فى المدينة ، وعد ذلك نوعا من الوثنية ، وكذلك منع التوسل بالانبياء والاولياء ؛ .

ج : هذا كلام المفترين على ابن تيمية ، وقد رد عليهم فى حياته ردودا كثيرة ، وكتبه فى ذلك مخطوطة ومطبوعة . ولما سأله الملك الناصر عما نسب اليه ، اجابه برسالة سميت « الجواب الباهر ، فى زوار المقابر » وقد طبعت حديثا فى المطبعة السلفية بمصر ، ومنها قوله : (ص 14) قد ذكرت فيما كتبته من المناسك ، ان السفر الى مسجده وزيارة قبره ــ كما يذكره ائمة المسلمين فى مناسك الحج ــ عمل صالح مستحب .. بل هذا من افضل الاعمال الصالحة ، ولا فى شيء من كلامي وكلام غيري نهى عن ذلك ، ولا نهي عن المشروع فى زيارة قبور الانبياء والصالحين ، ولا عن المشروع فى زيارة سائر القبور ا هـ كلامه رحمه الله ، فهل بعد هذا من شيء ؟ وهل بقيت فى النفس حاجة ؟

واما التوسل بالانبياء والاولياء ، فله رسالة فيه مطبوعة ، واسمها « قاعدة جليلة فى التوسل والوسيلة » وهي من اهم كتبه فلتراجع ، والمؤلف يعلم ان التوسل بالاشخاص دون الاعمال ، هو تعطيل لكتب الله، واعراض هداية الرسل ، واختراع دين للكسالي يجرئهم على ترك الطاعات ، وارتكاب المحرمات ، ويبعدهم عن بذل النفس والمال فى سبيل الله وابتغاء مرضاته .

ص : 177 « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » تسمح للرجل الغني ان يدفع شيئا بدل الصيام .

ج : لا مدخل للغني فى هذه الآية ، وانما الاطاقة آخر درجات القدرة والامكان . فالذين يكون صيامهم تعذيبا لهم لا تهذيبا لانفسهم كالمسنين الضعفاء ؛ واصحاب الاشغال الشاقة التي لا يستغني عنها ، لهم ان يفطروا على ان يطعموا مسكينا عن كل يوم ، بخلاف المرضى والمسافرين فعليهم القضاء لا الفدية .

ص : 179 يجب ان نؤمن بان محمدا فاه بهذه الكلمات فى منتصف سورة النجم (اي قال : تلك الغرانيق العلى ، وان شفاعتهن لترتجى) بعد قوله تعالى : افرايتم اللات والعزى ، ومناة الثالثة الاخرى » .

ج : نصب المؤلف نفسه هنا منصب المشرع ، فقال بوجوب الايمان بهذه الفرية ، وقد دفعها الاستاذ هدارة (ص 36) دفعا محكما ملزما . ثم عاد المؤلف اليها مكررا ، ونحيله هنا على ما كتبه الاستاذ الشيخ محمد عبده فى بطلانها ، ورسالته مطبوعة . والغريب ان لا يذكره بكلمة خير ، ولا ذكر شيخه السيد جمال الدين الافغاني ولا تلميذه السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار وتفسيره ، مع انه ذكر من هم دونهم* علما واصلاحا، والسبب ظاهر وهو طمس معالم الاسلام واعلامه قديما وحديثا .

ص : 181 فالنظام البلشفي فى تركستان يلقى معارضة شديدة ، ويقال ان الحكام هناك ، يهاجمون الاسلام بشكل منتظم ، ويضربون الزعماء المحليين بالرصاص ، ويهدمون المساجد ، ويحرقون القرآن ، والقائمون على ذلك شبان تشبعوا بالنظرات الالحادية ، ويقال : ان الزعيم الديني الذي تعينه حكومة السوفيت (يذكر اسمه) من جواسيس الحكومة .

ج : هذه سلسلة مفتريات عليهم ، فقد زرنا تلك البلاد سنة 1954 ، واجتمعنا فى طاشقند بالمفتي العام وهو الزعيم الديني فى تركستان ، رحمه الله ، واقمنا

الصلاة مع اخواننا المسلمين في مساجد موسكو وطشقند وسمرقند ، واستمعنا لخطبة الجمعة باللغة العربية الفصيحة في موسكو وطشقند ، وسمعنا من اخواننا المسيحيين ايضا انهم يقيمون القداس بحرية ايام الاحاد والاعياد . ولم نر شيئا مما اشار اليه الكاتب .

ص 181 : ان تحرير تركستان من الحكم الروسي سيدعو دون شك الى اعادة مجد الاسلام .

ج : هذه دعوة الى تقويض دعائم السلام والاسلام معا ، ولم نقرا للمؤلف كلمة نصح او تذكير لحكومته الباغية التي تحصد الارواح حصدا في عمان وفي كل مكان لها فيه نفوذ او سلطان .

انبعاث العالم العربي

تأليف : جان وولف

يزداد الاهتمام بالبلاد العربية في مختلف العواصم الكبرى ، ويرقب الملاحظون في اوروبا وغيرها تطور الاوضاع في هذه البلاد ، خصوصا بعد الموجة التحريرية التي عصفت بالانظمة الاستعمارية في اهم هذه البلاد وتوشك ان تقضي على الباقي ، وبالاخص بعد ان اصبح الشرق الادنى ميدانا للحرب الباردة بين الكتلتين الشرقية والغربية ، وقد كادت ان تشتعل حرب عالمية طاحنة في خريف 1956 بينهما بسبب العدوان الانجليزي ـ الفرنسي على مصر ، وما فتئت الحالة في هذه الاقطار اشبه ماتكون بمستودع للبارود لاحتكاك المصالح بها ، واشتداد الاطماع وتنازع النفوذ ، ويخشى في كل حين ان تنطلق الشرارة الاولى صنيع متهور اخرق . .

واذا كانت الحكومات في مختلف العواصم على بينة من تطور الحالة في العالم العربي ، فان الشعوب تجهل الكثير عنه ، لذا فان كتاب «انبعاث العالم العربي» لمؤلفه الصحافي البلجيكي المعروف جان وولف يعتبر في مقدمة الكتب التي تضع بين يدي القاريء الغربي مجموعة من المعلومات عن البلاد العربية وقضاياها ومشاكلها ، وهي مستمدة مما وقف عليه المؤلف بنفسه ، حيث سبق له ان زار الاقطار العربية برمتها مرات متعددة .

وبالرغم عن العطف الذي يضمره الكاتب لقضية العرب فان كتابته تمتاز بالتجرد والنزاهة في الاحكام وقد استعرض التطور الحاصل في كل قطر عربي وعلاقاته بغيره من الدول مع الحرص على اجلاء الحقيقة ، وتوصلا لهذا القصد لم يكتف بسرد اقوال وتصريحات الملاحظين والمسؤولين الغربيين . وقد نبه الدول الغربية على ضرورة مراجعة معاملتها مع الشرق ، اذا هي ارادت ان تحتفظ بوده ومعونته ، اما وجهة نظر العرب فقد لخصها الكاتب في تصريح ادلى به احد رجال الديبلوماسية العربية حيث قال :

«ان الامة العربية لا تطلب سوى احترام حقوقها المشروعة ، وليس لها ادنى مطمع في استرقاق اي شعب من الشعوب ، ولكنها لا تريد ان تستعبد كذلك ، حاولوا ان تفهموا هذا ولن يبقى عارض بيننا لنكون اصدقاء ، ولا تحاولوا ايضا ان تستعبدونا بطريقة غير مباشرة بخنقنا من الناحية الاقتصادية ، لانكم ستدفعون بنا حينئذ الى اليأس ، وحين يتملك اليأس الناس فانهم يكونون مستعدين للاقدام على كل ما من شأنه كيلا يموتوا» .

ومن ضمن الدول العربية التي تحدث عنها صاحب الكتاب المغرب الذي زاره مرات متعددة بعد الاستقلال وتحدث عن شؤونه وكفاحه حديث العارف المطلع .

واسلوب الكتاب في غاية الرشاقة والسلاسة ، وقد اعانت المؤلف في اخراج هذا الكتاب زوجته .

ومما لا شك فيه ان القراء في البلاد المتكلمة بالفرنسية سيستفيدون منه ، بقدر مايفيد البلاد العربية في التعريف بقضاياها واحوالها .

ق . ز .



يا أبا الشعب دمت للشعب حصنا

للشاعر الأستاذ عبد الرحمن الدكالي

عرفتني حوادث الدهر حرا ... لا اجاري الزمان مدا وجزرا

حسبي النصح مخلصا لبلادي ... لست والله ابتغي عنه شكرا

كنت قبل استقلالها ابذل النصـ ... ـح وافشي على الملا ما استسرا

اتحنى لها وابكي عليها ... حين يبدي الوحوش نابا وظفرا

سل بلادي اذا سالت خبيرا ... حين كانت تسام ذلا وقهرا

بين قتل وبين نفي وسجن ... كان هذا القريض ينشر نشرا

منذ عامين لم اقل بيت شعر ... اتراني قد ضقت بالشعر صدرا

ان شعري لاجمل اليوم عندي ... من رياض الربيع غصنا وزهرا

ما هجرت القريض طوعا ولكن ... شغلتني عنه مسائل اخرى

انا في خدمة الامام وشعري ... بمديح الامام يعظم قدرا

اي ملك في الارض طولا وعرضا ... نال ما نلت يا محمد ذكرا

هي اعمالك العظيمة تتلى ... بجميع اللغات عصرا فعصرا

قلت للدهر « ان نفسي اعلى ... من عروش الدنا اذا عشت حرا

غايتي في الحياة شعب كريم ... مستقل موحد يتحرى

لست ارضى له حياة خنوع ... لست ارضى بأن يباع ويشرى

لست ارضى سياسة الميز فيه ... اي فرق ما بين عين واخرى

لست ارضى بأن اراه بئيسا ... سلبوه من ثوبه ، فتعرى

انها صرخة العظيم سيلقيـ ـها على الدهر ثائرا مستمرا
لا تذوب الشعوب ظلما وتبقى ارضها للملوك فيهم مقرا
انما الشعب والمليك بأرض درجوا فوقها يمين ويسرى
آن للشعب ان يشق طريقا وعلى العرش قبله ان يمرا
الوفاء الوفاء للشعب يقضي أن اضحى وان اذوق الامرا
سأسن الفدا لشعب كريم لم يجود للحرب بيضا وسمرا
انا للشعب قائد ومجير كيف ارضى للشعب ظلما وجورا
حسبي الله ان نفيت واهلي لا ابالي ولو توسدت جمرا
محنة طال صهرها لبلادي فبلادي من جلدها تتفرى
يا ابا الشعب عش لشعبك وحد ه وشيد صرح العلا مشمخرا
حسبك الله ناصرا ومعينا فبه نلت في جهادك نصرا
مكن الحب في قلوب رعايا ك وكم صار عسرهم بك يسرا
كلما حل عيد عرشك حلت أزمات وكان للشعب بشرى
قبل ان نستقل كان يرينا منك ما قد افاد عقلا وفكرا
كان عيد انطلاق شعب من القيـ ـد يعاني من المصائب كثرا
لم يكن مهرجان شعب ولكن كان بعثا الى البلاد ونشرا
كان ايقاظ أمة من سبات كنت فيه الهزبر يزار زارا
ان عيد استقلالنا وانبعاث لها بعده جهادا وصبرا
ايها الشعب انت احفظ للعهـ ـد الولاء الولاء سرا وجهرا
طاعة الله ان تكون جميعا عند راي الامام نهيا وامرا
نحن ابناؤه جميعا وحاشا واحد من بنيه يقصد شرا
انما الشعب أسرة وبنوه اخوة كلهم يؤمل خيرا
فتعوذ بالله ياشعب ممن بيت الشر او تعمد غدرا
الرسول الكريم قال تناخوا ولتشدوا على الاخوة ازرا
لم يفرق مابين بيض وسود اكرم الناس اكثر الناس اجرا
قد نهانا قرءاننا عن نزاع وكفى بالوعيد في الآي زجرا
قدروا نعمة الاله علينا واذكروا كيف كنتم قبل اسرى
حرم الدين ان يفرق شعب بقبيل او عادة دون اخرى
جسد واحد اذا مس عضو اشتكى الكل منه داء وضرا
نحن في العدل والحقوق سواء وسواء ان كان يسرا وعسرا

نأنف الغدر والخيانة والغش ... ونرضى الاله دنيا واخرى

ما رزايا الشعوب الا انشقاق ... زرعته يد العدو فأثرى

احذروا ان ينال منكم مرادا ... انه لايزال يمكر مكرا

ارفعوا راية البلاد وكونوا ... من صروف الزمان اعظم قدرا

يا ابا الشعب دمت للشعب حصنا ... لا تدع للشقاق فيه مقرا

قد لمست الخطوب كانت جساما ... فتولت بالعزم كرا وفرا

يعلم الله ما تقاسيه لكن ... ان عند الاله ما شئت ذخرا

اي شعر يهدى لعرشك مولا ... ي ثناء وللعزائم شكرا

ايه مولاي قد وهبتك شعري ... ونثرت البيان والسحر درا

بك يسمو البيان في الشعر والنثـ ... ـر ويبدى العيي في النطق جارا

ان ديواني الكبير سجل ... عنك لا ابتغي بدونه فخرا

كتبته عشرون عاما فوفيـ ... ـت البلاد العزيز ما كان نذرا

سمع الشعر في المسامع شعري ... صارخا لا لاتشربوا الضيم مرا

«اشربوا الموت فى الكريهة حلوا» ... واتبعوا القائد العظيم الهزبرا

فسلام عليك مولاي لما ... عدت للشعب بعد نفيك قسرا

وسلام عليك تعلن انا ... لن نرى بعد يومنا قط اسرى

وسلام عليك والشعب يدعو ... يوم عيد الجلوس عمرت عمرا

كل لفظ مهما سما بالتهاني ... لم يعبر والله عما استقرا

عشت ياسيدي لشعبك عاشت ... اسرة العرش ما علا واشمخرا

عاش من قال قبل نفيك « لا لا » ... لفرنسا وبعد نفي اصرا

ولي العهد راس اركان حرب ... حسن الفعل والصفات الاغرا

ندبته العلا فكان جديرا ... بالمعالي وكان للشعب برا

لك مولاي قد رفعت قصيدا ... بك فاحت مسكا وندا وعطرا

كتبتها يدي ولكن قلبي ... كان يملي علي شطرا فشطرا

ورجائي والله منك قبول ... لست ارضى سوى الرضا منك مهرا

ملك المغرب الصالح محمد الخامس

للدكتور تقي الدين الهلالي

الا ان الاستعمار هاو وبائر ... ومن مطلع الاقمار لاحت بشائر

ابى الضيم فى ارض المغارب ضيغم ... فاقبل من عريسه وهو زائر

وقال للاستعمار زل من بلادنا ... فانى عليك اليوم قاض وقابر

سأسقيك سما لا بقا لك بعده ... وشعبي من خلفي اسود هواصر

عوى ذئب الاستعمار اذ ذاك عوة ... واقبل يدعو ويله وهو حائر

تهدده بالخلع فالنفي فالفنا ... واوعد ليثا انجبته غضافر

فابرق فى جبن وارعد طائشا ... وصار بجمع الخائنين يكاثر

فصدقه فى ذاك من ضل عقله ... ولم يدر ان الله للحق ناصر

تلقى المليك القرم كل وعيدهم ... بحزم وقاسى امرهم وهو ساخر

بثورته رد الحياة لشعبه ... وكان لهم فيها الهدى والبصائر

تجلى لهم كيد العدو وغدره ... وحقا على الباغي تدور الدوائر

لذا استرخصوا الارواح والمال دونه ... سواء بهذا بدوهم والحواضر

وقد كانت الاهواء شتى فوحدت ... وزالت حزازات حوتها الضمائر

وعم الحماس العرب فى كل موطن ... فكلهم اضحى بذلك يفاخر

وعمهم حب الهمام ابن يوسف ... فهامت به صبيانهم والاكابر

وصار حديث الناس فى كل مجلس ... به يعمر النادي ويسمر سامر

تسائل عنه كل بكر وثيب ... ويكتبه فى الصحف قوم عباقر

لكل زمان آية يعتلي بها ... ومأثرة تنسى لديها المآثر

وآية هذا العصر ثورة سيد ... غدا فى المعالي اولا وهو آخر

به تشرق الدنيا ويسعد اهلها ... وتهتز فخرا ان علاها المنابر

يذكرنا سحبان فى كل خطبة ... مهذبة تهتز منها المشاعر

اذى كلمات ام لآلىء قد بدت ... فلا تعجبوا فالملك للدر ناثر

فما شانها لحن ولو قدر ذرة ... ولا سوء القاء بها الحسن ضائر
فايده الله الكريم بنصره ... واعداؤه كل غدا وهو بائر
ومنذ قرون لم ير الناس مثله ... ومن شك فى ذا فهو غمر مكابر
فياقومنا كفوا عن الخلف واجمعوا ... شتيت قواكم للجهاد وحاذروا
فان عدو السلم ما زال فاتكا ... باخوانكم فى ارضكم وهو غادر
هلموا جميعا نقتفي الملك الذي ... دعانا لعز فاتثنى وهو ظافر
ففي قفوه كل السعادة والمنى ... وفى تركه الخسران باد وظاهر
فذاك النطاسى الحكيم الذي له ... بامراضنا فى الاجتماع بصائر
سيشفيكم لو تسمعون نصائحا ... يفوه بها فى الناس وهي جواهر
فداؤكم منكم وهذا دواؤكم ... فأوبوا الى نهج الرشاد وبادروا
الستم ترون الجيش جيش عدوكم ... يرابط فى اوطاننا وهو كاشر
وصحراؤنا ما ان تزال اسيرة ... فيا نعم ماسور ويا بئس آسر
وجيش ليوث فى الجزائر رابضا ... يدافع عن اوطاننا وهو صابر
ولا مدد يلفى لديه ولا قوى ... واعداؤه امدادهم متواتر
وما من سلاح غير ما هو غانم ... من الحمر اذ يرديهم وهو قاهر
فعار على الاسلام والعرب ان يروا ... وقد خذلوا جيشا حوته الجزائر
بني لهم مجدا وفخرا مؤزرا ... امام علاه تضمحل المفاخر
فلله ما ابدى ويا سوء فعل من ... يرى خاذلا اخوانه وهو قادر
وان كنت لا تدري حدود بلادنا ... فدونك فاحفظ ما اتالك ذاكر
فمن ستكال فى الجنوب حدودها ... الى ارض مصر قد حوتها القماطر
تناضل عنها الدهر من جاء غازيا ... وتحصده منا السيوف البواتر
ومهما عدا عاد على اي بقعة ... فذلك عدوان على الكل ظاهر
فاما حياة العز تجمع شملنا ... والا فموت يغسل العار ساتر
ومن ظن ان العز يدرك والمنى ... بكفر والحاد فذلك هاذر
غراب يقود القوم للهلك والفنا ... ويرديهم من طيشه وهو خاسر
اوائلنا بالدين والسلم افلحوا ... وبالدين والاسلام تعلو الاواخر
وما خدم المستعمرين كمثل من ... يصد عن الاسلام وهو مهاتر
ومن بدل الشرع الكريم برايه ... وقد رد احكاما رواها الاكابر
ورد كتاب الله والسنن التي ... عن المصطفى جاءت وفيها البصائر
فاياكم ان تقبلوا ترهاته ... فما الجاهل الاعمى كمن هو ناظر

من ديوان (مع الله)

مدى

للأستاذ الشاعر:
عمر بهاء الاميري
سفير سوريا السابق في المملكة العربية السعودية
والباكستان

ليست الكعبة مرمى بصري
او مدى قلبي في خفقته

هي صرح شامخ من حجر
عزة التاريخ من عزته

اثر يبرز مجد الاثر
محور الاسلام في دورته

موئل يرمز عبر الدهر
لهوى المؤمن في وجهته

وهي لي منطلق النظر
يتعالى ثم من ذورته

مصعدا خلف حدود البشر
مشرئب الفور في صعدته

يتخطى فكر المفكر
هائما يسرح في بهجته

نائيا عن ساح دنيا الصور
باحثا للروح عن جنته

دائرا فوق مدار القمر
والنجوم الزهر في رحلته

بصر قد فاق كنه البصر
اذ سما الله في نظرته

حائما حول شعاب القدر
يتصدى لسنا بسمته

بؤر النور ونور البؤر
منجم الاشراق في نبعته

نظر ينفذ عبر السَّتر
ويرى الحق على فطرته

من مرائيه التماع الظفر
وانتلاق النور من وهجته



للشاعر العربي الكبير
بولس سلامة - بيروت

شركاء الذئاب كيف غويتم فنصرتم صهيون وهي الوباء
بعتم العرب بالاخسين قدرا فلقد سئتم نفوسا وساءوا
كل بيت من شركم فيه « صخر » كل انثى من غدركم « خنساء »
للبغايا في الارجوان اختيال والعذارى نصيبهن العراء
يتهادين والعيون حيارى والاسارير تربة صفراء
قد بعثتم في العرب جذوة حقد تكتسيها الاصباح والامساء
بفم الشيخ لعنة حين يمضي ومع الطفل تولد البغضاء
ان عينا ترى السياسة مكرا ونفاقا لمقلة رمداء
بدعة الجور أن يفوز دخيل ومن البيت يطرد الابناء
أدعياء فحقهم حق ذئب هيجته النيوب والامعاء
فاصح الانساب فيهم شيوع وقصارى نعوتهم ادعياء
افحتم على فلسطين ان يشقـ ـى بنوها وينعم الهجناء ؟
خالد بن الوليد ارثك نهب ورثته الرعاع واللقطاء
فكأن « اليرموك » لم تبل فيه ضمر يعربية جرداء
يوم ربعت من صهلة الخيل « بيـ ـزنطا » وبادت كتائب خرساء
يوم للصيد من حواليك زار وعلى حومة المنون ارتماء
و «ضرار» يأتي ادراعا كـ ـأن الدرع ستر لعزمه وغشاء (1)
هيبه يصدع الذوائب رعبا فلها عنه نبوة وانكفاء
يعربيون يشمخون اذا ما السيـ ـف ابلى وطارت الاشلاء
يتعادون للكفاح نشاوى مثلما تنشد الطلا الندماء

*

في فلسطين للعروبة صـك دونته سيوفها الغراء
تل « حطين » عن خلال صلاح الديـ ـن حدث ولتسمع الشرفاء

---

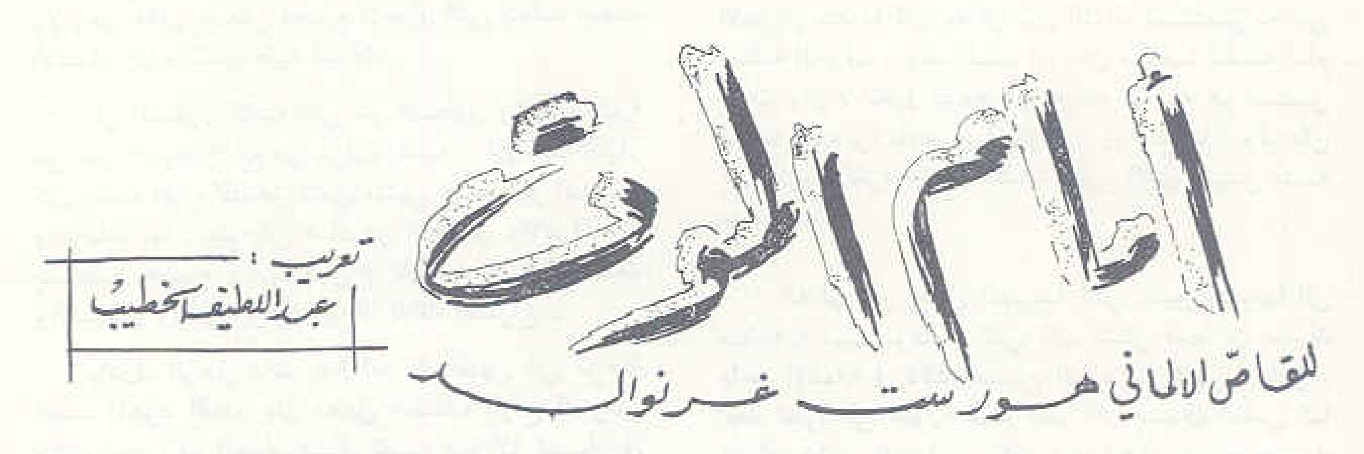
1) هو ضرار بن الازور الفارسي العربي المشهور .

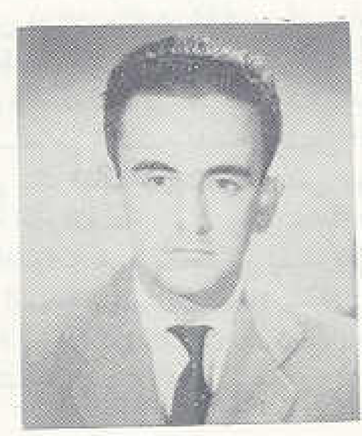
فحديث العلى تندي على الاسمـ ـاع ، والذكر حافز وعزاء
صدره الرحب للعداة وللاحباب ان ضاق بالعداة الفضاء
يسال العابر الغريب ؛ عن الاسـ ـرى ، فيلقاه منهم وزراء
هل درى الغرب ان في سرحـ ـة العز دوارا يفوته الكبراء
سيفهم ما استبد بالخلق يوما فلهم من نفوسهم رقباء
وصراع الاهواء حرب ، يشيل النكـ ـس فيها ، وترجح الاقوياء
ان يقال الدهاء تشريد شعب فى المفازات فهو قول هباء
لا يبالون والمكاسب تترى فى المروءات احسنوا ام اساءوا
اذياد عن اللئام ودفع وعلى الحق والسلام افتراء ؟
ايصان النبات من فأس حطاب وتـ ـردى الابناء والآباء
امد المكر ليلة وضحاها فاذا ادبرت يبين الخفاء
ان قبح الدميمة الوجه يبدو صارخا عند ما يزول الطلاء

*

(دير ياسين) يا ديار اليتامى حينما حقر السيوف ارتواء
حيث بالقتل والغنيمة اغـ ـراء وبالعرض والنهي ازراء
حيث تستهدف الرماح الحبالى فعلى الرمح للجنين ارتقاء
وعلى التخت يحرق الشيب احيـ ـاء ، وفى المهد يذبح الرضعاء
يهتك الستر عن بياض الغواني وعلى الطهر تدل الفحشاء
رب خود جزت غدائرها الشقـ ـراء فالراس هامة صلعاء
كل طرف عن الشقاء كفيف كل اذن عن الشجا صماء

قصص





كان السادس فى صف المحكوم عليهم بالاعدام عند ما نودي على كل منهم برقمه . وقد نظر الى الاعمدة الثلاثة التي كانت تبعد عشرين خطوة ثم الى الجنود الذين لم تكن تظهر على وجوههم امارات التأثر فقال فى نفسه انه سيموت بعد لحظات معدودات .

وكان شعوره بالحيرة والرهبة امام هذا الشيء الجديد الذي يوشك ان ينزل به يضغط على حنجرته فيجعل تنفسه عسيرا شاقا . واقترب منه الراهب وهو يرفع الصليب الى فمه فلاحظ ان شفتيه جافتان . اما صوت الراهب فكان ينتهي الى سمعه كما لو قطع مسافات بعيدة من قبل . فلم تكن الكلمات قد احتفظت بقوتها حتى تؤثر فى نفسه بحيث لم يكن يعيرها الا اهتماما شاردا ذلك لان التفكير فى نهايته القريبة كان يستأثر بذهنه ولا يترك له من الوقت ما ينفقه فى اعتبار الظروف الخارجية . انه كان يشرف على توديع حياته ولا يريد ان ينساق الى التفكير فى تلك الكلمات الجوفاء اثناء اللحظة القصيرة الثمينة .

وسأل نفسه عما اذا كان له ان يتأسف على شيء فاقتنع بعد استعراض الذكريات ان تقويم حياته قد يكون احفل اذا هو رد الى الحياة . وكانت الذكريات وهي شظايا وجود عاجل تعود الى ذهنه فيرى نفسه طالبا بالمدرسة العسكرية للهندسة فى سان بطرسبورغ ثم ضابطا فى الجيش . انه كان محقا فى مغادرة الجيش ومصيبا فى الانصراف عن دراسة لم يكن من شانها الا ان تخنق القوى التي كان يحس بها فى نفسه . وسرعان ما ادرك ان الحياة بالنسبة اليه هي شيء يختلف تمام الاختلاف عن استخراج الجذور التربيعية .

ولم يكن قد استطاع لحد تلك اللحظة ان يتحرر من الشعور بالقلق والاحساس بأزمة نفسية ناتجة عن الحرمان والقصور عن ارضاء شهواته . انه كان يريد ان يستمتع بالحياة ويقبل عليها بكل قواه . الا انه كان يرتعش امام ما كانت تتكشف عنه روحه فيفرغ لكتابة الصفحات ويستمر فى الكتابة حتى ينسى الجوع الذي كان يأكل احشاءه .

واخذ مصيره يتراءى له بوضوح شيئا فشيئا فظهرت شخصيته الحقيقية ورأى طريقه الحق ينفرج امامه وقد احاط به ضياء يغشى الابصار . انه سيكون المحامي لجميع المحتقرين والمدافع عن كافة المهانين الموجودين بهذه الارض . وقد كان يكتب من غير فتور ولا وهن فكان يصطلي بجميع الاطوار التي يتقلب فيها الانسان اذا ما كتب عليه الشقاء .

ان السطور كانت تأتي تلو السطور وكلها صادرة عن تيار الحياة النابع من قرارة نفسه . ان ذلك التيار كان بمثابة الموج المتدفق الذي ينتهي الى تكسير السدود والذهاب بها . فلم يكن هناك من القوانين والاعراف ما يستطيع حصره . ان الصراع كان صراعا بين الملك والشيطان ونفس الرجل ميدانا لذلك الصراع .

وادرك الرجل ذات يوم انه قد انتهى الى مرحلة الحب المجرد القادر على تحمل مختلف انواع الحرمان وشتى صروف الجهاد فسأل نفسه عما اذا كان في مستطاع غيره من البشر ان يرقى الى تلك الدرجة ايضا . ولم يفتأ يسأل نفسه عما اذا لم يكن الانسان قد آثر منذ العصور العتيقة محبة المظاهر على محبة الحقيقة العميقة المجردة التي تختفي وراءها .

وكان الرجل يجهد نفسه في البحث عن الامثال فوجدها في المسيح وادرك ان التصليب امر لم يكن هناك مفر منه . ومع ذلك فقد واصل السير في الطريق التي اختطها لنفسه من قبل .

وقرأ السيد « بيلينسكي » مخطوطه ذات يوم فطلب منه ان يمر به ليمضيا بعض الوقت في الحديث . وكان صاحبنا ينتظر كل شيء من ذلك الناقد الذكي المعروف بقسوته الا ان يحدثه بذلك النحو من الكلام . فلم يكد يدخل المكتب حتى سارع « بيلينسكي » اليه وضمه بين ذراعيه وهو يقول وقد بلغ به الاعجاب غايته :

ـ هل تدرك يا صديقي ما كتبت وهل في مستطاع البشر ان يعلم ما علمت وعمرك لم يتجاوز العشرين بعد ؟ . ان موظفكم « ديبوشكين » قد اصبح بمثابة آلة من الآلات فتخلف في هذه الطريق حتى اصبح في وضاعته لا يجرؤ على التفكير في انه شقي . وقد يعتبر ابسط الشكايات من وحي الثورة الفكرية بل برهانا على تمرد الضمير . انه لم يعد في المستطاع ان نشعر بعطف على ذلك المخلوق الحقير وانما نحس نحوه بالامتهان له والسخط عليه . انك قد اهتديت منذ اللحظة الاولى الى المسألة الرئيسية وتعمقت قلب المشكلة . فعليك ان تظل فيما انت فيه من الاخلاص لنفسك بمصارحتك لها لتدخل في زمرة اكابر الكتاب .

وكان المحكوم عليه بالاعدام يحس لآخر مرة بشعور الاعتزاز عند ما كان يتذكر قول الناقد فيستعين به على مغالبة الخوف . وقد اقسم ان يظل مخلصا لنفسه امام الموت وان لا يخور عزمه لان جهاده لنفسه هو سر مهمته الجديرة بالتضحية بالوجود في سبيلها . ولم يكن يكره شيئا ككرهه لهذا الكذب المهين الذي يعيش فيه معظم الناس .

انه لم يكن يجهل الجريمة التي سيق بسببها الى ساحة « سيمينوف » التي كان ينتظر فيها ان يمسك بأحد الاعمدة في ذلك الصباح البارد من شهر دجنبر . فقد تجرأ على الثورة ضد حكم كان يسوق الناس كما تساق قطعان الثيران . وكان يرى انه لن يصبح بعد دقيقتين او ثلاث الا شيئا لا حركة فيه ولا حياة فكان يشق عليه التفكير في ذلك ويسأل نفسه عن مصيره بعد الموت وعما اذا كان يوجد شيء تمكن معرفته بعدها . وقد اصبح من العسير عليه ان يتبين الجنود الذين كانوا في تلك اللحظات يتكتلون ضمن مجموعات ثلاث صغيرة امام الاعمدة . وكان صوت الراهب الرتيب وهو يرتل الدعوات يقرع سمعه من بعيد قبل ان يطغى عليه صوت الضابط وهو يصدر اوامره الى الجنود في عنف وقسوة . واذا كان الصوت عاليا مدويا فان ادراكه لم يكن بالشيء اليسير المنال .

وكانت هناك كنيسة تبعد حوالي مائتي متر عن ذلك الفناء وضوء الشمس ينعكس على قمتها فجعل يتأمل فيها كما لو كانت تلك الاشعة اشراق حياة جديدة بالنسبة اليه وكما لو كان سيفنى فيها بعد لحظة . واصبح من الصعب عليه ان يصرف عينيه عن ذلك المنظر . فلما وقع بصره على الجنود مرة اخرى احس بالاطمئنان العظيم يسيطر على نفسه وبالهدوء الشامل يتملك تفكيره الذي استأثر به التساؤل عن مصيره لو لم ينفذ فيه الاعدام بعد لحظة وردت اليه الحياة . انه كان يرى ان آفاق العمل عريضة من حوله وان امكانياته عديدة بحيث يكون في متناوله ان يصير الدقيقة الواحدة قرنا وان يحسب اللحظة الواحدة كما يعد البخيل كنزه وقد صح لديه العزم على عدم اضاعة ثانية واحدة من ذلك الثراء الزمني العريض .

انه لو رد الى الحياة لقرأ كتب « بوشكين » و « غوغول » وغيرهما من الكتاب الذين يعجب بهم ولاقبل على شرب نبيذ القوقاز والتنقل بين شوارع سان بطرسبوغ وازقتها ليقرأ على وجوه الناس سر بؤسهم ومكنون آلامهم . انه لو رد الى الحياة الحرة لعاش بين اولئك الناس وانفق الوقت الطويل في الحديث مع المومسات والسكاري ومع المولدات واصحاب الدكاكين . بل لجادل الكفار والعباد على السواء ليعلم آنذاك انه موجود وانه يشرب الحياة في مذاقاتها المختلفة كما يشرب الظمآن كأسا من الماء .

لان يكون الانسان حيا خير له من ان يواري في التراب. فالحياة هي ان يفتح الانسان عينيه الشغوفتين بالاستطلاع على الناس والحوادث فيشغل نفسه بها ويقاسم الاحياء صداقتهم والمهم وخوفهم ورجاءهم ودمعهم وضحكهم ودفء الشمس وعتو الريح .

ان الانسان يستطيع متى كان حيا ان يهمس في نفسه بأسماء الاشخاص المحببين اليه فينطق بكلمة « الام » ويذكر اسم اخ او اخت او صديق . وهو يستطيع ايضا ان يخرج الى الشوارع متى ضاق ذرعا بالجدران الضيقة القائمة من حوله وان يضحك لنكتة ويداعب بلطف شعر امراة فيعلي راسها ويرغمها على النظر الى عينيه . بل في مستطاعه ان يسقي الازهار ويستمع الى صرير النحل او يستلقي على الكلأ ليشاهد مر السحاب .

انه في مستطاع الشخص متى كان حيا ان يتضامن مع كافة ابناء البشر فيتمم مسؤولية اعمالهم ويقاسمهم وزر آثامهم لانه يكون آنذاك متساويا معهم وجانيا عندما يقترفون الجناية ويتعلق بالحياة كما يتعلقون .

انه في متناول الانسان ان يأتي كل شيء اذا هو اراد . والشيء المهم بالنسبة اليه هو ان يعرف امكانياته ولا يترك فرصة مواتية للعمل دون ان ينتهزها .

وكان الغيظ يتأجج في نفسه عندما يفكر في ان الموت يعبث بكل تلك الآمال ويذهب بها . وكان مجرد التفكير في قرب الموت يشيع في نفسه المزيد من الرعب . فقد كان يشد يديه بقوة حتى ان الاظفار كانت تؤلمه الى ابعد حدود الايلام وكان يبذل مجهودا كبيرا لترويض نفسه على الصبر وتهدئة غضبه الجامح . وكان هو السادس في صف المحكوم عليهم بحيث ان الاشخاص الثلاثة الواقفين عن يمينه والذين لم يكن يجرؤ على النظر اليهم سيسبقونه الى لقاء الموت .

واحس بوقع نعال الجند على الطوار الذي كان يعلوه الجليد فادار راسه الى الجهة التي كان يأتي منها صدى الاقدام فرأى الجنود الاربعة يقطعون الساحة متوجهين اليه في بطء كما يسير الرجال اصحاب المعدة الراضية والضمير المرتاح الهادىء .

ووقف الجنود لما اصبحوا على خطوة واحدة من المحكوم عليهم فصاح احدهم قائلا : « الارقام واحد اثنين ثلاثة ... غادروا الصف » . وكان هذا الجندي ذا صوت غليظ يمجه السمع . وما ان سمع هذا الصوت حتى اصاب بصره بعض الضباب لما راى الرجال الثلاثة قد شرعوا يسيرون وقد احاط بهم الجنود فاحس بهم كما لو كانوا يجرون ارجلهم وادرك فجاة مدى الخوف الذي كان يستأثر بهم ومقدار الاحساس بالعجز الذي كان ينتابهم . كما احس بضعف اجسامهم التي سيخترقها الرصاص ويمزقها بعد حين دون ان يجد في ذلك مقاومة ولا عناء .

انه كان يعرف ما كان اولئك الرجال يفكرون فيه ويعرف انهم كانوا يلعنون حظهم العاثر الذي حكم عليهم بالسبق الى الموت ولو استطاع اولئك الرجال لقدموا كل ما هو موجود في العالم ليوضعوا في الجانب الآخر من ذلك الصف .

ان هذا المنظر قد استثار قلبه فاغمض عينيه وطاطا راسه يحاول ان ينسى ما رآه قبل لحظات . وكان يتصور في مخيلته المهتاجة صور اشخاص آخرين ومناظر اخرى . الا ان تلك الصور كانت غامضة وان كان الالم العميق يجتاح صدره لما كان يرى من عجزه عن اداء القسم الثاني من رسالته الى الناس .

انه راى الكتب التي كان في مستطاعه ان يكتبها لو كان له متسع من الوقت وهي تستعرض امامه . وكان احساسه بالالم الشديد والتمرد الجامح يجتاح صدره فيصطك فكاه عند ما يرى قرب عجزه النهائي عن الابداع والخلق وقرب قصوره التام عن الافصاح بالحب والتعبير عن الاشفاق الذي كان يحس به نحو كافة الناس ويرى ان نوازع الثروة الروحية التي يتحلى بها قلبه ذاهبة الى العدم عبثا .

ماذا سيقول التاريخ عن ذلك الطالب الذي اضطر بحكم الفقر الى التخلي عن الدرس والتحصيل وساقه الجوع الى اغتيال عجوز مرابية ؟ . ماذا سيقول ضميره عند ما يسال نفسه عما اذا كان قد فعل فعلة القتلة

السافلين او كان ينتمي الى زمرة المختارين الذين لهم حق التصرف فى الحياة البشرية ؟ .

من هو هذا الذي سيصف العواطف والاحاسيس التي تجتاح نفس المقامر عند ما يقرع سمعه رنين الكرة الدائرة فى انيابها وتمسك اصابعه المحمومة باوراق المكاسب الاولى . ان الالعاب تتعاقب ويزول الواحد منها تلو الآخر فلا يبقى منها أمام المقامر الا رقص الكرة وتأرجحها فى الانياب ... من هذا الذي سيصف خسران المقامر ومغادرته لمائدة الميسر وخروجه من النادي متحسرا ؟ .

من هذا الذي سيهتم بمصير الاطفال الذين لفظوا بقوة الى هذا العالم الذي اعتاد الناس فيه جريان الدماء واصبحت الرذيلة تتفشى فيه بكل حرية ولم تعد مجلبة للعار والمهانة بينما كل واحد يهذي هذيانا هستيريا مطالبا بالانسانية والشفقة فلا تجد شخصا يريد الاضطلاع بذلك الواجب فيملأ الفراغ الذي تخوفه ؟ . ان الناس كلهم يريدون ان يشربوا من ذلك المعين ويستمروا دائما فى ارواء ظماهم . غير ان الامور تنعكس تماما كلما نودي على احد منهم باداء نصيبه من التضحية .

انه كان يعلم حق العلم انه ليس قادرا على النظر الى الامور كما تنظر اليها الدهماء . فقد حكمت عليه الطبيعة باستقرار نفسه وطرح الاسئلة العويصة عليها وبالاجتهاد دائما فى الجواب عنها . ولو لم تكن طبيعته على هذا النحو لكان يفوز باكاليل الغار ولما كان فى ذلك الوقت بتلك الساحة ينتظر ان ينفذ فيه الحكم بالاعدام رميا بالرصاص .

وظهر امام روحه منظر خلاب رائع ... هو منظر رجل شاب وسيم الطلعة كأحد الامراء ... وكان الرجل نبيلا كريما يقدم الى العالم احسانه وايمانه بعظمة الانسان . ومع ذلك فقدراى هذا الرجل احتقارامثاله له لقاء رحمته بهم . بل ان وجوده كان فى نظر العامة سبة حية ماثلة تكفي للحكم عليه . وكان الناس يتسابقون فى اذايته وينصرفون عنه منادين اياه بالسخيف وهو يدعوهم الى ايثار المحبة الشاملة العامة على البغض والعداوة .

وكان هذا المصير المحزن لذلك الشخص يملك عليه اعجابه كله حتى نسي ما كان يحيط به خلال بضع ثوان ويرى ذلك المصير موضوعا حببت الى نفسه الكتابة فيه

وتعالت صيحة مدوية رهيبة انتزعت منه تلك الآراء انتزاعا فاحس بقطرات العرق تتصبب على جبهته وخديه وعنقه وتنساب الى ظهره ، واضطر امام ذلك الاحساس الى فتح عينيه بقدر ما كان يستطيع فوجد حجابا رقيقا قائما امام بصره وانه لا يرى ما كان يجري فى تلك الساحة على بعد خطوات معدودة عنه . ومع ذلك فلم يحد ببصره عن ذلك الاتجاه .

انه رأى الجنود يمسكون بذراعي الاول من المحكوم عليهم ويربطون معصميه بعنف وراء ظهره حتى ان الجسم المنهوك من فرط الالم والخوف كان يستقيم وتظهر على الرجل امارات العزة . وتكرر ذلك المنظر ثلاث مرات ورأى كيف ان الجنود يعصبون اعين البؤساء ويسوقونهم الى الاعمدة ليشدوهم اليها شدا وثيقا لا يترك لهم مجالا للتحرك ولو قيد انملة .

وحاول صاحبنا ان يتذكر معالم الوجوه التي كانت على مقربة منه قبل لحظات فلم يستطع وانتهى الى اخفاء وجهه بين يديه لانه لم يعد قادرا على تحمل ذلك الانتظار وذلك الاحساس بالعجز امام النهاية القريبة .

ولم يكن قد فكر الى ذلك اليوم فى اوجه الموت المختلفة . اما الآن فقد فات الاوان ولم يعد هناك مجال للتفكير فيها لان الرصاصة التي ستذهب بحياته كانت مصهورة منذ وقت طويل وقد استوت الآن كمثيلاتها داخل الحزام الذي يتذرع به الجنود .

غير ان الشيء الذي اغاظ صاحبنا واقلقه الى حد الجنون هو رفض ضابط الشرذمة لطلب الانعام عليه بالنظر الى العالم نظرته الاخيرة . فقد كان على حق فى ان يرى الموت يسعى اليه . غير انه كان يعلم ان الاحتجاج لا يفيد خصوصا وقد راى كيف انه من اليسير تعصيب عيني رجل مكتوف اليدين .

ولم يعد فى مستطاع صاحبنا الا ان يقبل الموت على ذلك الحال فلا يستطيع احد ان يرى الابتسامة التي كان يرغب توديع الحياة بها . وسمع بعد حين سعال احد الحاضرين فرأى ان الضابط الذي ظل ربع ساعة يقرأ نصوص الاحكام بالموت قد شرع يبتعد عن الجنود

ويشير الى الراهب بالابتعاد عن الاعمدة . ثم سمع صوتا بعيدا كما لو كان آتيا من عالم الفناء وهو يأمر العساكر من افراد الشرذمة المكلفة بتنفيذ الاعدام باخذ اسلحتهم والوقوف موقف الاستعداد .

وشرعت الطبول تقرع قرعا وئيدا متعاليا فاعتقد بان راسه يوشك ان يتطاير في الفضاء . واحس من خلال ذلك القرع الوئيد المتعالي بصدى اعداد البنادق لتلفظ ما في جوفها من رصاص قاتل فأدرك تمام الادراك ان النية الاخيرة في حياة اولئك الرجال المربوطين بالاعمدة قد وصلت وانتظر خروج الطلقة النارية الاولى .

واصبح قرع الطبول يصم الآذان . وقد ادار راسه بتؤدة خوفا من ان يصاب بالجنون اذا امتد ذلك الانتظار الرهيب بضع لحظات . وظن مع ذلك انه راى الضابط وهو يتوجه الى الجنود محركا شفتيه . غير انه لم يسمع لتلك الحركة صدى . انه راى احد الجنود يسير نحو الاعمدة . غير انه ظن ان تلك الرؤيا انما هي من من مفعول الهذيان . وكان يود ان تتوقف اذناه عن سماع قرع الطبول ...

فهل كان سينهار من فرط الخوف ساعة الموت وهو الذي كان يريد ان يحتفظ بوعيه وشهامته ويبرهن للعالم على قدرته ورباطة جاشه في مجابهة الموت ولقائه كما يلقاه احرار الرجال ؟ .

انه راى الجندي ينزع العصابة عن اعين الاول فالثاني فالثالث من المحكوم عليهم . ثم جعل الجندي يفسخ الحبال التي كانت تشدهم الى الاعمدة ثم الحبال التي تمسك معاصمهم فيدفعهم امامه حيث يقطعون الساحة ليسترجعوا اماكنهم داخل الصف .

ولم يكن صاحبنا يبحث عن شيء ولا يريد ان يحرص على ادراك اي شيء فظل واقفا وسط تلك الساحة وقد اصبح مخه مادة لزجة لا تستطيع التفكير في شيء . فقد فقد القدرة على الاندهاش وحتى على التالم فكان يرضى عن ذلك الوجع الشديد ويتحمله في هدوء وسكينة . ولم يكن يستطيع ان يفكر حتى في الصباح او في الفرار مادام يحس بالقدرة على العدو .

وفجاة توقف الجنود عن قرع الطبول دون ان تطلق الرصاصة الاولى . غير انه لم يندهش لذلك ايضا .

ثم سمع صوتا يناديه باسمه متبوعا بكلمات لم يدرك لها معنى في تلك اللحظة . وعندما تفرق صف المحكوم عليهم واخذوا يسيرون تاركين ساحة « سيميونوف » وراءهم استأنف طريقه نحو السجن فاستعاد فيه شيئا من احساسه ووجدانه . ولما كان المحكوم عليهم قد اخذوا يسيرون ببطء عند ما اقتربوا من منعرج الطريق شاهد اولهم الذي كان اقربهم ميعادا مع الموت وهو يسير امامه فلم تعد ركبتاه ترتعشان . عند ذلك تذكر الكلمات التي سمعها: « ان صاحب الجلالة القيصر قد اصدر عفوه عن فيودور ميكايلو فيتش دو ستويفسكي واستبدل الحكم عليه بالاعدام بالنفي الى سيبيريا لقضاء اربع سنوات سجنا بها» .



في المقال الافتتاحي حول عيد العرش استعراض لمواقف الجهاد والتضحية التي وقفها جلالة الملك ، والجميع يعرفها ويعترف بعظمتها وفكرة «العرش بالشعب والشعب بالعرش» التي وردت فيه فكرة رددها الناس وكنت احد المرددين لها فيما كتبته بهذه المناسبة سنة احدى وخمسين بمجلة كانت تصدر بطنجة اسمها «العلوم والفنون» .

ومهما يكن فالكلمة في حد ذاتها لها مكانتها وليس عليها من مأخذ الا في بعض العبارات مثل : فاما حياة حرة كريمة للجميع واما استمرار في التضحية ، ونكران الذات ، وجهاد مستمر لا ينقطع . فما معنى «اما» هنا ؟ اليس الاستمرار في التضحية ، ونكران الذات والجهاد المستمر جميع ذلك واجبا في كل حال حتى مع «الحياة الحرة الكريمة للجميع» ؟

نقد وتعليق
الاستاذ محمد بن تاويت

وفي المقال الثاني حول «السياسي في الاسلام» نجد صاحبه السيد ابي الاعلى المودودي قد وقف على مبادىء جلها خاص بمذهب اهل السنة في التوحيد ولم يعرج فيه على نظرية اهل الاعتزال كما جعل مسالة الخلافة قائمة على مبدا من لم يشترط فيها قرشية ولا غيرها والامر كما هو معلوم فيه خلاف ولو حاول ابن خلدون ان يحل القرشية بتحليل العصبية ومع وجود الحديث «الخلافة في قريش» الا ان الملابسات التاريخية وما حام حول الخلافة فى السقيفة يجعلنا في حيرة من هذا الحديث ذلك انه لو كان معروفا بين الصحابة لكان حاسما في الموضوع ولما قال زعيم الانصار «منا امير ومنكم امير» ولو كان معروفا ايضا لاعتمد عليه ابو بكر في خطبته الاقناعية ، ولكن كل ذلك لم يقع .

سوى هذا فالكاتب يقول فيما يقرره بصدد نظرة الاسلام الى الحقوق البشرية لكل انسان «عدوا كان أو صديقا متوددا كان لها (المملكة الاسلامية) او معاندا لها بالحرب» مع ان مبلغ العلم في هذه القضية ان نظرة الاسلام الى عدوه المحارب ليست بالذات نظرته الى الصديق بل حتى من كان داخلا في ذمته من غير المسلمين طبعا ، لهذا فالمسالة فيها نظر ...

اما الجمهورية في الاسلام ومسالة انتخاب الامير واعتبار راي «كل من بلغ اشده فيها» فهي مسألة تنقصنا فيها المستندات الدينية حتى الآن ... ولعلنا في تقرير ذلك انما نلجأ الى روح العصر والظروف التي تحيط بالفكرة . وحبذا لو اتاح لنا الكاتب العظيم فرصة الاطلاع على النصوص الاسلامية في هذا الموضوع حتى نستانس في مقاله القيم بها ونعتمد على فحواها

والمقال الثالث تحت عنوان «روح القانون وحرفيته» مقال له خطورته في هذه الظروف التي تجتازها المحاكم المغربية وقد طعمه صاحبه بحجج ووقائع تاريخية جعلت منطقه فيه فصل الخطاب ، وللاستاذ الطنجي يد علينا فيما يعالجه من مشاكل اجتماعية بروح اسلامي وتحليل يحوم حول مبادئه ؛ خطيبا ومحدثا وكاتبا ، وليت علماء الاسلام بالمغرب جعلوا منه القدوة الحسنة فساهموا بنصيبهم في هذا العلاج الذي ينالون الشكر عليه من الجميع .

اما المقال الرابع الذي عنوانه «الفضيلة المؤودة» للاستاذ المهدي الصقلي فعلى ما في تنسيقه ورد هذا الحديث «ان الله يشرع بالسلطان ما لا يشرعه بالقرآن» والظن ان المطبعة تصرفت في كلمة «يزع» فجعلتها يشرع . وفي علمي ان هذا ليس بحديث وانما هو كلام احد الخلفاء او العلماء من العصر الاول .

والمقال الخامس المعنون «بالعرش المغربي والدعوة الاسلامية» يقول فيه صاحبه الاستاذ عبد القادر حسن : ولم تسقط كذلك دولة من دولة (المغرب) الا بقدر برودها في الذود عن مبادئه «الاسلام» وخذلانها لتعاليمه واخلاقه وحوزته» .
وهنا نسائل الكاتب : كيف سقطت دولة المرابطين العتيدة ؟ الم تسقط وهي في عنفوان شبابها ؟ الم تسقط وهي تحافظ على حوزة الدين وتنافح عن مبادئه السلفية ؟ . لقد اتهم محمد بن تومرت هذه الدولة اتهامات لم يكن نصيبها من الحقيقة كثيرا ، ورماها بالتجسيم في توحيدها : نعم : فعل كل ذلك واكثر من ذلك ولكن الاتهامات شيء والواقع شيء آخر . . .

والمقال السادس الذي عنوانه «كيف تكون شخصية اسلامية» مقال متحرر فيه بعد نظر وحرص على صيانة التربية الاسلامية في المدارس خاصة ؛ وصاحبه الاستاذ التهامي الوزاني معروف بفلسفته الاسلامية المتحررة حينما ينظر الى الاشياء بعين تتحد فيها الزوايا ولا تتشعب فيها الاشعة النورانية ، ومن حق الحقيقة المجردة ان يتبوأ صاحبه المكانة اللائقة به بين المفكرين المعاصرين في المغرب لما له من اطلاع واسع ونظر صائب في غالب القضايا . . .

وهذا مقال سابع له اهميته العظمى وهو مقتبس من كتاب «مستقبل الاسلام» لمالك بن نبي استعرض فيه سير المسلمين وما اجتازه في هذا السير الى ان انتهى في استعراضه الى تباشير العالم الاسلامي معرجا في ذلك على الغرب ومواقفهم من الاسلام والمسلمين منهم وما قدموه في كل ذلك من الدراسات، كما تناول بشجاعة دراسة زعمائه في النهضة الحديثة ؛ من جمال الدين الى محمد عبده ، وانتهى الى اقرار هذه الزعامة بحق في شخصية الشهيد حسن البنا رحمه الله ، والتلخيص الذي قدمه ناقل الموضوع عبد السلام الهراس تلخيص ممتع من غير شك ؛ وكثيرا ما اطرقنا بهذه الموضوعات الجدية هذا الناقل ؛ ناشئا وناقلا ، وليس عليه من مأخذ الا بعض الفقرات التي تستوقفنا وقفات قصيرة ، واهمها قوله في وصف الكتاب : «وتمتاز كتب بن نبي بالموضوعية والتعمق والشمول والخصوبة والحيوية وليس كتاب «ادب» يتلاعب بالالفاظ وتستدرجه الموسيقى في الموضوع ويستعبده اللفظ» . لنقف عند هذه الفقرات فنقول لصاحبها : متى كان الادب ياسيدي بهذه الصفة التي وصفت ؟ ان الادب الحق ايها السيد ادب معان وليس ادب الفاظ تستعبده،ولا موسيقى تستدرجه ؛ خصوصا وانت تتكلم عن نثر ولست بمتكلم عن نظم . ومسكين ادبنا ومساكين رجاله فليس لادبنا سور يصد عنه المهاجمين ، ولا ابواب تقف في وجه المتطفلين وليس لرجاله الفنيين حصانة تحفظهم من العدوى المبيدة ، وتتقي عنهم الغارات الكاسحة ، فكل من حمل قلما حسبه سلاحا يجول في ميدان الادب به ويصول ، ومن هنا جاءت الكارثة كارثة العدوى الفتاكة وكارثة الحلم الذي يتصف به الرجال ، وهم رجال الادب ، وقديما قيل :

رايت الحلم دل على قومي
وقد يستجهل الرجل الحليم

ان الادب ياسيدي ـ كما في علمك ـ طريق شاق وشاق جدا وعلى الاديب ان يلم بكل شيء اذا ما كان اديبا حقا ، وعليه ان يصوغ ادبه صياغة دونها صياغة المعدنيات النفيسة وعليه أن يبرز صفحاته كما يبرز المصور الحاذق لوحاته الفنية في دقة وانسجام وحذر من الزوائد التي لا تعبر عن شيء في الوانها واوضاعها وخطوطها المتناسقة ، وحسبك ان تذكر ان كتاب الله اعجازه في نظمه ونظمه في بلاغته وبلاغته في ادبه ، وحسبنا نحن ان نقرا لك هذه العبارة فيما كتبت وهي : ولا يسمح لاي كلمة . . . ان تسيل من قلمه دون ان تحمل شحنة فكرية من صميم الموضوع ومن جوهر الفكرة ودون ان يكون لها اشعاعها الخاص . . .

الست تحس معي في مثل هذه العبارات بانها عبارات ادبية رائعة ؟ فشكرا للادب الذي جاد بك او جدت به ، وابعد الله عنه اعين الحاسدين والسن المتشدقين واقلام الخائرين المفلولين . . .

ثم ياتي خطاب مدير الجامعة المغربية في حفلة افتتاح السنة الدراسية الثالثة . وهو خطاب يضع بين ايدينا الاهداف المطلوبة من التعليم ويستعرض النظرة العامة الى العلم منذ البداية الى اليوم ويتناول النشاط الذي قامت وتقوم به الجامعة المغربية . ولا يسعنا الا ان ندعو الله جاهدين في ان يأخذ بجامعتنا وان يسدد خطا رجالها الى الامام حتى تثمر هذه الجامعة ثمرتها المطلوبة .

ثم ياتي الموضوع الذي كتبه استاذنا محمد السايح ــ رحمه الله ــ عن المولى اسماعيل والواقع ــ كما يبدو ــ ان الفقيه لم يعنون موضوعه بهذا العنوان «المولى اسماعيل العلوي» لانه لم يقصره عليه وانما تناول فيه معه من بعده من الملوك الى ان وصل في بعض الاحيان الى المولى عبد العزيز . لهذا لم يكن لنا ــ وهو عند ربه ــ ان نلاحظ على موضوعه ملاحظة الخروج عن الموضوع الذي ربما كان صفحة من صفحات تاريخ مغربي جاد به قلمه السيال ، كما كان لسانه يجود ــ رحمه الله ــ بتلك الدروس النافعة التي سعدنا بتلقي بعضها عنه .

ويأتي بعد ذلك مقال قيم للاستاذ محمد الفاسي، كان قد نشر في مجلة «معهد المخطوطات» ثم اعيد نشره في دعوة الحق «تعميما للفائدة» وهو حول ابن رشيد الفهري ورحلته الى المشرق وفي هذا المقال يقول صاحبه : «وكان ابن رشيد يقرض الشعر الا انه كانت تظهر على شعره آثار التكلف .

والواقع ان هذه القضية صحيحة في بعض شعره ولكننا ــ كما نظن ــ لا يمكننا ان نعممها في جميعه ، فلقد قال من الشعر مابريء من هذا التكلف ؛ من ذلك ماقاله في رثاء ابن له وهو قوله :

شباب ثوى شابت عليه المفارق
وغصن ذوى تاقت اليه الحدائق

على حين راق الناظرين بسوقه
ومنه سهام للعيون رواشق

فما اخطأت منه الفؤاد بعمدها
فلا ابصرت تلك العيون الروامق

وحين تدانى للكمال هلاله
الم به نقص وجدت مواحق

الى الله اشكو ــ فهو يشكي ــ نوازعا
عظاما سطاها للعظام عوارق

ولا مثل فقدان البنى فجعته
وان طالما لحت ولجت بوارق

محمد ان الصبر فيك مصارم
محمد ان الوجد فيك مصادق

محمد ان الصبر صبر وعلقم
على انه حلو المثابة سابق

فان جزعا فالله للعبد عاذر
وان جلدا فالله للعبد صادق

وتالله مالي بعد عيشك لذة
ولا راقني مرأى لعيني رائق

واني به والمذكرات عديدة
قبيل وفهم للعوائد خارق

فان التفت فالشخص للعين ماثل
وان استمع فالصوت للاذن طارق

وان ادع شخصا باسمه لضرورة
فان اسمك المحبوب للنطق سابق

وان تقرع الابواب راحة قارع
يطر عندها قلب لذكرك خافق

وكل كتاب قد حويت فمذكر
وآثاره كل اليك توائق

الى ان يقول :

وقد كان ظني انني لك سابق
فقد صار علمي انني بك لاحق

غريبين كنا فرق البين بيننا
بابرح مايلقى الغريب المفارق

فبين وبعد بالغريب توكلا
فذرعي بما حملت ــ والله ــ ضائق

فلولا الاسى ذاب الفؤاد من الاسى
ولولا البكا لم يحمل الحزن طائق

يخط الاسى خطا تروق سطوره
ويمحو البكا فالدمع ماح وماحق

فيا واحدا كان للعين نورها
اكل ضياء بعد بعدك غاسق

فبمثل هذه القصيدة المؤثرة تتجلى شاعرية الشاعر التي تصدر عفو الطبع ولا تكلف فيها الا في مثل هذه المحسنات البديعية التي كانت آنذاك قد غزت بقوة الادب المغربي والف فيها ابن رشيد نفسه ، ومتى احسن الاديب وضعها فان نبزه بالتكلف فيها لا محل له .

ويأتي بعد هذا الجزء الاخير من مقال الاستاذ محي الدين المشرفي حول التعليم في الولايات المتحدة ؛ وقد نقل الاستاذ الينا هذا الموضوع الهام

واطلعنا على جوانب هامة في سير التعليم بتلك الولايات وعلى مراحله واهدافه ، كل ذلك في اسلوب حافظ فيه على دقة المنقول في تفاصيله وارقامه واخيرا ختم الموضوع من عنديته بخلاصة قيمة استخلصها من ذلك التقرير المستفيض وعلى ضوئها تناول بعض الجوانب في تعليمنا بالنقد النزيه والاشارة الى مايجب ان يكون عليه الوضع الصحيح في تعليمنا ، بناء على ما لنا من مقدرات مسعفة وما لنا من مشاكل محلية ، ولن يوخذ على كاتبه الا اقحام بعض مالا لزوم له فيما نقل ، مثل الحديث : لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه .

ياسيدي الموضوع موضوع عرض وتحليل وليس موضوع وعظ وارشاد ولكل مقام مقال ...

ثم ياتي وصف المؤتمر الثقافي العربي الرابع للاستاذ عبد الهادي التازي وهو وصف شيق مفيد والعبرة بخواتمها وعلى الله قصد السبيل .

ويتلوه مقال للاستاذ محمد العربي الخطابي بعنوان «ثقافتنا والجامعة» وعلى مايحتوي هذا المقال من ملاحظات واقعية فان صاحبه اقتضب القول فيه ، وكان منتظرا منه ان يفيض ويفصل في الموضوع .

ثم ياتي مقال غني بمادته للاستاذ محمد المصطفى المغني عن المجتمع والاخلاق عند برجسون ، وبالرغم من كون المقال ممتعا بما حمل الينا من نظريات جديدة في هذا الباب ، الا انه لهذه الجدة نفسها ولعمقه في الموضوع كان على العارض الذي فاجانا به ان يطيل النفس ويتبسط للضعفاء من القراء امثالنا حتى تتم الفائدة وتنال الثمرة التي اعتادت هذه المجلة ان تقدمها الينا في لطف ويسر لا يتعب المتناول ولا تسبب له عسرا في هضمه ؛ اذ ليست المجلة وقفا على الفلاسفة والمتفلسفين .

ثم هذا مقال آخر في «الضريبة كمورد للدولة» لمحمد الصادق البقالي حاول صاحبه ان يدخل في الموضوع دخولا منظما مفصلا ولكنه سرعان ما انتقل من ذلك الى اسداء النصح . والدين النصيحة ...

ويتلوه شعر منثور في «الخريف» لان الخريف في طبيعته نثر كذلك ، ولكنه ليس بذلك الجمال الذي عرضه علينا محمد الصباغ الذي اعتاد ان يصبغ فاستاثر عن باقي الاغصان بنفسه وجعلها «اغصانا الطبيعة واحداثها صبغا ذات الوان شتى ، وقد وفق ندية مثمرة ناضجة تطعم وتروى طيور الجبال والاعالي في تنسيق هذه الالوان وجعلها منسجمة انسجاما تلذ به الاذواق ، ولكنه نسي نفسه يتكلم عن الخريف والنجوم بحاتمية وسخاء وتوزع النسائم المطيبة في الاصباح والامساء على ساكني السهول والاوداء ومجنحاتها» ثم فاته كذلك ما في فصل الخريف من عواصف ورياح عاتية فجعل كل ذلك نسمات رقيقات لطيفات ظريفات» ...

وليته اسدل الستار على هذا الوصف ، بل عاد فوصفها بانها «هوج الرياح» وما فتيء بعد ان نصحنا بقوله : «سارعوا الى (مطهر الرياح) والمطهر ايها الصديق تمجه الاسماع «وتكتنفه» الكنايات ولا ينطق به الا همسا وفي الآذان لانه قد ابتذل في الاعراف والعادات .

وياتي بعده مقال في استعراض الجزائر في طريق الاستقلال ، بعنوان « القضية الجزائرية في شهر » وهو استعراض في الحقيقة ملم بالقضية من جميع نواحيها في الاوساط الدولية ، وقد ابان صاحبه الاستاذ المهدي البرجالي عن النتائج الوخيمة التي استهدفت لها فرنسا من لدن اصدقائها المخلصين وغير المخلصين ، كما تنبأ على ضوء هذه النتائج بما ستكون عليه وضعية فرنسا المتعنتة . واخيرا فان الجزائر سائرة الى مقصدها – وهو مقصد الجميع – بحزم وقوة والعاقبة للمتقين والدوائر على الباغين .

وعلى هامش الذكرى الخامسة للثورة الجزائرية ، كتب الاستاذ احمد مراد مقالا تحت عنوان : «ذكرى الانبعاث الجزائري» استعرض فيه الكفاح المقدس من اجل حرية الجزائر المسلمة العربية ، ونعى على فرنسا امعانها في البغي والظلم وركوب راسها في مضمار الاجرام وخلل – كعادته – مقاله بالاحاديث النبوية والقطع الشعرية فكان مقاله حلقة من تلك السلسلة الملهبة التي بداها منذ اربع سنوات .

وعاد الاستاذ الخطابي الينا بقطعة حوارية جميلة اوحى بها اليه الجهاد الجزائري وهي : «قلب واجفان» حوار بين ام وابنها الوحيد يودعها ويودعها شبابته

وفاسه ومنجله ليعتاض عن كل ذلك ببندقية يسددها الى الغاصبين ويقتنص بها الوحوش المتكالبة على بلاده ، ويختم كلمته بقوله : وتلك هي الجزائر : ام صابرة ، وفتى شجاع ، وأمل يلوح من بعيد .. من بعيد .

ونشرف بعد ذلك «على المقهى» لنقرا فيه قصة رائعة للاديب الجزائري محمد ديب ، ويضيف اليها دليلنا محمد برادة اشارة الى ما تمتاز به قصص الاديب الجزائري من خاصة سماها «الالتزام» ولكنه جعل هذه الخاصة عامة في جميع ادباء الشباب من الجزائريين فهم يصدرون عن ماساة بلادهم فيما يكتبون . فما اشبههم في ذلك بادباء الاتراك حينما ابتليت بلادهم بمحن واهوال وامتدت اليها معاول الصليبية تفتك بها وتطيح بكيانها .

ننتقل بعد ذلك الى الشعر فنجده مفتتحا بقصيدة للاستاذ علال الفاسي ، والمعتقد ان نظم هذه القصيدة الطويلة لم يتطلب من صاحبه الا بضع ساعات شانه في ذلك شان ابي العتاهية في غالب شعره وجلال الدين الرومي في مثنويه وليس بعد ذلك على القصيدة من ماخذ الا ما ورد في أول البيتين الاخيرين من اضافتين كان المقام يستدعي صرفهما عنه ، وهما :

ولا زال شعبي في الهداية سائرا ...
ونالت بلادي وحدة وهناءة ...

وبعد هذه قصيدة الشاعر صالح الجزائري ، قصيدة خفيفة الظل تنظر الى قصيدة ابن مطروح في الوزن والقافية .

اما علي الصقلي في قصيدته فقد خاطبنا حقا بلغة الشعر ، ولا يوخذ عليه الا استعماله البرد مرتين في قصيدة وفي صيغة الجمع :

... ابرداه موشية الاردان
... متقلبا في ابرد الاحسان

ولكنه البرد يلجيء الانسان الى ارتداء بردتين او ابراد .

وتاتي قصيدة الاستاذ عبد الكريم ابن ثابت في قصيدة وتنظر كذلك الى بيتي عياصى في «يحمر الشقيق اذا تصوب او تصعد» وسالت الشاعر: وسمعت آهات البنفسج من غرام قد تنهد

فقلت : لا وقال لي :

هذا لعمري بعض ما   في روح عاهلنا المجد

فقلت : ما فهمت . . .

وتاتي قصيدة محمد الوكيلي ، واحسن ما فيها الذكرى ، فانها تنفع المؤمنين .

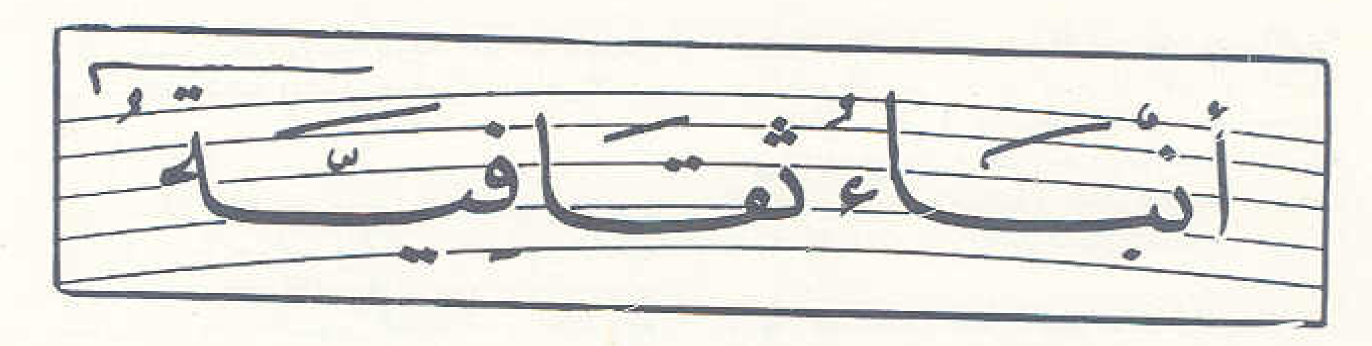
ويختم العدد بقصة جميلة لعبد الجبار السحيمي ونهنيء كاتبها بان فيه روح القاص واسلوبه وما عليه الا ان يستغل مواهبه ، واذا بهذا العنصر في ادبنا قوي بعدما ضعف بتخلي قومه عنه .

وبقي علينا ان نلاحظ على المجلة بعض العبث الطباعي فياتي على بعض الكلمات ومن عجيب الصدف ان كانت في هذا العدد ذات شان هام مثل ادوات النفي والشرط. فكيف تفهم الجمل وقد نكست او فقدت روحها ؟

وقد ابتلي الكتاب بعبارات قفزت من العامية في الشرق الى لغة الكتابة وهي « وبالتالي» و «هو الآخر» او «هي الاخرى» ولا اصل لهذا التعبير في العربية فيكفي ان تقول «ثم» مثلا ، وان تقول «ايضا» او «كذلك» من غير كلفة او عناء .

اما و «لازال» في غير الدعاء والتكرار و «سوف لا» و «التحبيذ» فقد نص القوم — وكتبت فيما مضى — على اللحن فيها .

وفيما نقله السيد الشرقي نجده يستعمل تبعا للشرق ايضا كلمة «ورشه» ويعطف عليها المعمل او المصنع وما درى انه يعطف الشيء على نفسه وهو كثيرا ما يوجد في اللغات التي جاورت بعضها بعضا في حقبة من الزمن : يوجد في الاسبانية فيضاف الشيء او يعطف على نفسه ، ولا فرق الا انه دل عليه مرة بالعربية واخرى بالاسبانية ، وقد يتعقد الامر فتتكرر الاضافات من قنيقية الى عربية فاسبانية مثلا والمدلول واحد وكذلك الشان في الفارسية ايضا وفي العربية التي استعملها المشرقي فعطف على «الورشة» المعمل او المصنع والواقع ان الورش ما هي الا كلمة انجليزية دخلت العربية في مصر واستعملها المصريون فاخذناها نحن على انها عربية هذه الكلمة مؤلفة من SHOP + WORK أي دكان الشغل فنقول اذا « مشغل » وكفى .



* صبيحة يوم 21 اكتوبر عقد المجلس الاعلى للتربية الوطنية اول اجتماع تحت رئاسة صاحب الجلالة محمد الخامس ، وخلاله القى العاهل الكريم خطابا هاما ، كما القى وزير التعليم السيد عبد الكريم بن جلون خطابا اخر كذلك .

* منحت الاكاديمية السويدية جائزة نوبل للاداب لهذه السنة 1959 الى الشاعر الايطالي سلفاطوري كواسيمودو لشعره الرقيق الغنائي الذي يعرب عن مأساة الانسانية في العصر الحاضر . وقدرها في السنة ما يعادل 000 000 20 فرنك . **وبهذه الجائزة تكون ايطاليا قد احرزت على اربع جوائز للاداب لنوبل . ففي سنة 1906 احرز** الاديب الايطالي كيوسوكردوتي (1835 — 1907) على جائزة نوبل للاداب ، كما احرز عليها في ايطاليا اثنان آخران هما كرانيا ديليدا التي فاز بها في سنة 1926 . وفي سنة 1933 منحت لـ « لويجي بيرانديو » اما الاقطار الاخرى فقد فازت بجائزة نوبل للاداب على هذا الترتيب : فرنسا 9 ، انجلترا 6 ، المانيا والولايات المتحدة 5 لكل واحدة منهما ، السويد وايطاليا 4 لكل واحدة منهما ، النرويج واسبانية والدانمارك 3 لكل واحدة منها ، بولونيا وسويسرا 2 لكل واحدة منهما ، روسيا 2 ، بلجيكا ، والهند ، وايرلندا ، فنلندة ، شيلي ، اسلندا ، 1 لكل واحدة منها .

* **في الانباء الثقافية للعدد السابع من السنة الثانية لهذه المجلة كنا أشرنا الى الاستعداد العظيم الذي تستعده مدينة قرطبة الاندلسية للاحتفال في مهرجان دولي كبير بالذكرى الالفية لقيام الخلافة الاموية بالاندلس ويستفاد من الاخبار الاخيرة الواردة من اسبانيا ان الاستعدادات تكاد تنتهي ، وان موعد هذا المهرجان يحتمل ان يكون على الارجح في صيف السنة المقبلة 1960 وسيستدعى اليه رؤساء الدول العربية وبعض وزرائها والمهتمين بالثقافة فيها من مفكرين وادباء وشعراء وصحافيين وفنيين ومغنين بالاضافة الى رجال الاستشراق واقطاب الفكر في الغرب . ويعد هذا المهرجان من اعظم المهرجانات التي اقيمت في اسبانيا على مر السنين .**

* انهى المجاهد الامير عبد الكريم الخطابي كتابة مذكراته ، وستصدر في اربعة مجلدات ، وقد رفض سيادته نشرها في الصحف .

* يقوم الزعيم الاستاذ علال الفاسي خلال هذه الايام بتاليف كتاب عن « الحرية » .

* بدات الاستعدادات لتنظيم موسم الموسيقى والرقص الشعبي (الفلكلور) الذي سيقام في القصر البديع بمدينة مراكش ابتداء من ثاني وعشرى ابريل القادم الى الخامس والعشرين منه . وستساهم في المهرجان احسن الفرق الشعبية المغربية وينتظر ان يكون لهذا الاحتفال نجاح كبير ، بالنظر الى الاستعدادات الكبرى لتنظيمه .

* تدرس وزارة التهذيب الوطني مشروع تاسيس معهد للدراسات الافريقية .

* سيصدر مرسوم يقضي باحداث مركز للدراسات والابحاث المتعلقة بالتعريب الاداري للجهاز الحكومي المغربي . ويرمي هدف هذا المركز الى تحضير لغة عربية للعمل ، واحصاء المفردات وتوحيد المصطلحات الفنية في العالم العربي ، واستعمالها في تاليف الكتب المدرسية ، واحصاء المصطلحات الغير الموحدة مع تنسيقها باتصال مع المعاهد العلمية في البلدان العربية ، ويرمي هدف المركز علاوة على هذا الى تزويد المنظمات الرسمية والخصوصية وحتى الاشخاص المعنيين بالامر بعبارات فنية عربية موحدة وتنسيق دراسة العربية مع اللغات الاجنبية بواسطة احدث الاساليب .

* خصصت الحكومة الاسبانية اعتمادا يبلغ من الفرنكات المغربية 136 مليون لانشاء المركز الثقافي الاسباني بتطوان . وشرع العمل في انشائه .

❊ نظمت سفارة روسيا بالرباط معرضا للطوابع البريدية السوفياتية وذلك في فندق بالما في اواخر الشهر الماضي .

❊ اصدر مؤخرا معهد مولاي الحسن بتطوان كتابا بالاسبانية بعنوان « ليكسوس » للدكتور ميكيل طرديل مدير متحف الآثار بتطوان سابقا . والكتاب يتناول تاريخ مدينة لكسوس التاريخية ، ودليلا لما وقع اكتشافه في هذه المدينة المحفوظ في متحف الآثار بتطوان ويقع الكتاب في 78 صفحة وبمؤخره مجموعة من صور الحفريات والتماثيل لليكسوس . ويقوم مكتب التوزيع وتبادل المنشورات التابع للمكتبة العامة بتطوان بتوزيعه على المؤسسات الثقافية العربية والاجنبية .

❊ عقد في اديس ابابا عاصمة الحبشة مؤتمر افريقي للاحصائيات . ودرس المؤتمر بالخصوص برنامج خمس سنوات للاحصائيات بافريقيا .

❊ صدر كتاب « الحركات الاصلاحية ومراكز الثقافة في الشرق الاسلامي الحديث » تاليف الدكتور جمال الدين الشيال .

❊ سافر اربعة من علماء الازهر منذ مدة قريبة الى الولايات المتحدة . وسيعمل هؤلاء العلماء في 8 مساجد يامها اكثر من 80 الف مسلم في كندا . وسينقل اكثر من عشرة آلاف كتاب الى المراكز الاسلامية هناك وسيحضر الى القاهرة اول وفد من الاميركيين المسلمين للدراسة في الازهر .

❊ كلفت لجنة الشعر بالمجلس الاعلى للفنون والآداب بالجمهورية ع . م . الاستاذ عبد الرحمن صدقي باعداد ديوان المازني ، والاستاذ علي الجندي باعداد ديوان يمثل شعراء القومية العربية . وسيتولى المجلس طبع هذين الديوانين .

❊ كان لموت الاستاذ كامل كيلاني مؤلف قصص الاطفال اثر بالغ في الهيئات الثقافية العربية .

❊ رصد مبلغ كبير هذا العام وميدالية ذهبية لجائزة الدولة التقديرية في ج . ع . م . وفتح باب الترشيح للجائزة للهيئات العلمية التي لها هذا الحق . وهي جامعات الجمهورية ع . م . والمركز القومي للبحوث ، ومؤسسة الطاقة الذرية واللجان الدائمة للبحوث في الوزارات والاتحاد العلمي . وقد صرح بهذا وزير التربية في الاقليم المصري . وكان الوزير قد طلب الى هذه الهيئات ان تراعي في ترشيحها للباحث عدد السنين التي قضاها في خدمة العلم وبحثه ومؤلفاته ، ومدرسته العلمية ، واعماله الانشائية في مجال تخصصه . وحدد طلبات المتقدمين يوم 31 من الشهر الجاري .

❊ صدرت في القاهرة مؤخرا رائعة الكاتب الشهير ارنست همنجواي « لمن تدق الاجراس ؟ » وقد تولى ترجمتها مجد الدين حفني ناصف وراجعها الاستاذ علي ادهم وهذه الرواية من احسن ما ابدعه هذا الكاتب الاميركي . وقد حظيت عند عرضها في السينما باعجاب جميع الذين شاهدوها في مختلف انحاء العالم .

❊ قررت لجنة الفكر والثقافة للجامعيين بالاسكندرية اصدار اول ديوان للشاعر عبد العليم القباني ، ومهنة هذا الشاعر (خياط !) وفاز بالجائزة الاولى للشعر في مسابقة وزارة المعارف عام 1948 ، وفاز كذلك بجائزة الاذاعة في الشعر الغنائي سنة 1949 ، كما احرز على جائزة وزارة الارشاد عام 1957 ، واسم الديوان «انطلاق» وقد الحقه محمد خلف الله عميد كلية الآداب بالاسكندرية بوظيفة بالكلية ، كما خصص له دارا للسكنى .

❊ انتهى انور السادات من وضع تفسير جديد للقرآن الكريم على ضوء العلم الحديث وقد استغرق هذا العمل منه سبع سنوات .

❊ اقترحت الجامعة العربية اقامة محطة اذاعية قوية تذيع على مختلف الموجات وكافة اللغات وتشرف امانتها العامة عليها وتديرها .

❊ سيعقد المجمع اللغوي في القاهرة مؤتمرا للمستشرقين يوم 15 دجنبر الحالي .

❊ قررت شعبة العلوم الاجتماعية بمجلس الفنون والآداب بالقاهرة ترجمة القاموس الديموجرافي المتعدد اللغات الذي اصدره قسم السكان بالامم المتحدة هذا القاموس يضم تعاريف للمصطلحات السكانية .

❊ تنظم اليونسكو بناء على قرارات مؤتمر اليونسكو العام العاشر وفي نطاق البرنامج الاقليمي للمساعدة الفنية، حلقة تدريب اذاعية في مدينة الخرطوم بالسودان

تشترك فيها نخبة من كبار رجال الاذاعة فى الـــدول العربية . وتبدأ هذه الحلقة فى 4 يناير المقبل، وتستغرق الدراسات فيها ثمانية اسابيع ، تتناول خلالها الوسائل الفنية التي تكفل توفير عدد كاف من الاذاعيين الفنيين فى مجال الاذاعة التسجيلية ، وقد دعيت الـــدول العربية الاعضاء المشتركة فى الحلقة الى ايفاد كبـــار منتجيها الاذاعيين ممن توفر لديهم خبرة ممتــــازة فى شؤون البرامج التسجيلية ، وان القصد الرئيسي من هذه الحلقة هو حفز هؤلاء المسؤولين الفنيين على تطبيق دراسات الحلقة الفنية فى بلادهم واطلاع الاذاعييـــــن الناشئين على الوسائل الحديثة فى الانتاج الاذاعي مما ستتناوله الحلقة بالدرس والعرض . وقد تقرر أن تكون اللغة العربية لغة العمل الاساسية فى الحلقة، وسيتولى التدريس فى الحلقة ثلاثة من كبار الاخصائيين فى الاذاعة. وستوفد اليونسكو ايضا مهندسا اذاعيا من المنظمـــة ليتولى اجراء العمليات الفنية .

※ طلب اتحاد المجامع العلمية فى الاتحاد السوفياتي من المجمع العلمي العراقي المجموعات الشعرية التـــي صدرت للشاعرين معروف الرصافي وجميل صدقي الزهاوي ، لان لهذا الاتحاد رغبة فى استكمال بعـــض الدراسات عنهما التعريف بهما فى الاتحاد السوفياتي

※ وزارة الارشاد القومي ستصدر مجلة شهريـــة تعالج شؤون الادب والفن بالاقليم الشمالي .

※ اصدرت الشاعرة ملك عبد العزيز ديوانها الاول « اغاني الصبا » وقد ضم الديوان 50 قصيدة فيما بين 1937 و 1958 .

※ اصدرت الاديبتان وداد سكاكيني ، وتماضـــر توفيق كتابا عن شهيرات النساء جمعت فيه سيـــرة ماري كوري ، وهارتب بيتشوستو ، وهلين كليـــر ، وهدى شعراوي ، ومي زيادة ، وفدوى طوقان ، وليلى دوس وغيرهن من رائدات الحركة النسائية والادبية .

※ تقرر النهوض بالتعليم الديني فى الاقليم السوري . وقد تم وضع مشروع جديد لاعادة تنظيم المـــدارس الشرعية والاسلامية هناك .

※ « أغنيات بلادي » ديوان من الشعر العاطفـــي والوطني صدر اخيرا للشاعر عبد الكريم كرمي المعروف بـ « ابي سلمى »

※ اعدت وزارة الارشاد القومي بالجمهورية ع . م . برنامجا لمقاومة الامية وسيحدث 55 مركزا لهذا الغرض فى الاقليم السوري فقط . وقد رصد مبلغ خمســـة ملايين جنيه مصري لانجاز هذا المشروع .

※ اصدرت مجلة « الابحاث » اللبنانية عددا خاصا بالمحاضرات التي القيت فى المؤتمر التاسع للدراســـات العربية الذي دعت اليه هيئة الدراسات العربيـــة فى الجامعة الاميريكية حول موضوع: «ما ساهم به المؤرخون العرب فى المائة السنة الاخيرة فى دراسة التاريخ العربي وغيره » .

※ صدرفى لبنان للشاعر الكبير امين نخلة كتـــاب جديد بعنوان « الحركة اللغوية فى لبنان فى الصدر الاول من القرن العشرين »

※ صرح مدير الآثار الاردنية انه يوجـــد الآن فى الاردن موكزان مهمان متماثلان يرجع تاريخهما الى ما قبل ميلاد المسيح بسبعة آلاف سنة ، وذلك فى البيضاء والبتراء ، ويضم هذان المركزان بيوتا حجرية ، وآلات من الصوان شاهدة على اقدم الحضارات فى العالم . وتقوم الحكومة الاردنية بمجهودات لاعطاء هذه الآثار ما تستحقه من رعاية لخدمة الانسانية بهذه القيـــم التاريخية .

※ اصدر الدكتور مصطفى الشكعة دراسة مستفيضة عن بديع الزمان الهمداني صاحب المقامات المشهورة فى الادب العربي وقد وصف المؤلف الهمداني بانه الرائد الاول للقصة والمقالة الصحفية فى الادب العربي

※ صرح طه باقر مدير الآثار العام فى العراق بانه تقرر اقامة مجسم لبرج بابل فى الموقع الذي كان يقوم عليه البرج الاصلي . وستوضع بالقرب من المجسم المسلة التاريخية المعروفة بمسلة حمورابي ، وهي تحتوي على اقدم تشريع فى العالم .

※ اعلن المدير العام للآثار العراقية أن بعثة تقـــوم بالتنقيب عن الآثار فى موقع خزان دوكان بشمال العراق قد اكتشفت مجموعة مهمة من الالواح الطينية يرجع تاريخها الى 2100 سنة ق . م . وتشير هذه الالـــواح الى ان العراقيين القدماء سكنوا المنطقة فى عصر مقارب لعهد السومريين .

❊ اعلنت دائرة العلوم الالكترونية فى جامعة كيوتير بقرب اليابان فى هذه الايام انها صنعت آلة تستطيــع تحويل صوت الانسان الى حروف رومانية . وقالت ان الالة تحول ذبذبات الصوت الى موجات كهربائية ، وتطبع حالا بالاحرف الرومانية ما يقوله الصوت .

❊ افتتح فى جامعة بلغراد قسم للدراسات العربية

❊ سيقام فى برلين الغربية مسجد جديد ومركـز ثقافي اسلامي ملحق به ، وقد عين للاشراف علـى المسجد والمركز احد خريجي الازهر .

❊ عادت الى الظهور مجلة « اتحاد الطب » التـي يصدرها طلبة كلية الآداب بجامعة القاهرة . وقـد احتجبت عن الصدور منذ خمس سنوات .

❊ تلقت جامعة القاهرة 1 000 مجلد فى مختلـف العلوم والفنون والآداب من جامعة كالفورنيا ، كما تلقت 100 مجلد اخرى باللغة الروسية من جامعة ليينغراد . ويعتزم قسم التبادل الثقافي بجامعة القاهرة الاستعانة ببعض اخصائيين فى اللغة الروسية لترجمة 100 كتاب .

❊ صدرت فى الايام الاخيرة اول دراسة عن شاعر النيل حافظ ابراهيم للدكتور محمد كامل جمعة تتناول ما له وما عليه ، وما يتعلق بحياته الخاصة والعامة .

❊ ادخلت الحكومة الفرنسية اصلاحا جديدا على الباكالوريا غير انظمتها راسا على عقب . وهدفه ان يجعل الامتحان اخف وطاة على الطلاب واكثر سرعة . وخلاصته :

(1) حذف الدورة الثانية (دورة دجمبر)

(2) امتحان اولي فى شهر فبراير يشمل المواد التي درسها الطالب خلال الفصل الاول من السنة

(3) امتحان ثان فى يوتيو يشمل كل مواد السنــة الدراسية

(4) تجري الامتحانات فى المدرسة التي ينسب اليها الطالب

(5) كل الامتحانات تحريرية ، ما عدا امتحـــان اللغات .

❊ صدر مرسوم فى فرنسا يسمح للعميان الحاصلين على شهادات عليا بالتدريس فى المعاهد شرط ان تكون المواد التي يدرسونها فى حاجة الى نشاط محـــدود كتدريس الفلسفة واللغات والآداب والموسيقى .

❊ وقع العثور فى مكتبة المتحف البريطاني علـى مخطوط « تاريخ فتح مدينة البهنسا » ، ويشمل هذا المخطوط على المعارك الحربية التي دارت بين العـرب والرومان عند فتح مصر .

❊ اقامت جمعية المتخرجين العرب بالبرازيــل معرضا للكتاب العرب اشتمل على احدث الكتب العربية الصادرة والنفيسة منها

❊ تلقى الامير مولاي الحسن هدية من الشاعــر الدبلوماسي صاحب « آفاق » و « السنة الزمـان » الدكتور سليم حيدر سفير لبنان بالمغرب وهي عبارة عن مجموعة من طوابع البريد اللبنانية .

= قدم قسم الشبيبة والرياضة بالرباط مـن 11 نوفمبر الى 18 منه معرضا لانتاج الفنان الهولنـدي رامبراند وذلك فى دائرة البرنامج الخاص بتعليم الاصول التمهيدية فى فن الرسم . وتدخل هذه المجموعة مـن الانتاج القيم فى دائرة الحلقات السنوية للمعارض المتنقلة التي ينظمها قسم الشبيبة والرياضة .

❊ جرت يوم الاثنين 9 نوفمبر 1959 محادثات بين ممثلي وزارتي الخارجية والتربية الوطنية فى كل مـن المغرب وفرنسا ، شارك فيها السيد محمد الفاســي عميد الجامعة المغربية والم روجي سيدوكس المدير العام للعلاقات الثقافية والمعارف الفنية بوزارة الخارجيــة الفرنسية . فتبودلت الآراء بكيفية عميقة حول العلاقات بين الجامعات الفرنسية والمغربية وحول القضايــا الراهنة ذات المصلحة المشتركة . وستتابع المذكرات خلال هذا الشهر دجمبر .

❊ عقدت الدورة الثالثة للمؤتمر العربي للآثار بفاس وقد حضرتها وفود عربية من جميع الدول العربية الى جانب بعض الوفود الاجنبية ، ودشن المؤتمر فى كليـة الاداب بالرباط ثم تابع المؤتمر نشاطه وابحاثه حـول الآثار الاسلامية وذلك من 8 نوفمبر الى 18 منه . وكان الوفد المغربي متالفا من السادة : محمد الفاسي عميـد الجامعة المغربية ، عبد الهادي التازي رئيس العلاقات

الثقافية بوزارة التهذيب الوطني ، محمد الصفريوي ، احمد المكناسي مدير المتحف الاثري بتطوان ، محمد الدليرو .

* قام صاحب الجلالة المعظم في يوم 7 نوفمبر الماضي بتدشين مدرسة الطب التطبيقي بالدار البيضاء التي تحمل اسم ابن رشد وذلك في مهرجان كبير

* توفي اخيرا بالمغرب العلامة المصلح الشيخ الصديق الشدادي .

* منحت لجنة المهرجان الدولي الثاني عشر الذي اقيم في مدينة كان جائزتين لفيلمين قدمهما سينمائيون في المغرب ، وهما « الفرحة الثامنة » و « اجدير وثرواتها السياحية » .

* نظم قسم الشبيبة والرياضة في عموم المغرب محاضرات في جميع ميادين المعرفة لرفع المستوى الثقافي بالمغرب .

* بدأت الاستعدادات لتنظيم موسم الموسيقى والرقص الشعبي (الفلكلور) الذي سيقام في القصر البديع بمدينة مراكش ابتداء من ثاني وعشري ابريل القادم الى الخامس والعشرين منه . وستساهم في المهرجان احسن الفرق الشعبية المغربية ، وينتظر أن يكون لهذا الاحتفال نجاح كبير ، بالنظر الى الاستعدادات الكبرى لتنظيمه .

* علم انه سيقام احتفال كبير تخليدا لذكرى تاسيس جامعة القرويين بمناسبة مرور الف ومائة سنة على تأسيسها . وتعد جامعة القرويين المغربية اقدم جامعة في العالم .

* قرر في القاهرة اقامة مهرجان سنوي لذكرى الشاعرين محمود سامي البارودي وحافظ ابراهيم . ويشتمل برنامج تخليد هذين الشاعرين في انشاء تمثالين في أحد ميادين القاهرة ، وطبع كتاب عن حياة الشاعر واعماله ، ووضع لوحة تذكارية على بيته ، وتحويل حجرة فيه الى متحف يضم آثار كل واحد منهما وتخصيص جائزة باسمهما .

* يعد الاستاذ علي الجمبلاطي كتابا عن الشاعر الشهيد هاشم الرفاعي .

* على احمد باكثير انتهى من تاليف كتابه الجديد « هاروت وماروت »

* الدكتور زكي نجيب محمود فرغ من ترجمة كتاب المنطق لجون ديوي الفيلسوف الامريكي

* يقوم علي ادهم بتكليف من مجلس الفنون والآداب بالبحث عن المخطوطات التي تركها الشاعر عبد الرحمن شكري ، والمقالات التي كتبها في الصحف. ستجمع في كتاب يشمل دراسة وافية عنه .

* توفي في القاهرة الموسيقي عبد الرحمن سامي . وترك وراءه مؤلفات موسيقية تستحق التقدير

* الشاعر احمد عبد الغني زغلول يصدر ديوانا بعنوان « اسرار » في يناير القادم .

* « زهرة من الجزائر » قصة محمود شعبان اشترتها وزارة الثقافة للجمهورية العربية .

* واحد من الستة الذين فازوا في مسابقة قصة الرئيس جمال يعمل مصححا بالمطبعة الاميرية . كان صاحب مصنع زجاج وخسر فيه 20 الف جنيه ، كتب قصته في 600 صفحة بخط يده لانه لايملك ثمن كتابتها على الآلة الكاتبة ، واسمه خليل العطار ، محصل على الباكالوريا الفرنسية !

* الدكتور عبد الكريم دهينة الاخصائي النفساني ، والمحرر بالمجمع اللغوي يعد كتابا يتحاور فيه مع شيطان من شياطين الجن عن الفن والمرأة والحب واسم الشيطان « ابو عاقصة » .

* انتهى العمل من بناء مدينة الفنون بالهرم ، وابتدأت المدينة نشاطها في اول اكتوبر الماضي .

* يشتغل بديع خيري في تمثيلية عن الفنان نجيب الريحاني ، سينشرها في كتاب .

* « حيطان عالية » مجموعة قصص قصيرة للكاتب ادوار خراط صدرت اخيرا .

* يقوم وزير الثقافة والارشاد القومي بالقاهرة بتحقيق كتاب « المعارف » لابن قتيبة وسيصدر قريبا .

* ابتدا من هذه السنة الدراسية سيشرع في تدريس اللغات الايطالية والالمانية والاسبانية بالازهر.

* ظهرت ترجمة قصة « آسيا وجداول الربيع » من تاليف الكاتب الروسي ايفان بترجنيف ، وقد قام بترجمتها الاستاذ مفيد الشوباشي .

※ الشعر الذي كتب عن القومية العربية في مختلف العصور ، سيجمع في مجلد واحد وسيصدر بالاقليم المصري .

※ انتهى الاستاذ صالح جودت من اعداد مقدمة دراسته التحليلية لآثار الشاعر ابراهيم ناجي .

※ تعد لجنة النشر بالاقليم المصري فهارس مصنفة بما تم تأليفه من الكتب والبحوث الادبية ، وخاصة في النقد الأدبي .

※ اصدر الاستاذ فؤاد الشائب الاديب السوري المعروف كتابا بعنوان « يوميات موظف »

※ تعد سلوى الاسطواني كتابا عن الحب في نظر الشعراء ، وسيظهر قريبا في دمشق .

※ يعتزل العمل في السلك الدبلوماسي الشاعر السوري نزار قباني يوم 4 ابريل القادم ، بعد ما قضى فيه 16 سنة ، وهو الآن يعمل سكرتيرا ثانيا في سفارة ج.ع.م. بالصين ، وبعدما سيعتزل الوظيف سيشترك في ادارة دار الآداب ببيروت ، وسيدخل شريكا فيها مع الدكتور سهيل ادريس .

※ الادباء العرب بدمشق انتخبوا السيدة « مي دروري » ملكة للشعراء والالهام

※ يتسلم الشاعر بشارة الخوري المعروف بالاخطل الصغير معاشا شهريا قدره بالفرنك المغربي 100 000 من الامير عبد الله الفيصل .

※ « سعيد عقل واشياء للجمال » كتاب اصدره في لبنان جوزيف صائغ يتناول الناحية الجمالية في شعر الشاعر الرمزي الاستاذ سعيد عقل . وقد اصدر الشاعر هذه الدواوين « قدموس » « بنت يفتاح » « رندلي »

※ جاء من الولايات المتحدة ان لجنتي جبران خليل جبران وبلدة بشرى بلبنان قد ربحتا دعوى ربع كتب النابغة اللبناني بعد انتهاء مدة حقوق الطبع منذ سبع سنوات . وفي مشاريع اللجنة الجديدة بناء متحف دائم لجبران في بيروت يضم كل آثاره ، وانشاء جائزة سنوية لاحسن الكتاب اللبنانيين والعرب ، وطبع رسومه طبعا متقنا بالالوان . وقد بلغ ربع كتب جبران خلال الثماني والعشرين سنة الاخيرة مليون وربع مليون دولار .

※ صرح مفوض السياحة والاصطياف في لبنان بان الخبراء والفنيين قد اكتشفوا مغارة فوق مغارة جعيتا . وتمتاز هذه المغارة بان ليس فيها ماء ، وهي اجمل بكثير من المغارة المائية .

※ الدكتورة زاهية قدورة حاملة دكتوراه في الآداب من جامعة القاهرة كلفتها حكومة لبنان للبحث عن الوثائق والمخطوطات الخاصة بالعصر العباسي ودرسها واصدارها .

※ زار الدكتور طه حسين لبنان في الشهر الماضي والقى محاضرتين في قاعة مركز اليونيسكو ، واحدة باللغة العربية والثانية بالفرنسية .

※ القى الزعيم الاستاذ علال الفاسي في ندوة العلماء التي نظمتها وزارة التهذيب الوطني محاضرة تحت عنوان « مهمة علماء الاسلام » .

※ « عهد المهداوي » عنوان كتاب وضعه الاديب الصحافي اللبناني باسيل دقاق ، وحلل فيه شخصية عباس فاضل المهداوي .

※ عادت الى الصدور في لبنان جريدة « النهار » التي احتجبت منذ سنة على اثر دخول الجيوش الامريكية الى لبنان .

※ وافق مجلس وزراء العراق على مشروع قانون يقضي باحداث وكالة انباء عراقية .

※ قامت مؤسسة فرانكلين للطبع والنشر لاول مرة بالاتفاق مع دار البصري العراقية على طبع كتاب هام في بغداد وهو يتناول حياة الرحالة ماركوبولو ، وما قام به من غمرات واكتشاف من تأليف ريتشارد جي ونس وقد تولى ترجمته الى العربية المقدم حسن حسين ومراجعته الاستاذ جعفر خياط والاديبة سميرة عزام .

※ انتهت مطابع المجمع العلمي العراقي من طبع الجزء الثاني من كتاب «مؤرخ العراق ابن الفوطي» من تأليف العلامة الشيخ محمد رضا الشبيبي . وقد اشتمل على نظرات اصيلة وآراء قيمة في فترات مجهولة من تاريخ العراق .

※ صدرت في الأيام الاخيرة بالعراق باللغة العربية احدى روائع الكاتب السوفياتي ميخائيل شولوخوف بعنوان « مصير الانسان » من ترجمة حبيب الكيالي ، وطبعت طبعا انيقا في دار الطبع والنشر باللغات الاجنبية .

※ في يوم 10 من الشهر الماضي عقد مؤتمر في بغداد خاص بالادباء العراقيين حول موضوع « الادب العراقي الحديث » .

※ يعد حسين القباني مشروعا ثقافيا في الكويت لترجمة مشاهير الادب العالمي . وقد اتفق معه عبد العزيز حسن مدير معارف الكويت على تنفيذ هذا المشروع .

※ في هذا الشهر سيعقد بالهند مؤتمر تربوي دولي .

※ فاطمة دراجات اول اندنيسية تحضر الماجستير في القاهرة . انهت من كتابة رسالتها التي تبحث فيها مشكلات المراهقة بين الجنسين في الشرق بصفة عامة ، وفي اندونيسيا بصفة خاصة .

※ نال الجائزة الاولى لهذا العام لمسابقة « زمرغيت لونج جاك تيبو » بباريس موسيقي ياباني ناشيء ، اسمه توياكي متسورا .

※ نشر المتحف الوطني في اليابان بالاشتراك مع جامعة طوكيو كتابا عن الآثار المصرية وزعت منه 60 الف نسخة .

※ يعقد في عاصمة اليابان المعرض الفني العربي.

※ دشن في مدينة لينغراد اول متحف مخصص لشارل شابلن . وتوجد في هذا المتحف الكتب والمجموعات والمجلات وقصاصات الصحف والرسوم التي تتحدث عن هذا الفنان ، وبالامكان ايضا رؤية صورة فريدة لهذا الممثل الهزلي عندما كان في السادسة من عمره ، وقد ظهر عند ذلك لاول مرة فوق المسرح .

※ في لينغراد وتحت اشراف العميد فاسيلي مستوف يدرس المؤرخون مخطوطات اغريقية ضاربة في القدم . وقد عثر على هذه المخطوطات في الحفريات التي اجريت في مقاطعة بوسبوران الواقعة على البحر الاسود ، ويعود تاريخها الى القرن الخامس للميلاد .

※ تترجم في بلغاريا مجموعة من شعر الشاعر العراقي عبد الوهاب البياتي .

※ افتتح في جامعة بلغراد قسم للدراسات العربية .

※ انعقد مؤخرا في جامعة انقرة مؤتمر دولي للفنون التركية بمحضر ممثلين عن الدول التي شاركت في هذا المؤتمر .

※ تقرر انشاء مدرسة للدراسات التركية في جامعة باريس .

※ فاز بجائزة نوبل للكيمياء 1959 البروفسور خاروسالف اروفسكي ، مدير معهد العلوم ببراغ .

※ شعراء من جميع انحاء العالم حضروا مهرجان الشعر العالمي في بلجيكا ، ولم يحضر في هذا المهرجان ولا مندوب واحد من البلاد العربية . وقد اقيم في مدينة كنوك زوت التي تبعد بـ 118 كلم عن بروكسل . وكان موضوع البحث في هذا المؤتمر « عن رجال الغد ... والشعر » والقى كل شاعر بحثه بلغته الاصلية ، كما عرض نادي السينما ببروكسل افلاما عن قصص شعرية .

※ طلبت جمعية انترنا سينو الادبية الالمانية من مجلس الفنون بالقاهرة وضع برنامج للتعاون بين الهيئتين وتبادل الكتب . والمجلس اعد قائمة باسماء 30 كتابا لترجمتها الى الالمانية .

※ في المانيا الديموقراطية صدر اخيرا كتاب بعنوان « حب في برلين .. يوميات في صور » تاليف اديث ريموكس وهورست .

※ عقدت جامعة كولونيا في المانيا الفيدرالية مؤتمرا عن تاريخ الفلسفة الاسلامية .

※ سيتم في عام 1962 افتتاح متحف عالمي لفن الطباعة في مدينةماينس المركز الثقافي الالماني القديم وذلك بمناسبة الاحتفال بمرور الفي عام على تاسيس هذه المدينة . ويعد المتحف المذكور داخل بنايتين من المباني التاريخية القديمة ، وقد رصد مبلغ خمس ملايين مارك لاجل تحويلهما لهذا الغرض وقد كان يوهنس هوتمبرغ احد ابناء هذه المدينة .

※ كان من الامور التي بحثتها دول السوق المشتركة في اجتماعات الصيف الماضي في ستراسبورغ مسالة انشاء جامعة اوربية . والفكرة قديمة ترقى الى عام 1955 ولكن الآراء تضاربت حول كيفية تحقيقها . فبينما ترى المانيا مثلا ان تكون جامعة ـ كاملة الفروع ينتسب اليها كل من يحمل الشهادة الثانوية (الباكالوريا) ترى بلجيكا مثلا ان لا تفتح الجامعة ابوابها الا لحملة الليسانس ، وان

لا تشمل الا فرعين كبيرين للتخصص في العلوم الطبيعية وبشكل خاص الفيزياء النووية والعلوم الانسانية . ولكن الجميع متفقون على انشاء هذه الجامعة تدريجيا ، وعلى تخصيصها في البحث العلمي الدقيق وتعد هذه الجامعة خطوة اساسية نحو توحيد اوربا ثقافيا .

※ اجتمعت اخيرا في دار اليونيسكو بباريس لجنة دولية من خبراء التعليم الجامعي المهتمين بشؤون التعاون بين جامعات العالم . وكانت الجمعية الدولية الجامعات قد اجرت بالتعاون مع منظمة اليونيسكو تحقيقا عن البرامج الرسمية التي تطبق في ذلك المجال ، وهي برامج ابرز التحقيق تطورها في السنوات الاخيرة تطورا له دلالته . فمن ناحية دل هذا التطور على ادراك الجامعات ضرورة تبادل الخبرات والتجارب بينها لمسايرة تطور المعرفة والمجتمعات الانسانية ، ومن ناحية اخرى اوضح ذلك التطور الدور الذي تؤديه الجامعات ـ ويجب ان تؤديه ـ في تعميق التفاهم الدولي

※ اجتمعت اخيرا اللجنة الاستشارية الدولية للبرامج المدرسية لمناقشة التعليم الثانوي واهدافه . وتتالف هذه اللجنة من عشرة خبراء في التعليم الثانوي ـ للطلبة الذين تتراوح اعمارهم بين الحادية عشرة والثامنة عشرة ـ هو الثقافة العامة كما تتبين خطوطها الكبرى على النحو الآتي : (1) كل مايتبقى من دراساتنا ومطالعاتنا ومجهودنا الشخصي وكل ما يكفل لنا فهم الانسان في طبيعته والبشر في حياتهم والمجتمعات الانسانية وهذا العالم الذي نعيش فيه ، ونسعى الى التعامل معه تعاملا حيا . (2) القدرة على اكتساب معارف جديدة ، وتكوين افكار جديدة ، وفهم المشاكل فهما عميقا ، وتمييز الجوهري من العرضي . (3) القدرة على ان يصبح كل انسان منا حرا ذكيا شجاعا ، قادرا على الاختيار الذي تفرضه الحياة عليه مع الاحتفاظ بحس دقيق بمسؤولياته .

※ الفيلسوف الوجودي بول سارتر اصدر بحثا فلسفيا عن «نقد العقل الديالكتي» .

※ «قرن من العدو وراء الاخبار» كتاب الفه بيير فرد ريكس عن هافاس الذي انشأ وكالة هافاس للانباء .

※ لاول مرة في تاريخ السينما يتبين ان مخرج فيلم «ذكريات من باريس» الذي شرع في التقاط مناظره الاولى سنة 1928 لم ينته من اعداده بعد . وقد قام بالتمثيل في هذا الفيلم منذ ثلاثين سنة خلت الاديب مارسيل دوهميل والشاعر جاك بريفير صاحب ديوان « كلمات » الغزلي .

※ صدرت في الايام الاخيرة مذكرات البرت شوايتزر تحت عنوان « حياتي وافكاري » وصاحب هذه المذكرات احد الفائزين بجائزة نوبل .

※ اضافت الاديبة فرانسواز ساغان لغزا جديدا الى الغازها التي اشتهرت بها . فبعد ظهور قصتها « هل تحبين برامز » سئلت عن ظهور قصصها في 188 صفحة . فروايتها « مرحبا ايها الحزن » تقع في 187 صفحة و 4 سطور ، و « ابتسامة ما » في 188 صفحة و 8 سطور و « في شهر .. في سنة » 188 صفحة و 5 سطور فاجابت المؤلفة اولا نفسي قصير ، وثانيا كل شيء ينتهي في 188 (!)

※ صدر عن اليونيسكو كتاب ضمنته عددا كبيرا من الرسوم اليابانية والبوذية بالالوان . وكلها مما يجهله العالم وفيه شروح وتعليقات . وتتناول هذه اللوحات البوذية من الحقبة الممتدة من القرن الثامن الى القرن الثاني عشر .

※ قرر هيمنجواي الاقامة في باريس واعتزال الكتابة بعد بلوغه 65 سنة ، وعمره الآن 61 سنة .

※ فرغت فرانسواز ساغان اخيرا من كتابة مسرحيتها الاولى . وكانت ساغان تعكف على كتابة المسرحية منذ مدة . ويبدا الفصل الاول منها بموضوع « قصر في السويد » .

※ منحت الجائزة الوطنية الكبرى للآداب في فرنسا للعام 1959 للكاتب الفرنسي الكني ليجيه المعروف باسم سان جون بريس .

※ اصدر اليونيسكو طبعة جديدة لكتاب « حقائق اساسية وارقام » وهو مجموعة احصاء دولية تتعلق بشؤون التربية والعلم والثقافة ، وتحرص اليونيسكو على نشرها كل عام في اللغات الانجليزية والفرنسية والاسبانية ومجموعة هذا العام وقد ظهرت باللغة الانجليزية تشمل معلومات وبيانات حديثة جمعتها المنظمة بوسائلها الدولية حتى يوليو 1958 . يتبين من هذه المجموعة ان الانسانية لم تصل بعد الى كفاية حاجاتها الى التعليم ، فما تزال نسبة الامية في العالم تتراوح بين 43 في المائة و 45 في المائة وما تزال النسبة الكبرى من الاميين في افريقيا

وهي حوالي 85 في المائة ثم في آسيا حوالي 65 في المائة ويتبين لنا ان السويد هي البلد الذي يعرف فيه الراشدون القراءة والكتابة . ويستعرض مؤلف اليونيسكو طوائف دور التعليم المختلفة من المدارس الابتدائية الى الجامعات او المعاهد العليا . ويجد القاريء ان هناك فارقا بينا بين الاقبال على المدارس في المدن والاقبال عليها في الارياف . وتقول الارقام ان الولايات المتحدة قد ضربت الرقم القياسي في عدد التلاميذ ففي معاهدها 212 918 2 ثم يأتي الاتحاد السوفياتي 565 013 2 وفي اوربا نجد ايطاليا في قمة الدول من حيث عدد التلاميذ فيها 424 212 وتنتقل الاحصائيات في «حقائق اساسية وارقام» الى وسائل استخدام اوقات الفراغ في البلاد المختلفة. فالقراءة الحرة مثلا تتبين لنا من الارقام المتعلقة بالمكتبات وانتاج الكتب وانتشار الصحف اليومية ، وتقول هذه الارقام ن المملكة المتحدة تتميز باكبر تداول للصحف 573 نسخة لكل الف ساكن . واما فيما يتعلق بالاذاعة فنجد ان الولايات المتحدة تتمتع بالرقم الاول ففيها 892 جهازا لكل الف ساكن وبعدها الدانمرك على راس دول اوربا حيث يوجد بها 318 جهازا لكل الف ساكن ثم اندرا 330 جهازا . والارقام الخاصة بالتيلفزيون تتغير تغيرا عاجلا بحيث ليس من المستطاع تكوين فكرة ثابتة .

❋ ترجم المستشرق الاسباني خوس باسكيس كتاب « جمال المراة عند العرب » للدكتور صلاح الدين المنجد .

❋ تدرس وزارة التعليم الاسبانية تعليم اللغة العربية بصفة رسمية في مدارسها كمادة حية للثقافة الحية .

❋ آخر رسم لبكاسو بالريشة والحبر سماه « امراة من اول » وبيكاسو كان يسعى في هذه الايام للحصول على اذن السفر الى اسبانيا حيث يريد ان يقيم بمدريد ويزور متاحفها ، ومن المعلوم انه اسباني الاصل ولد في مالقة المدينة الاندلسية الجنوبية ، ولكن حكومته ترفض التصريح له بدخول اسبانيا موطنه ؛ كما ينوي بيكاسو زيارة الشرق العربي .

❋ اكتشفوا في اسبانيا التاريخ الحقيقي لتعميد سيرانودي برجراك وهو 6 مارس 1619 وعثر عليه ضمن وثيقة في سجل كنيسة سان جيمس .

❋ سيصدر قريبا كتابا بالانجليزية في لندن يضم مجموعة من القصص القصيرة للمؤلفين العرب في العصر الحديث .

❋ علم ان ايدن رئيس وزراء بريطانيا السابق اتم وضع كتاب عن دوره في المغامرة التي قامت بها بريطانيا في عهد حكمه بمنطقة السويس في خريف سنة 1956 .

❋ صدر اخيرا كتاب للجيب بعنوان « قصص ثلاث لليلة عيد الميلاد » و « رنين الاجراس » و « المدفأة » وهي مختارات من قصص ديكنز .

❋ اكتشف الباحثان البريطانيان وهما الدكتور لويس ليكي وزوجته جمجمة وساقا وذلك في وادي نهر « اولدغاي » في تنجنيقا يقولان انهما لاول انسان عاقل عاش على سطح الارض دون ادنى ريب ، وهذه البقايا هي في الواقع اقدم ماعثر عليه علماء الانسان حتى اليوم .

❋ صدرت طبعة جديدة بالانجليزية لكتاب « اميركي من كنتكت في بلاط الملك ارثر » تأليف مارك توين ، وهي القصة التهكمية الساخرة التي منعت من القراءة في الولايات المتحدة ، ومن تداولها في المكتبات .

❋ في اجتماع المجلس الدولي للفلسفة والعلوم الانسانية الذي عقد اخيرا في مدينة آن اربو في ولاية متشيجان بالولايات المتحدة الاميركية واشترك فيه الاستاذ جان توما مدير اليونيسكو ، واعضاء المجلس الدولي للفلسفة والعلوم الانسانية وهم يمثلون الاتحادات الدولية لعلوم الفلسفة والتاريخ واللغة والدراسات القديمة وتاريخ الفن والاديان والدراسات الشرقية والمتاحف كما شارك فيه الكاتب العربي توفيق الحكيم . في هذا الاجتماع عهد المؤتمر الى لجنة خاصة وضع مؤلف في ثلاثة اجزاء يتناول الاول منها عرض الحقائق بصفة عامة لابراز تاريخ الثقافات القديمة والانسانية بينما يتناول الجزء الثاني تعليقات الهيئات العلمية والشخصيات الثقافية المهتمة ببحوث العلوم الانسانية . واما الجزء الثالث فيسجل المقالات والبحوث الخاصة التي ساهم بها المشتركون في حلقة آن اربور .

❋ اقيم مهرجان دولي كبير للرقص الافريقي في نيويورك عرضت فيه بعض الاغاني والرقصات الشعبية من افريقيا الغربية .

فهرس العدد الثالث ـ السنة الثالثة